الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم–

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي

تخصص: أدب وحضارة عربية

صورة النّبي محمد -صلى الله عليه وسلم- في الاستشراق البريطاني الحديث المستشرق مونتوميقري واط أنموذجا

إشراف الأستاذة: إعداد الطالب:

أ. د. نادية بوشفرة ميلود بوراس

أعضاء لجنة المناقشة :

حنيفي بن ناصر	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	رئيسا
نادية بوشفرة	أستاذة التعليم العالي	جامعة مستغانم	مشرفة ومقررة
الشارف لطروش	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
بوعزة عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا مناقشا
خيرة حمر العين	أستاذة التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :2019م/2020م

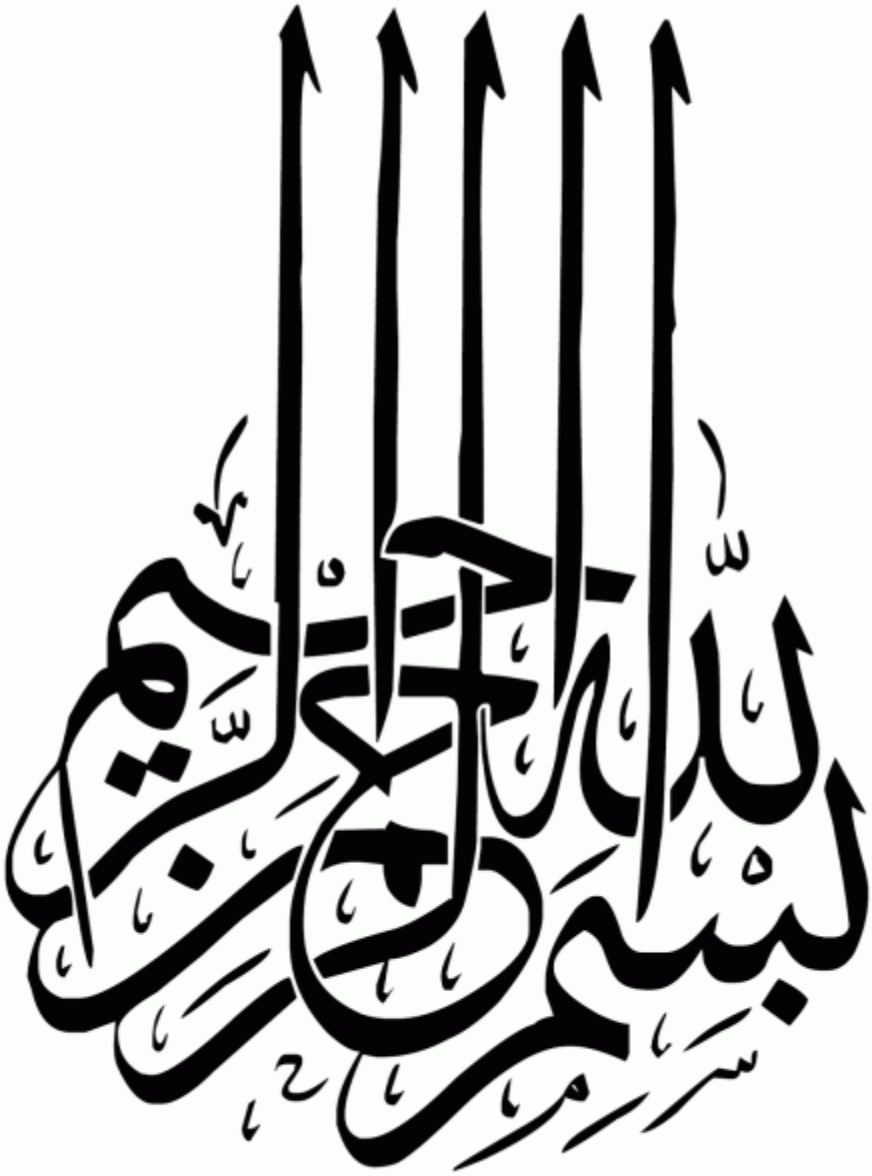
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

قال الله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل الآية: 19].

بناء على منطوق الآية الكريمة أتقدم بالشكر إلى الله سبحانه و تعالى.

ثُمّ الأستاذة الفاضلة نادية بوشفرة حفظـــــــها اللـــــــــــه

ثُمّ إلى الأساتذة الذين منُوا عليّ بمساعداتهم و توجيهاتهم القيّمة

كما أتوجه بالشكر إلى جامعتنا الغرّاء جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

والشكر لـكم جميعـــا.

إهـــــداء

أهدي بحثي، وثمرة جهدي

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله.

وإلى أستـــاذتي العزيـزة نادية بوشفرة.

وإلى كل الأصدقاء،وإلى كل من قامـوا بمساعدتي.

وإلى الشمـــــوع التي تحترق لتضـــيء الآخـــرين.

راجيـــــا من المولـــــى عـــزّ وجـــلّ القبـــول.

مـــقـــدّمـــة:

- **مقدمة:**

الحمد لله الذي حقّقَ الحقائق ،وأوضحَ الطَّرائق، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا ومولانا محمَّدٌ سيِّدُ الخلائقِ،والمخصوص بتواتر المعجزات ،وظهور الخوارقِ ،ورضي الله تعالى عن أصحابه الأعلام ،الذين أظهر الله بهم دينه القويم في أقصى المشارق والمغارب أمَّا بعد.

أُرسِل المصطفى صلى الله عليه وسلَّم رحمةً إلى الخلق أجمعين بشيراً ونذيرًا ،مِصداقاً لقول العزيز الحكيم:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨ ﴾ [الأنبياء:107-108]. لقد اصطفى الله نبيّنا محمَّد صلى الله عليه وسلّم،واختاره رسولاً كريماً يبلّغ الرسالة ويدعو النَّاس إلى وحدانيّة الله عزَّ وجلَّ.فمن آمن به أدركته الرحمة الإلهيّة والعناية الربانيّة ،وكان حقيقاً على الله أن يُدخله الجنة،ومن كذّب به وأعرض عنه فقد أقام على نفسه الحُجَّة، وكان جزاؤه جهنم خالدًا فيها.

بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارمَ الأخلاق. قال تعالى:﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب :21].فهو القدوةُ الحسنةُ التي يجب اتّباعها والإيمان بها،لتحقيق ما فيه صلاح الدَّارين وسعادةِ البشريّة.

إنَّ النَّظرة الاستعلائية التي استعملها الغرب منهاجاً في دراستهم للإسلام،اتّضحت جلياً في تعامل المستشرقين مع السيّرة النبويّة ، فنراهم قد انقسموا حيالها إلى فئتين مختلفتين، كل منهما ترى في شخص النّبي(صلى الله عليه وسلَّم) خلافَ ما تراه الأخرى، ففئة قد أظهرت حقدها في وصفها إياه بما لا يليق بمقام النُّبوة، وفئة قد أذعنت للحقيقة،فاتّسمت دراساتها بالموضوعيّة والاعتدال.

والفضل كلُّه يعود إلى علمائنا الذين كشفوا نوايا المستشرقين، وأظهروهم على حقيقتهم بالحجَّة والمنطق،وبيّنوا بُعد الكثير منهم عن الأمانة العلميّة والمنهجية الصحيحة.

كان الاستشراق أكثرَ تحاملاً على الإسلام والمسلمين، كما عمل على إعطاء تصورٍ سلبيٍّ عن النبيِّ الكريم صلى الله عليه وسلم ،وقد توالت تلك الهجمات الشَّرسة عليه الصَّلاة والسلاَّم منذ بعثته إلى يومنا هذا. قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦ ﴾ [الفرقان: 4-6].

إنَّ نظرة كثيرٍ من المستشرقين إلى الرَّسول صلى الله عليه وسلَّم قاصرة وغير حيادية،شكّلت سدًّا مينعًا أمام كثير من النَّاس في معرفة الحقيقة والهداية المنشودة،ولكن في الوقت نفسه لا يمكن لنا أن ننكر دور بعض المستشرقين الموضوعيين في الدِّفاع عن سيرة النَّبي صلى الله عليه وسلَّم بحبٍّ وإخلاص.كلُّ ذلك أثار قريحتي ،وشحذ همتِّي،فانبريت للكتابة حول سيِّد الخلق أجمعين،محمَّدٌ صل الله عليه وسلَّم وما جعلني أُدبِّج هذه الأطروحة عساما تكون فاتحةً لآفاق الكتابة لدى الباحثين والتي وسمتها ب: "صورة النَّبي محمَّد صلى الله عليه وسلَّم في الاستشراق البريطاني الحديث –المستشرق وليام مونتجمري وات– أنموذجا ".

يتناول هذا الموضوع صفات النَّبي صلى الله عليه وسلَّم الخَلقية والخُلقية، ومطاعن بعض شُبهات المستشرقين على السيّرة النبويةّ الشّريفة ،ومحاولة الردِّ عليها، من خلال نقد شخصية استشراقية معاصرة متمثلة في المستشرق البريطاني مونتجمري وات،وقد تم وصف هذا المستشرق عند كثير من الباحثين بالحياديّة والاعتدال في دراسته للإسلام، لما رأوا من مواقف النَّبي وسيرته .

إنَّ الشيء الذي حفزني لاختيار الموضوع هو حبِّي الشَّديد للنَّبي صلى الله عليه وسلم،والمساهمة في توضيح الصورة الحقيقة،كما حاولت أيضا أن أقيمَ حُججًا تدافع عن سيرته وسهاماً ضدَّ شبهات ومطاعن المستشرقين ومن هو على شاكلتهم، والكشف عن أحد هؤلاء الذين قدَّموا أعمالاً مشبوهةً حول السيّرة النّبوية،وأقصد بذلك المستشرق مونتجمري وات.

من خلال عنوان أطروحتي استوقفتني بعض الإشكاليّات التي فرضت نفسها عليّ ،وهي :كيف كانت نظرة المفكرين الغربيين إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ وماذا كتبوا عنه وهل وفِّقُوا في كتاباتهم تلك؟ وما مدى انعكاس أعمالهم على فكر وثقافة بعض النخب العربية؟.

وقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر ومراجع مهمة منها :

-كتاب "المستشرقون" لنجيب العقيقي .

- كتاب "موسوعة المستشرقين" لعبد الرحمان بدوي.

- كتاب "فلسفة الاستشراق المعاصر" لأحمد سمايلوفتش.

- كتاب" الاستشراق" لمازن المطبقاتي.

- كتاب" الاستشراق" لإدوارد سعيد.

- كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر شايب.

- كتاب "السيرة النبوية وأوهام المستشرقين" لعبد المتعال محمد الجبري.

ومن بين الرسائل الجامعية التي تصب في هذا الميدان رسالة ماجستير أعدَّها الباحث "محمد أبو رية"(السيرة النبويّة في فكر مونتجمري وات وكارين ارمسترونج)،وأطروحة دكتوراه للباحثة ميم نسرين بعنوان (جهود المستشرقين في نشر التراث العربي).

ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى مايلي:

- الوقوف على حقيقة الاستشراق ومعرفة دوافعه وأهدافه ومدارسه وكل ماله علاقة به .
- محاولة إظهار الصورة التي نظر بها المستشرقون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وخاصة البريطانيين منهم.
- لعلّ أهمّ الأهداف وأبرزها هو تناولي للمؤلّفين التاليين " محمّد في مكة "و"محمّد في المدينة" للمستشرق وليام مونتجمري وات بالدرس والتحليل .

وقد واجهتني العديد من الصعوبات، ناهيك عن الظروف الشخصية وما أكثرها،إلا أن التي يجب ذكرها متعلقة بالموضوع ذاته ،هي صعوبة الحصول على بعض المصادر المهمة،وخاصة الكتب الأجنبية التي لم تحظ بالترجمة بعد. كما وجدت صعوبة بل وغرابة كبيرة في فهم مواقف كثير من الباحثين العرب،حيث أصبح كل واحد منهم يأخذ من زمن البحث وقتا، قد ينتهي بطرحه جانبا لعدم دقته وبعده عن فهم مقاصد المستشرقين التي تتسم بالمكر والتحايل .

بعد كلِّ هذا يجدر بي أن أعرض للقارئ خطة بحثي، والتي اعتمدت فيها على المنهج الوصفي التحليلي المناسب لطبيعة الموضوع ،إضافة إلى المنهج التاريخي المتتبع للآراء والمستنتج للحقائق ،ومن أجل ذلك فقد اشتملت الدراسة على مقدِّمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة وملحق .

أما المقدِّمة فقد خصصتها للحديث عن أهمية الموضوع و أسباب اختياره ،كما ألمعتُ إلى بعض الدراسات السابقة،وحددت المنهج المتبع،وخطة البحث وتطرقت كذلك إلى بعض الصعوبات التي واجهتها في بحثي.

وجاء المدخل ممهِّدًا للدراسة التي بصدد التطرق لها، فبيَّنت فيه الصراع القائم بين الإسلام والغرب المسيحي، ونماذج عن بعض الدراسات الاستشراقية حول سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وإسهامات هؤلاء في ترجمة كتب التراث الإسلامي، والتي سيكون لها الأثر البالغ في فهم الغرب لهذا الدين ،كما قمت باختيار بعض المصطلحات التي كانت لها صلة بالموضوع.

عنونت الفصل الأول:" ماهية الاستشراق والمستشرقين" تضمن ثلاثة مباحث، الأول : تعريف الاستشراق والمستشرقين والثاني: "نشأة الإستشراق" والثالث:"دوافعه وأهدافه "،وسائله وآثاره.

وأما الفصل الثاني: جاء بعنوان "نظرة المستشرقين الغربيين" إلى السيرة النبوية ويحتوي على ثلاثة مباحث. المبحث الأول: تحدثت فيه عن" المستشرقين والسنة النبوية".والمبحث الثاني: حددت فيه بعض "المستشرقين الغربيين الحاقدين على نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم "،والمبحث الثالث: قمت فيه بتصنيف المستشرقين الغربيين المتعاطفين مع المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وأما الفصل الثالث:فجاء موسوماً:" صورة النّبي صلى الله عليه وسلم من خلال كتابات المستشرقين البريطانيين ".

المبحث الأول: تطرقت فيه إلى المدرسة البريطانية الاستشراقية. والمبحث الثاني: "خصصته للمستشرقين البريطانيين الحاقدين على النبي صلى الله عليه وسلم".وأما المبحث الثالث: تحدثت فيه عن "المستشرقين المتعاطفين مع المصطفى صلى الله عليه وسلم".

وأما الفصل الرابع : جاء تحت عنوان "نظرة المستشرق مونتجمري وات إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم". وقسمته إلى ثلاثة مباحث .الأوّل: "مناهج مونتجمري وات في دراسته للسيرة النبوية وتقويمها".والثاني: "صورة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة عند مونتجمري وات".والثالث: "صورة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة عند مونتجمري وات".

وخاتمة: وهي ثمرة ما توصلت إليه من نتائج.

لا يفوتني في الختام أن أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث،وخاصة مشرفتي على الأطروحة الأستاذة الدكتوراه نادية بوشفرة، بأسمى آيات الشكر وأرفع معاني الاحترام والتقدير على ما قدمته لي من نصائح وتوجيهات ورفع المعنويات،فجزاه الله عني خير الجزاء.

الله وليّ التّوفيق

الطالب بوراس ميلود

وهران في: 2019/11/25

مـــــدخـــــــــل:

- مفهوم الإسلام في الفكر المسيحي الغربي

1- الصّراع بين الإسلام والغرب المسيحي

2- الاستعمار والتّنصير في خدمة الاستشراق

3- علاقة اليهود بالاستشراق

4- حركة التّرجمة

5- مؤلّفات المستشرقين في القرآن والسنّة النّبوية

6- نظرة الغرب إلى رسالة الإسلام

7- مناهج الغرب في دراسة القرآن والسنّة النّبوية

8- نمطية الصورة عند الغرب للنّبي محمد صلى الله عليه وسلم

9- تيار التّغريب وعلاقته بالاستشراق

10- ظاهرة الاستغراب

1- الصِّراع بين الإسلام والغرب المسيحي:

لما كان الصراع أمرا حتميا في هذا الوجود منذ القدم، كان هناك صراع حضاري بين الشرق والغرب، والذي احتدم أكثر فأكثر ببزوغ فجر الرسالة المحمدية ،إذ لما بسط الإسلام سلطانه على قارتي آسيا وإفريقيا، وجزء عظيم من قارة أووربا من الناحيتين النظرية والعلمية، ثم اخترق صليل صولته أسماع الشعوب التي لم تَدِن به، ودوى في رؤوسها صوت جلاله القوي، وكان من الطبيعي أن يروع الساسة، ويبلبل أفكار العلماء والباحثين من خصومه في تلك الشعوب التي لم تكن تطمئن على مصيرها بإزاء هذا التيار الجارف ، وكان من الطبيعي أيضا أن يدفع الغيظ المتعصبين من أولئك العلماء إلى الاشتغال بنصوص هذا الدّين ودراستها للوقوف على ما فيها من فكر وآراء نظرية وطقوس وتقاليد عملية"[1].

شنت أوروبا أواخر القرن الحادي عشر ميلادي حروبا صليبية على الإسلام ،وذلك من أجل السيطرة على الأماكن المقدسة وطرد المسلمين من الأندلس ،ومن أجل الحصول على خيرات الشرق والتحكم فيه،بل هي المحاولة المبكرة للنزعة الاستعمارية ،ويحدد المؤرخون الفترة من 1095-1291م تاريخا للحملات الصليبية ولكن الواقع كما ذكرنا أن الصراع الإسلامي المسيحي كان أقدم من ذلك بكثير "[2].

كانت الحروب الصليبية تحمل طابعا دينيا في حملاتها العسكرية، وبتشجيع من الكنيسة وكان هدفهم نشر المسيحية في أوساط المسلمين ،وتشويه صورة الإسلام ،ولم تتوقف تلك المؤامرات الخبيثة، بحيث استخدم أعداؤه كل ما وجدوا من إمكانات، بهدف القضاء عليه تماما،بل وحاول هؤلاء تشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم.فكان لزاما على الأوائل منهم أن يستعينوا بسلاح آخر وهو الترجمة.

---

[1] زكريا هاشم ،المستشرقون والإسلام، لجنة التعريف بالإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.م، الكتاب العشرون،سنة1965م،ص23.

[2] عفاف صبره ، المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دار النهضة العربية ، جامعة الأزهر، مصر، د ط ،1985م ، ص 13 بتصرف.

2- الإستعمار والتَّنصير في خدمة الإستشراق:

كان لوجود الاستعمار في دول العالم الإسلامي دور فعَّال في تحديد طبيعة النظرة الأوروبية للشرق وخاصة في العصر الحديث.كما أسهم الاستعمار في تكوين الفكر الاستشراقي فحاول السيطرة على الشعوب وخاصة العربية ،فبرزت حركة موازية للغزو العسكري ،والسياسي ممثلة في عملية : الاستشراق والتغريب.

أمّا الاستشراق فقد كانت الغاية منه أساسا تمكين الساسة والحكومات والدّول المستعمرة من دراسة نفسيات الشعوب وفهم تيارات فكرها وذوقها، وعقلها ،ودينها، وذلك للوصول إلى الأساليب النفسية والسياسية الكفيلة بالسيطرة على هذه الأمم دون الاصطدام بها"[1].

فكانت هناك قضية الصّراع الفكري الدّيني مقترنة بالتوسع الاستعماري ،عندئذٍ صار من مهام الحكومات الغربية أن تسخّر عددا كبيرا من الباحثين ليكتبوا عن الإسلام والمسلمين باللّغات الأوربية "وعلى رغم ما يقال إن الحروب الصليبية وضعت أوزارها منذ مئات السنين ،ظل تعصب الكنيسة المسيحية على محمد على أشده الى عصور قريبة، ولعله كذلك ما يزال إن لم يك أشد، وإن كان خفيا يعمل في ظلمات التبشير،ولم يقف الأمر عند الكنيسة بل تعداها إلى كتاب وفلاسفة في أوروبا وفي أمريكا لم تك تصلهم بالكنيسة صلة تذكر"[2] .

الاستعمار الحديث في حقيقة أمره هو امتداد للحروب الصليبية، التي كانت في ظاهرها تحمل طابعا دينيا وفي باطنها حروباً استعمارية، فلقد كان للاحتلال إسهاما في تمهيد الطريق للمبشرين في البلدان العربية والإسلامية ،وفي إنشاء الكنائس ،وأحيانا زرع الفتن والأحقاد في نفوس الأقليات المسيحية الموجودة في تلك البلدان،و ساعد الغرب على الاستمرار في الحملة التي أثاروها على الاسلام

[1] أنور الجندي، الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية ،مطبعة الرسالة، القاهرة ،مصر ، د.ط ،1962م ،ص 01.

[2] محمد حسين هيكل، حياة محمد ،مؤسسة هنداوي ، القاهرة، مصر ، ط2 ،2014 م،ص25.

وعلى محمّد صلى الله عليه وسلّم، ودعاهم ليقولوا ما قال أهل مكة حين أرادوا أن يحمّلوا النصرانية عار هزيمة هرقل والروم أمام فارس،فقد قالوا – ولا يزال الكثيرون منهم يقولون – إن الإسلام هو السبب في انحطاط الشعوب الآخذة به وفي خضوعهم لغيرهم"[1].

من أبرز المستشرقين الذين عملوا كمستشارين تمهيدا لاستعمار البلدان العربية " لويس ماسنيون الفرنسي" Louis Massignon عمل لخدمة بلاده في استعمار بلاد شمال إفريقيا.وأما"هاملتون جب"Hamilton Geb و"برنارد لويس" Bernard Lewis عملا في خدمة الحكومة الإسرائيلية والأمريكية. و مكث "لورانس"Lawrence بين العرب في سوريا وفلسطين ثلاثة أعوام حتى أطلق عليه لقب "لورانس العرب"،وأعد خرائط سيناء لتسهيل استيلاء بريطانيا عليها. وتنكر المستشرق الألماني "راتيس" Ratis بهوية طبيب وادعى الإسلام وتسمى بالحاج "موسى" وشارك المسلمين الحج عام (1809)م."[2] إذن هناك علاقة متكاملة بين الاستشراق والتنصير والاستعمار يقر الباحث نجيب العقيقي بأن هناك تعاونا بين هؤلاء الثلاثة فيقول: تعاونت الكنيسة مع ملوك أوربا في مهمة نصفها الأول سياسيا ونصفها الآخر تبشيريا عنصريا ، والاستشراق مثل التنصير نال الدعم المادي والسياسي والمعرفي والحماية كما نال رعاية الكنيسة ومباركتها"[3].

تعاون هذا المثلث الخطير والمدمّر – الاستعمار، التّنصير،الاستشراق- لغزو المسلمين في أرضهم ونشر عقائدهم وثقافاتهم وأفكارهم ،والتي في غالب الأحيان لا تتماشى مع ديننا وأعرافنا، وذلك نتيجة لاختلاف نمط حياتهم عبر الأزمنة ،وكما هو معلوم فالنصرانية لا تقر بوجود إله واحد ،والرسول محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولا تؤمن بيوم البعث ،وهم يسمُّون أنفسهم بالمسيحيِّين؛ نسْبةً إلى المسيح-عليه السلام- وهي تسمية لا تتوافق مع واقع النّصارى.

---

[1] محمد حسين هيكل ، حياة محمد ،المرجع السابق،ص 35.

[2] عبير بنت عبد الله القصيمي تقرير بعنوان علاقة الاستشراق بالاستعمار، الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية ،1433هـ/1434هـ، ص 4.

[3] لخضر بن بو زيد، الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية – العتبة العباسية بلد النشر : العراق ، العدد الخامس عشر، صيف 2018م ،ص 29.

الصواب أن يقال عنهم نصارى لأن دينهم محرف يقوم على عقيدة التثليث، وهذا تحريف وكفر يقول محمد حسين هيكل "فالنصرانية لا تقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما يقر الإسلام بنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام، والنصرانية تقول بالتثليث، والإسلام ينكر كل ما سوى التوحيد أشد الإنكار"[1].

كان جلّ المستشرقين الأوائل إما قسيّسين أو رهبانا، وكانت دراستهم للإسلام ذات طابع ديني تهدف إلى جعل الإسلام نابع من أصول يهودية ونصرانية، ولهذا يعتبر محمد أبو الفتح البيانوني " أنّ معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين أو المتخرجين من كليات اللاهوت، وهم عندما يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني، وطائفة المستشرقين من يهود ... يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي وعربي لأصل يهودي، وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء"[2].

لقد غيّر الغرب خططهم وأساليبهم بعد فشلهم في الحروب الصليبية والاستعمارية، إلى غزو أكثر دهاء يستهدف الجذور لا القشور ،وهو الغزو الفكري:" كان للنصارى تحركات في الغزو الفكري المندس منذ فجر الإسلام، إلا أنها لم تكن ذات أثر قوي ظاهر، حتى قامت الحروب الصليبية،و باءت بالخيبة، وبدأ مفكروهم يخططون لتنصير العالم الإسلامي، أو صرفه عن الإسلام ولو إلى الإلحاد والكفر بكل دين"[3] .

من ذاك المنطلق قام المستشرقون والمنصّرون والمستعمرون بتكثيف جهودهم من أجل فهم ماهية الإسلام والقضاء عليه،بمختلف الوسائل والمناهج المتاحة لديهم، وقد مرّ اهتمامهم بالإسلام بمرحلتين اثنتين:"أما المرحلة الأولى فهي تلك الحقبة من التاريخ القرن الثامن ميلادي وتستمر حتى النّهضة الأوربية الحديثة في القرن الخامس عشر :وفيها احتكّ الإسلام بالغرب حربيا وسياسيا"[4].

---

[1] محمد حسين هيكل ،حياة محمد ،الرجع السابق ص 27.

[2] فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني ، مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، د.ط ، 1433هـ، ص 109.

[3] عبد الرحمان حسن الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير – اللاستشراق – الاستعمار)، دار القلم، دمشق، ط8 ،2000م، ص28.

[4] زكريا هاشم ، المستشرقون و الإسلام،ص167.

ثمّ تأتي المرحلة الثانية منذ أول النّهضة الأوربية إلى يومنا هذا، وفيها احتلت دراسة الفلاسفة الإسلاميين مكانها في الجامعات مثل باريس ولوفان. وظهر أثر الفكر الإسلامي في بعض الفلاسفة الغربيين...واتجهت العناية إلى دراسة سيرة الرّسول عليه الصلاة والسلام وبدأت تظهر الكتب الأوربية عن الإسلام وتاريخه والترجمات المختلفة للقرآن الكريم"[1].

كانت بداية الاستشراق تحت سيطرة الكنيسة كما يشير إلى ذلك الباحث منة محمد علي:"فالحروب التي سبقت إقامة الدولة العربية في الأندلس لم تكن السبب الرئيس في الهجمات التي شنتها أوربا على بلاد المسلمين في الحروب الصليبية، بل كان جهل مسيحيي العصور الوسطى بالإسلام وسيطرة الكنيسة، العاملين الأساسيين في ذلك، مما جعل من أوربا ضحيةً لرجال الدين من جهة والمؤرخين من جهة أخرى، الذين صورا الإسلام على أنه الخطر الأكبر على المسيحية وسعوا لخلق أجواء من العداء"[2].

لقد برز الاستشراق كما أشرنا سابقا لخدمة مشروع تنصير المسلمين من جهة ،و لإيقاف التأثير الإسلامي في الغرب مستعينا في ذلك بالاستعمار العسكري "وإذا كان الاستشراق قد قام على أكتاف الرهبان والمبشرين في أول الأمر ثم اتصل من بعد ذلك بالمستعمرين – فإنه مازال حتى اليوم يعتمد على هؤلاء وأولئك،ولو أن أكثرهم يكرهون أن تنكشف حقيقتهم ويؤثرون أن يختفوا وراء مختلف العناوين والأسماء"

يبين لنا محمد الغزالي كيف يتسلل هؤلاء المستشرقون بأفكارهم بوسائل ومناهج، تبدو في ظاهرها تمتاز بالحياد والنزاهة ،ولكن باطنها مكر وتهجم على الإسلام ورموزه.

فيقول:"المستشرقون يريدون الاستمتاع بحق الباحث المحايد، أو بحق العالم المجتهد في أن يصيب ويخطئ، ولو أنهم عشاق معرفة مجردة، أما وهم محاربون خبثاء يصطنعون الطيبة للتوغل والاستمكان فهيهات أن نعاملهم إلا بذات أسلحتهم"[3].

---

[1] زكريا هاشم ، المستشرقون و الإسلام،ص167.

[2] آمنة محمد علي ،أوربا والإسلام،مركز الدراسات الاستراتجية والدولية،جامعة بغداد،العراق، د.ع،دت ،ص 03 بتصرف.

[3] محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين،نهضة مصر ،الإسكندرية _مصر ، ط07 ،2005م ، ص8.

منذ بزوغ فجر الإسلام وانتشاره في مشارق الأرض ومغاربها،تعاون عليه الاستعمار والتنصير والاستشراق أو كما يسمى بالثالوث المدمر رغبة في تحطيمه ،وكان للاستعمار كما أشرنا سابقا دور فعال في تمهيد الطريق للتنصير ، فكان المبشرون يتحركون في البلدان العربية بكل حرية،وينشرون عقيدة التثليث.ودون أن ننسى أيضا الخدمات الجليلة التي قدمها المستعمر للاستشراق، فقد استفاد المستشرقون من علوم الشرق واستغلوها لصالح بلدانهم ،ونسبوا الكثير من علوم الشرق لهم،وقد قاموا بسرقة المخطوطات وحولوها إلى بلدانهم من أجل الاستيلاء على تراث الشرق،ومعرفة نقاط القوة ونقاط الضعف فيه.

3- علاقة اليهود بالاستشراق:

نلاحظ هنالك تداخل بين الاستشراق الغربي والاستشراق اليهودي الصهيوني ، فلم تكن الصهيونية غائبة يوماً عن دراسة المجتمعات الإسلاميةكجزء من الحركة الاستشراقية في الغرب فقد"دخل اليهود مجال الاستشراق بإخفائهم الدائم للديانة اليهودية وارتدائهم لأثواب مختلفة، فلقد ارتدوا ثوب الجنسية الأوربية تارة ، والنصرانية تارة وثوب الإسلام تارة أخرى لتحقيق أهدافهم الخبيثة، ويعد يوحنا الاشبيلي أول المستشرقين اليهود واسمه الحقيقي هو يوحنا بن داود"[1].

من بين المستشرقين اليهود الذين عملوا تحت مظلة الاستشراق الأوروبي،نجد جولد تسيهر المجري Gold Seeehr ومرجليوث البريطاني Marglyouth وغيرهم،ويقول الباحث محمود حمدي زقزوق:"لم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهود حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل أثرهم، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين"[2].

ساهم الاستشراق اليهودي في بلورة وتطوير حركة الاستشراق من خلال كبار مفكريها،والمتتبع لإنجازات المستشرقين اليهود نجدهم قدموا للاستشراق أعمالا كبيرة وضخمة في شتى المجالات.

---

[1] لخضر بن بوزيد الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي،ص 31 .

[2] المصدر نفسه،ص 31 .

4- حركة الترجمة:

عَنِيَ الغرب بدراسة الإسلام فحاولوا تفسير القرآن بمختلف اللغات، ولم يكن غرضهم من ترجمته الاطلاع عليه أو الاستفادة منه، وإنما كان هدفهم محاربته بعد الوقوف على مضمونه، وإثارة الشبهات والتشكيك فيه ،فكانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية"[1] ومن بين اهتماماتهم باللغة العربية أنه تم إنشاء معجم المفردات العربية يعود تاريخه إلى القرن الثالث عشر ميلادي، وتعود أحد معالم ذكرى الدعوة إلى الاشتغال باللغة العربية من قبل البعثات التبشيرية للمسلمين في القرن 13م، ومعجم لمفردات العربية نشره (شيباريلي) في سنة 1881م".

في إيطاليا مثلا ظهرت أول طبعة بالأحرف العربية في شهر سبتمبر من سنة 1514م ، تمت بإيعاز من البابا يوليوس الثاني.إن عدم توفر حروف الطباعة العربية بصورة كاملة تقريبا حتى نهاية القرن 16، أثر تأثيرا قويا على سير الدراسات العربية. فإذا رغب أحدهم في تنويع نص عربي مطبوع، توجب عليه اللجوء إلى قالب خشبي.و قد تم إنشاء مطبعة عربية في ثمانينيات القرن السادس عشر في روما من قبل الأسقف ودوق توسكانا كبير النّبلاء، فيردناند فون ميديشي بأحرف عربية جيدة"[2].

وصل بهم المطاف بعد ذلك إلى ترجمة كتبهم الدينية إلى لغتنا، وكما هو معلوم قرر مجمع فينا في القرن الرابع عشر (1311م) إلى ترجمة الكتب المقدسة ليقرأها المسلمون ويتأثرون بها، وبالتالي يتحولون إلى دين النصرانية، ويلاحظ أن الدوافع التي أدت إلى الاهتمام بالإسلام وباللغة العربية كان واضحا من خلال الوسائل التي تبنوها خاصة في البداية.وقام المستشرقون بجمع المخطوطات العربية والإسلامية وفهرستها وحققوا العديد منها، وترجموا الآلاف من هذا التراث العظيم إلى اللغات العالمية، و في نفس الوقت ودون قصد عرّفوا الآخرين بحضارتنا وتراثنا ومآثرنا .

---

[1] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ،ليبيا، ط2، 2001م، ص16.

2 المرجع نفسه، ص17

5- مؤلفات المستشرقين في القرآن والسنة النبوية:

صدرت في القرنيين التاسع عشر والعشرين دراسات ومؤلفات مكثفة عن الإسلام، يقول الدكتور قاسم جواد الجيزاني "و لو تنبهنا قليلا ورجعنا إلى المائة والخمسين سنة الماضية لوجدنا أنه يصدر في أوروبا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، هذه الإحصائية التي ننتهي إليها عندما نعرف أن ستين ألف كتاب قد صدرت بين 1800-1950م –أي عبر قرن ونصف – فلماذا كل هذا الإهتمام بالإسلام، وبالشرق، وبالعرب وبالقضايا التي تتصل بمنطقة بعيدة عنهم ؟"[1] .

من مؤلفات المستشرقين حول القرآن والسنة النبوية نجد كتاب:(محمد والقرآن) للمستشرق فرنسي "ج .بارتيليمي سانت هيلبر " ،وبه الآيات المختارة مجموعة طبقا للموضوعات ، وقد طبع سنة 1865، كما قام المستشرق " لابوم" بترجمة للآيات رتبها موضوعيا كذلك بصورة أوسع. وأيضا مختارات من القرآن، والقرآن مفسرا (في مجدلين) ترجمة " ا . ج . اربيري "، وسور مختارة من القرآن ل " آرثر جيفري "

ومن المستشرقين البريطانيين الذين اهتموا بالسيرة النبوية نجد" م. وات Wate " انجليزي له كتاب (محمد في مكة) ،صدر عام 1953 – وله كتاب آخر " الجبر والاختيار في الإسلام".وكتاب"محمد في المدينة". وكتاب "محمد النبي ورجل دولة". وكذلك نجد" ويل Well " (1808-1889) : وهو يهودي الأصل له كتاب "النبي محمد في حياته ودينه " ونجد الانجليزي"وليم بدويل" (1561-1632) له كتاب " محمد" أو"مصاحبة روحانية بين الشيخ سنان والعالم أحمد "[2] غير أن ترجمة القرآن إلى لغة ما ليس بالأمر السهل إلى جانب عجز لغة الترجمة عن نقل التركيب البلاغي للآيات التي لا تظهرها إلا لغةُ القرآن التي نزل بها، فلماذا اهتموا بترجمة القرآن الكريم؟ سؤال يجيب عنه عبد المتعال محمد جبري فيقول "و بما أن القران أصدق كتاب صور حياة النبي صل الله

---

[1] قاسم جواد الجيزاني، (موقف المستشرقين من السيرة النبوية – تطابق المظهر واختلاف المضمون-)، مجلة العميد، الجامعة المستنصرية ، العدد: 2، 1434هـ/2013م.ص 280.

2- عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ،مكتبة وهبة ، 14 شارع الجمهورية- عائدين – القاهرة ،د.ط ،د.ت، ص27/26

عليه وسلم وصور طبيعة التكوين للمجتمع الإسلامي الفاتح،كما سجل المبادئ التي على أساسها أقيم البنيان الإسلامي فقد عنى بترجمته إلى غير العربية كثيرون من المستشرقين والقساوسة. ومعظم هذه الترجمات فيها مغالطات"[1].

أيضا من أهم الكتب التي تناولت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والترجمات :كتاب المغازي للواقدي، وهو أقدم مصدر للسيرة النبوية في ثلاثة أجزاء وطبع في برلين 1883 م. وكتاب الأبطال لتوماس كارليل ، ونهاية بالدراسة المستفيضة من مثل : النبي محمد حياته ودينه : سيمون فايل الألماني في ثلاثة مجلدات وسيرة محمد في ثلاثة أجزاء : سبر نجر ومعاونيه 1861-1869م .و لعل أقدم دراسة عن نبوة الرسول والأنبياء جميعا ما كتبه (تورميدا) سنة 1417 في كتابه : النبوات .أما كتاب محمد : الذي ألفه القسيس (اسكندر ديبون) فهو أقدم منه فقد ألفه عام 1258م . كتاب المغازي للواقدين السابق الذكر ، ونشرته مطبعة جامعة أكسفورد 1966م"[2] ومن الكتب" كتاب: الرسول ، حياة محمد :تأليف: ر.ف، بودلي الإنجليزي (لندن 1946م) ترجمة محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار 1945م""وكتاب : حياة محمد :تأليف واشنجتون أرفنج، وترجمة وتعليق الدكتور غلي حسني الخربوطلي وقد ألفه كما جاء في مقدمته 1849م"[3].

من بين المؤلفات المهمة نجد كتاب "محمد المثل الأعلى" لتوماس كارليل، وكتاب "دفاع عن الإسلام" للمستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري، والتي دافعت فيه بشدة عن النبي صلى الله عليه سلم،وكتاب لمارسيل بوازار "إنسانية الإسلام" بيّن فيه أن القرآن كتاب منزل أزلي غير مخلوق كما ألّف الروائي تولستوي عن النبي صلى الله عليه سلم كتاب سماه "حكم النبي محمد" والذي أثنى فيه عن نبينا الكريم. ويعد هذا دليل قاطع على أهمية النبي محمد صلى الله عليه وسلم عند الباحثين والمفكرين الغربيين .

---

[1] عبد المتعال محمد الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، ص26/25.

[2] نذير حمدان ، الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين ، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ، د.م،ط1، د.ت، ص 18/17.

[3] المصدر نفسه، ص173..

لقد ألّفوا عن نبينا عليه الصلاة والسلام كتبا وموسوعات وعقدوا مؤتمرات ،كل ذلك من أجل فهم رسالة الإسلام.وهناك أيضا دليل قاطع على أن الكثير من المستشرقين اهتموا بالتاريخ الإسلامي، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لاعتبارات كثيرة تخدم مصالحهم بالدرجة الأولى ،وأيضا ليتمكنوا من معرفة التراث الشرقي.

لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال أن ننسى فضلهم في تأليف الكتب والمجلدات، خاصة فيما يتعلق بالقرآن والسنة النبوية ترجمة وشرحا وتفسيرا وتعليقا ،وقاموا أيضا بترجم القرآن بعدة لغات،ونتيجة لذلك لا يمكن إنكار جهودهم وأعمالهم التي قاموا بها،والتي قد يعجز عنها الكثير.فللمستشرقين دور فعال في حفظ التراث العربي الإسلامي وصيانته ،وخاصة فيما يتعلق بتحقيق المخطوطات وإعادة إنتاجها من جديد.إلا أن الدراسات الاستشراقية تعتبر مصدر كثير من الغربيين لفهم الثقافة الإسلامية،وهذا ما يحتم على الباحثين المسلمين أن يهتموا بها دراسة وتصحيحاً.

6 – نظرة الغرب إلى رسالة الإسلام:

يجب الاعتراف بأن إساءة الفهم التي من جانب الغربيين، كانت أكثر بكثير مما هو موجود عند أهل الشرق. يبين المستشرق أليكسي جورا فسكي في كتابه الإسلام والمسيحية أسباب الصراع بين الشرق والغرب فيقول:"وبشكل عام، فإنه خلافا للموقف الإسلامي الهادئ وحتى اللامبالي ، كان موقف المسيحيين الغربيين من الإسلام انفعاليا وغير متسامح روحيا لأن الإسلام كان في تصورهم (تحديا) تطلب ردا ومقاومة واهتماما دائما به"[1] .

لقد واجه الإسلام رياحا عاتية على مر العصور من الغرب النصراني ،يتمثل في الغزو العسكري من أجل تحطيمه، وعندما لم ينجح الصراع العسكري و استيقنوا فشله، تطور ذلك الصراع وتعزز بغزو آخر أخطر منه ألا وهو الغزو الفكري والثقافي لضرب الإسلام ومفاهيمه،وتشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم .

---

[1] أليكسي جورا فسكي ، الإسلام والمسيحية ، عالم المعرفة ، صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923-1990 سلسلة شهرية يعيدها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت ،العدد:215، ص 37.

كما أنّ الكثير من هؤلاء المستشرقين أيضا انصبت كتاباتهم لدراسة الدّين الإسلامي،وعلومه المختلفة وعن نبي الإسلام وحياته محاولين قدر جهدهم أن يشوهوا الصورة الكريمة التي رسمها الله سبحانه وتعالى للإسلام ونبي الإسلام"[1] ومن أهدافهم الخفية أيضا هو نشر العقيدة النصرانية ، وبيان فضلها ورجحانها على الإسلام يتساءل الدكتور أكرم ضياء العمري عن هذه الدراسات التي تتعلق بالمسلمين دون غيرهم فيقول:" يعتبر العرب والمسلمون هم المركز الذي تدور حوله دراسات الاستشراق أكثر من بقية الأمم والشعوب. والدراسات التي تناولت الإسلام والمسلمين تختلف عن تلك الدراسات لبقية أرجاء الشرق ، ولعل هذا ملفت للنظر، لماذا تتسم الدراسات المتعلقة بالإسلام والمسلمين بالتحيز والتعصب والغضب ؟ ولماذا لا تتسم بذلك الدراسات عن البوذية مثلا، أو الهندوسية أو الثقافات الأخرى؟"[2]

الجواب واضح في كون الإسلام هو خصمهم الوحيد –حسب تفكيرهم- الذي يهدد معتقداتهم المزيفة ،هذه القوة التي انتشر بها الإسلام سرعان ما وقفت وجها لوجه أمام المسيحية وقفة نضال مستميت. لقد تغلب محمد على الوثنية، ومحا من بلاد الهند – أثرها.ولقد تغلب خلفاء محمد على المسيحية في العراق واليمن والشام ومصر إلى مهد المسيحية مدينة قسطنطين"[3]

إذن الإسلام هو شغلهم الشاغل فيريدون إزاحة من الوجود و تحطيمه بشتى الوسائل المتاحة لديهم،لأنه بالنسبة لهم يهدد وجودهم والإسلام بريء من ذلك ،فهو دين سلام وتعايش وحوار فلا يفرض على أي شخص كان اعتناقه إلا عن قناعة. ورغم كل محاولات التشويه والتحريض التي يتعرض لها الإسلام ،فهو لايزال قويا لأنه دين الله الذي لايبدل ولايغير،فالسُّرعة التي انتشر بها الإسلام مقارنةً بالديانات الأخرى السابقة هي السبب الأكبر في لفْتِ أنظار العالم بعامة، والعالم الغربيِّ على وجه الخصوص لهذا الدين ونبيّه صلى الله عليه وسلم، فقاموا على دراسته تارةً، والحرب عليه تارةً أخرى، وإرسال المغامرين والجواسيس والمكتشفين للأراضي المقدسة وكشفا عن أسراره مرات عدة

---

[1] عفاف صبره ، المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دار النهضة العربية ، جامعة الأزهر، مصر، د ط ،1985م ، ص 05.

[2] أكرم ضياء العمري ، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، الجامعة الإسلامية كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، ط1، د.ت ،ص57.

[3] محمد حسين ، هيكل حياة محمد ، ص24.

مما أدَّى إلى إيمان بعضهم به كدِينٍ، كما فعل عقلاؤهم، أو على الأقل الإعجاب به، فتفرَّغ المستشرقون لدراسة سرِّ انتشار هذا الدين من عصر النبوة وإلى يومنا هذا؛ إذ كان انتشار الإسلام في عهده صلى الله عليه وسلم معجزته، تبقى أيضًا معجزةً له في سرعة انتشاره في عصرنا كدليل صدق من دلائل نبوته الباهرة"[1].

لكن الفضل يعود فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه ،فالفتح الإسلامي الذي أوقع ما أوقع من القلق في أوروبا وآسيا ، لم تكن له سابقة ولا تقارن سرعته بتغير السرعة التي قامت بها دولة المغول بقيادة " جنكيز خان "لولا أن هذه الدولة زائلة ودولة الإسلام باقية.فلم يزل للإسلام أتباعه في كل بلد دخله الخلفاء الأولون وقد كان ذيوعه كذيوع البرق معجزة حقيقية"،فكعب العرب إنما سما بين الأمم جمعاء بفضل تمسكهم بهذا الدين والتشبع بروحه التي نقلتهم من الحضيض إلى ذروة السمو الخلقي وكانت أعمالهم في دنياهم مصداقا لتقواهم، فاحتلوا مكانا مرموقا بين غزاة العالم العظام، لقد ذابت الإمبراطوريات العظمى تحت حرارة إيمانهم كما يذوب الجليد تحت حرارة الشمس اللافحة ، ولم يكتفوا بغزو الأقطار الشاسعة، بل أقاموا أركان دولة عظيمة دامت أكثر من ثلاثة عشر قرنا"[2].

تنطلق في الغرب الكثير من الصيحات التي تحذر من الانتشار الواسع للإسلام بين أوساط النصارى الغربيين أنفسهم، مما جعل الحكومات الغربية تعير له الأهمية القصوى وتنظر له نظرة واقعية مع ما في تلك النظرة من تخوف وسلبية، وتجزع من هذا الخطر الداهم بالنسبة إليهم،والعابر للحدود والقارات متجاوزا بذلك الاختلافات الإثنية والعرقية ، فهم ينظرون إلى الإسلام والمسلمين نظرة سلبية من ورائها العديد من الأسباب، نذكر منها الاختلاف في الدين والعقيدة والتخوف من دخوله مجتمعاتهم إليه.

---

[1] إبراهيم أحمد، سر انتشار الإسلام ،من موقع شبكة الألوكة:https://www.alukah.net/culture/0/64727/تاريخ المراجعة: 2019/02/04 التوقيت:20:00 بتصرف.

[2] زكريا هاشم ، المستشرقون و الإسلام، ص296/295.

إلا أنّ الإسلام في الحقيقة ما هو إلا مكمل وخاتم للديانات السماوية السابقة يقول محمد فتح الله الزيادي في هذا الشأن: "و إذا كان الإسلام يتفق مع بقية الديانات التي سبقته في وحدة الأديان ومصدرها الإلهي، فإنه يختلف معها في كونه الدين النهائي الخاتم لجميع الأديان .كما أن نبيه محمد صلى الله عليه سلم هو الخاتم لجميع النبيين "[1].

إنّ الإسلام دين الوسطية والحضارة وهو الدين الذي حوّل المجتمعات من الهمجية إلى التحضر، تقول لورا فيشيافا غليري Laura Vishyava Gelleri "نشأ الإسلام، مثل ينبوع من الماء الصافي النمير، وسط شعب همجي يحيا في بلاد منعزلة جرداء بعيدة عن ملتقى طرق الحضارة والفكر الإنساني، وكان ذلك الينبوع غزيرا إلى درجة جعلته يتحول وشيكا إلى جدول، ثم إلى نهر،ليفيض آخر الأمر فيتفرع منه آلاف القنوات تتدفق في البلاد"[2].لقد وصفت **"لورا"**الإسلام وصفا يليق به وبعالميته فقالت:"هذا دليل ساطع أن الرسول شعر في يقين كلي أن رسالته مقدر لها أن تعدو حدود الأمة العربية وأن عليه أن يبلغ الكلمة الجديدة إلى شعوب تنتسب إلى أجناس مختلفة، وتتكلم لغات مختلفة "[2].

اقتضت حكمة الله أن جاء الإسلام لجميع الخلق رحمة بهم، فهو صالح لكل زمان ومكان،وجاء كاملاوخاتما للأديان السابقة، وقد أنزل الله آيات صريحة توحي بعالميته، قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ:28]،ويصف محمد فتح الله الزيادي في كتابه ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين حول عالميته وتعدّيه جزيرة العرب التي كانت موطن بزوغه بقوله: "هذه الخاصية –أي للإسلام–تتمثل في كونه دينا عاما أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ليقوم بتبليغه للناس كافة، عربا وعجما، بيضا وسودا ، إنسًا وجنًّا"[3].

---

[1] محمد فتح الله الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها،الكتاب الإسلامي، طرابلس – ليبيا، ط 1، 1983م ،ص 19.

[2] المرجع نفسه،ص20.

3لورا فيشيافا غليري ، دفاع عن الإسلام ، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط5، 1981 م ،ص21.

7 – مناهج الغرب في دراسة القرآن والسنة النبوية:

عندما أدرك الغرب هذه القوة الهائلة التي انبعثت من شبه الجزيرة العربية تصل إلى ديارهم وتفتح بلدانهم الواحدة تلوى الأخرى ،بدأ حينها الغرب يخمن للتخطيط والتآمر على رموز الإسلام من خلال الطعن في الوحيين وزرع الشكوك فيهما،ويرجع الأستاذ نذير حمدان هذا التلاعب خاصة فيما يتعلق بالوحي والنبوة إلى أمرين اثنين فيقول: " مهما وضع المستشرق نفيه موضع الحيدة والنزاهة في ظاهرة الوحي والنبوة فإن صراحة الكلمة والجرأة على قول الحق، وأمانة الرأي، ومسؤولية الحق العلمي تخونه في كثير من الأحيان وذلك: إما برفضه النبوة رفضا تاما بأدلة واهية أو مرجوحة، وإما بعرضها على أسلوب التشكيك" ،فقام الغرب بتطبيق مناهج ترجع في الأساس إلى تأثر بعض المستشرقين بالنزعة الإلحادية المادية التي سادت أوروبا في عصر النهضة،فقاموا بتطبيق مناهج وضعية على الوحيين القرآن والسنة النبوية.

استخدم الغرب عدة مناهج في دراستهم للقرآن والسنة ، كالمنهج الإسقاطي، ومنهج التأثير والتأثر وغيرهما من المناهج الوضعية ،وهدفهم في ذلك هو الوصول إلى نتيجة مفادها أن الإسلام دين وضعي من صنع بشري،فيقول في ذلك الأستاذ نذير حمدان "فمعظم المستشرقين الذين يدرسون ظاهرة الوحي والنبوة يدرسونها من خلال الأحداث الإنسانية والأحوال البشرية.و كثيرا ما يستعينون بالدراسات النفسية والتحليلات التاريخية ودراسة هذه الظاهرة كما تدرس بطولات آدمية وعبقريات إنسانية"[1].

لقد أثّرت مناهجهم تلك على العامة،وأصبحت كتاباتهم وأهدافهم مغلفة بالمكر والدهاء، واختلط أمر – الاستشراق– على الكثير من المسلمين ،فلم يعد يميز بين المادح منهم والقادح "و قد كانت ذلك بالفعل ،فنظر أولئك وهؤلاء في نصوص القرآن والحديث والسيرة النبوية نظرة ادعوا أنها نقد حر"[2].

---

[1] نذير حمدان ، الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين ، ص28،29

[2] زكريا هاشم ، المستشرقون و الإسلام، ص23.

8- نمطية الصورة عند الغرب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم:

لقد اختلفت تصورات المستشرقين حول شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وتنوعت كتابتهم،فمنهم من عد محمدا صلى الله عليه وسلم قائدا وزعيما، وبعضهم جعله عبقريا أو مصلحا اجتماعيا يقول الدكتور علي بن إبراهيم النملة "لم تسلم سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من الهمز واللمز والطعون والشبهات و المزاعم والأخطاء والتناقضات والإنكار، من قبل رهط من المستشرقين الذين تعرضوا لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه السمات هي مجمل المواقف من سيرة الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وسنته المطهرة في متنها وسندها الذي تنفرد به الثقافة الإسلامية في التحقق من الرواة والثقات من أهل الحديث الشريف"[1].

ومن بين صور المستشرقين حول الرسول صلى الله عليه وسلم:

1-أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ليس رسولا وإنما مؤدي رسالة.

2-أنّ القرآن الكريم ليس وحيا من عند الله ،بل هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.

3- أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم اقتبس القرآن من التوراة والأناجيل وأخبار الماضين وأساطير الأولين"[2] .

لكن هناك طائفة مِن المستشرقين بحثوا في السيرة النبوية، وأنصفوها ، ودافعوا عنها حتى وإن لم يؤمنوا بالرسالة المحمدية،فقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية الميزة التي اختص بها الرسول صلى الله عليه وسلم ،وهي أنه أرسل إلى العالم كافة، بينما كانت الرسالات الأخرى محدودة،وجاء الإسلام رحمة وهداية لكل الشعوب ،كما ورد في القرآن الكريم قال سبحانه:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾(الأنبياء 107).

---

[1] علي بن إبراهيم النملة ، نقد الفكر الاستشراقي ،مكتبة الملك فهد، الرياض – المملكة العربية السعودية،ط1، 2010 م ،ص 157.

[2] فاطمة زبار عنيزان وخديجة زبار عنيزان، جامعة بغداد ، دراسة تحليلية لبعض آراء المستشرقين عن السيرة النبوية المطهرة،مجلة العميد،العدد الخاص السنة الثانية ،2013،ص 154.

لقد وضع الإسلام أُسُسًا للحوار والتعايش والسلام بين الأمم قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات:13] .

جاء في المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية ، تحت شعار تعميق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أن ميزة النبي العظمى هي وضع أساس السلم العالمي، فهو لم يضع الأسس التي يعيش الأفراد بمقتضاها في سلام جنبا إلى جنب فحسب ،بل علمهم كيف تعيش القبائل والشعوب في سلام ووئام"[1]

9- تيار التغريب وعلاقته بالاستشراق:

التغريب هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بأسلوب الغرب ، والتي تمثلها اليوم مؤسسات إعلامية وثقافية موجودة ومنتشرة في الغرب والشرق،إن أخطر ما يهدد عقيدة الإسلام وثقافة المسلمين هو حركة "التغريب"،والتي وصلت نتائجها إلى جيلنا الجديد عبر المناهج التربوية والوسائل الحديثة.

تضافرت جهود الغرب لمحاربة الوجود الإسلامي في العالم من خلال هذه الحركة الهدامة ، وذلك بخلق تصور عام لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عند عامة المسلمين في البلاد العربية وغيرها، تصور مشوب بالشبهات،تضمنته مناهج في التربية والتعليم التي وضعت تحت إشراف وتوجيه المستشرقين والمبشرين الذين كان لهم السلطان التربوي والفكري في تلك البلدان إبان الحكم الاستعماري"[2]. خلق جيل جديد ينفر من قيم الإسلام ومقوماته وفق مخططات مدروسة ومراحل زمنية ومكانية دقيقة، ثم يتطور العمل إلى إحلال مفاهيم جديدة وقيم جديدة ترتبط بالإعجاب والتقدير للفكر الغربي وآثاره وللأعلام من الغرب وتقدير بطولاتهم وإنجازاتهم وخلق جو من التسامح

[1] محمد موسى المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية ، تحت شعار تعميق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، الخرطوم السودان ،الكتاب الخامس 2013 م، ص283.

[2] عبد القهار داود عبد الله العاني ، الاستشراق والدراسات الإسلامية ، دار الفرقان ،عمان –الأردن ،ط1،2001م، ص123 بتصرف.

بين النفوذ الأجنبي والأمم المغلوبة باسم الدعوات الإنسانية والعالمية والأممية وحقوق الإنسان"[1].

إنّ التغريب مخطط حديث وبديل عن ما جاءت به الشعوبية، هدفه هدم مقومات الأمة العربية والإسلامية خاصة القرآن والسنة النبوية،وجاء هذا المخطط عبر جهد مضني من طرف السياسيين والمستشرقين،فبعد ما درسوا الإسلام وفهموه جيدا،خلقوا لجيلنا دينا جديدا ممتلئا بالخرافات والخزعبلات ،من أجل خدمت مصالحهم الدينية والسياسية والاقتصادية...الخ ،ولأنهم يعتمدون على فكرة البناء والهدم ،أي هدم مبادئ الإسلام واستبداله بمقومات أخرى.

10- ظاهرة الاستغراب:

يمكن تعريفه بالعلم الذي يهتم بدراسة الغرب ،وهو في الحقيقة استشراق مضاد، أو استشراق معكوس، تولته مجموعة من الباحثين من دول الجنوب من جهة، ودول العالم العربي والإسلامي من جهة ثانية، والغرض منه هو فهم الغرب بطريقة جيدة، وتفكيك مركزيته السياسية والثقافية، ونقد أطروحته الاستعمارية والإيديولوجية، ويسمى هذا الاستشراق المضاد بنظرية ما بعد الاستعمار من جهة، أو علم الاستغراب من جهة أخرى"[2].

يتساءل دكتور مشتاق بشير الغزالي حول ماهية الاستشراق فيقول "هل كان الإستشراق سيئة إلى هذا الحد؟ وهل يستحق هذا العداء من قبل رموز هامة من مفكرينا؟ أم أن أولئك الرموز لم يقفوا بعد على ماهية الاستشراق، ولم يتعرفوا بشكل دقيق وواضح على حجم النتاج الاستشراقي وطبيعته"[3]

ينتهي بنا المطاف هنا لنتعرّف على الاستشراق ،ماهيته ،مناهجه وسائله ،مدارسه، أهدافه ودوافعه، أثاره.

---

[1] أنور الجندي، الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية ، ص 6/5 بتصرف.

[2] جميل حمداوي الاستشراق والاستمزاغ والاستعراب والاستغراب, منشورات حمداوي الثقافية ،تطوان- المغرب ،ط1 ،2019،ص39.

[3] مشتاق بشير الغزالي، أزمتنا مع الإستشراق، مجلة مركز دراسات الكوفة،جامعة الكوفة ، العدد الثامن، 2008، ص 25.

الفصل الأول:

- **ماهيـــــــة الاستشـــراق**

المبحث الأول: تعريف الاستشراق والمستشرقين

المبحث الثاني: نشأة الاستشراق (مدارسه، ومناهجه)

المبحث الثالث: دوافع وأهداف الاستشراق ،وسائله، وآثاره

- **المبحث الأول: تعريف الاستشراق والمستشرقين**

إنّ مصطلح "الاستشراق" ليس بجديد بل هو قديم ظهر بشكل واضح في القرن السادس عشر ميلادي، وهذا المصطلح له ماضي سيئ وحمولات سلبية وخاصة عندما يتعلق الأمر بالغزو الفكري أو الثقافي. وقد بالغ البعض في ذم الاستشراق ونبذه كليا، بينما يرى البعض الآخر في الاستشراق إنما هو ثمرة جهد علمي هدفه دراسة الشرق ومحاولة التعرف على مخزونه الحضاري. فما معنى كلمة "استشراق" ؟ لو أرجعنا هذه الكلمة إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء ،ومعناها طلب الشرق ، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه وفنونه[1].

على الرغم أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة، لكن الأمر الأكيد أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير. ولعل كلمة (مُسْتَشْرق) قد ظهرت قبل مصطلح (اسْتشْرَاق)، فهذا آربري Arberry في بحث له حول أول ظهور لمصطلح (الاستشراق) يقول: "والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1630م، وفي سنة 1691م استعمل آنتوني وود Anthony Wood واصفا صمويل كلارك Samuel Clarke بأنه (استشراقي نابه) يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. وبيرون في تعليقاته على Childe Harold's Pilgrimage يتحدث عن المستر ثورنتون وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق[2].

فما هو المقصود بمصطلح (الاستشراق) من وجهة نظر علماء الشرق والغرب؟ وماهي حقيقته؟ ومن هو المستشرق؟ وما هي بوادر نشأة الاستشراق وتاريخه؟ وما هي أهدافه؟ وأشهر مدارسه؟ وكيف كانت مناهجه في دراسة الإسلام ؟وما هي أهم أثاره ونتائجه على المجتمعات العربية ؟.

---

[1] أحمد سمايلوفتش، (فلسفة الاستشراق المعاصر)، دار الفكر العربي ، مدينة نصر، القاهرة، د.ط،1998، ص22.

[2] المرجع نفسه،ص23

1- تعريف الاستشراق:

يمكن في هذا السياق أن نبدأ بتعريفات المستشرقين أنفسهم لهذا المصطلح فهم أصحابه، لكن ارتأيت أن أبدأ بالمعنى اللغوي لهذه الكلمة حتى يتجلى لنا معرفة أصل الكلمة.

1- 1- لغةً:

- كلمة "الاستشراق" لو أرجعناها إلى أصلها لوجدناها: مشتقة من مادة "شرق" يقال شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت[1].
- والشرق :خلاف الغرب، والشروق كالطلوع، وشرق يشرق شروقا، ويقال لكل شيء طلع من قبل المشرق.
- والتشريق :الأخذ في ناحية المشرق .يقال: شتان بين مشرق ومغرب .وشرقوا :ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق .وكل ما طلع من المشرق فقد شرق[2].
- فالشرق إذا يرمز إلى ذلك الحيز المكاني من الكون وهو الشرق ،وقد تعرضت لفظة الشرق في أعقاب الفتوحات الإسلامية لتغيير آخر في معناها، فشملت مصر وبلدان شمال إفريقيا.
- أُضيفت إلى كلمة(شرق) ثلاثة حروف هي: الألف والسين والتاء،لتصبح استشراق ومعناها:طلب الشرق،وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته، وأديانه"[3].

1-2- اصطلاحا:

يختلف الباحثون في المعنى الاصطلاحي للاستشراق، وسبب هذا الاختلاف يرجع إلى الغرض والغاية من الاستشراق،فتعريفات العرب تختلف قليلا عن تعريفات المسشرقين الغربيين.

---

[1] ينظر: محمد الرازي، (مختار الصحاح)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية –الدار النموذجية- (بيروت- لبنان)، ط5، 1420هـ، 1999م 164/1.

[2] محمد ابن منظور، (لسان العرب)، دار صادر، (بيروت- لبنان) ، ط3، 1414هـ ، ص: 174/10.

[3] مطبقاتي مازن،(الاستشراق)،https://islamhouse.com/ar/books/343849/،تاريخ المراجعة:2019/02/02،التوقيت:10:10 ص: 3.

1- مفهوم الاستشراق عند العلماء الغرب:

يمكن أن نبدأ – كما ذكرنا سابقا- بتعريفات المستشرقين أنفسهم لهذا المصطلح فهم أصحابه،ومن هؤلاء المستشرق الألماني"رودي بارت" Rudy Bart [1]،الذي يعرف الاستشراق بأنه علم يختص بفقه اللغة خاصة، ولابد لنا إذن التفكير في المعنى الذي أطلقت عليه كلمة "شرق" وكلمة شرقا تعني مشرق الشمس،وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، والأمر إلى هذا الحد واضح، ولكن ما معنى كلمة شرق في هذا المقام بالذات؟ الظاهر أن اسم الشرق تعرض لتغيير في معناه،فالشرق بالقياس إلينا نحن الألمان، يعني العالم السلافي،العالم الواقع خلف الستار الحديدي،وهذه المنطقة يختص بها علماء بحوث شرق أوروبا، أما الشرق الذي يختص به الاستشراق فمكانه جغرافيا في الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا،وذلك الاصطلاح راجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة التي كان فيها البحر المتوسط يقع كما قيل في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تحدد بالنسبة إليه،فلما انتقل مركز الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق بالرغم على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط كذلك تعرضت لفظة "الشرق" في أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية لتغيير آخر في معناها، أو إذا شئنا دقة أكثر ،تعرضت لاتساع في نطاق مدلولها، فقد انطلق الفاتحون في ذلك الوقت من شبه الجزيرة العربية لا ناحية الشمال والشرق فحسب، بل إلى ناحية الغرب كذلك، وزحفوا في غضون عشرات من السنين إلى مصر وشمال إفريقيا وتعرب السكان تدريجيا "[2].

أصبحت الحضارة العربية الإسلامية تسود معظم أرجاء العالم طوال قرون كثيرة، فامتدت في وسط آسيا، و شمال الهند و غرب و جنوب آسيا، و شمال إفريقيا و جنوب غرب أوروبا و جميع جزر البحر المتوسط،مما أدى إلى وحدة حضارية عالمية أصبحت كلها في مرمى المستشرقين .

---

[1] رودي بارتRudy Bart (1901- 1983 م) هو مستشرق ألماني، ودخل جامعة توبنجن، فحصل منها على الدكتوراه الأولى في سنة 1924،ثم على دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة في سنة 1926. عبد الرحمن بدوي، (موسوعة المستشرقين)،دار العلم للملايين،بيروت- لبنان،ط3،1993م،ص62.

[2] رودي بارت، (الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية- المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). تر: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، (القاهرة- مصر) ،د.ط، 2011 ص : 17، 18 بتصرف.

يحدّد قاموس أكسفورد الجديد كلمة المستشرق Orientalist بأنه "من تبحّر في لغات الشرق وآدابه."[1]

إن التبحر لا ينال إلا بالكدّ والتضحية وتفريغ النفس لأمر رآه هؤلاء جديرا بذلك.ويُعرّف جويدي علم الاستشراق ب: "...هو وسيلة لدراسة كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب ،إنما هو علم الاستشراق، بل نستطيع أن نقول إن غرض هذا العلم الأساسي. ومن الغربيين الذين تناولوا ظهور الاستشراق وتعريفه، المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Rodinson ،الذي أشار إلى أن مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الفرنسية عام 1799م، بينما ظهر في اللغة الإنجليزية عام 1838م، وأن الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلى إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق "الاستشراق مدرسة فكرية ذات خصائص ودوافع وغايات ،وليس من اليسير الإحاطة به[2].

لقد ابتعد الغرب عن استخدام مصطلح استشراق وحوّله إلى الدراسات الاستراتجية،وأصبح المستشرق يعرف بالخبير. وكما قال **"برنارد لويس"** إن هذا المصطلح أي الاستشراق قد ألقي به في مزابل التاريخ. فقد رأى الغرب أن هذا المصطلح ينطوي على حمولات تاريخية ودلالات سلبية، وأن هذا المصطلح لم يعد يفي بوصف الباحثين المتخصصين في العالم الإسلامي. فكان من قرارات منظمة المؤتمرات العالمية في مؤتمرها الذي عقد في باريس عام 1973 ،بأن يتم الاستغناء عن هذا المصطلح، وأن يطلق على هذه المنظمة(المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا(ICHSANA). وعقدت المنظمة مؤتمرين تحت هذا العنوان إلى أن تم تغييره مرة ثانية إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية (ICANAS).وقد عارض هذا القرار دول الكتلة الشرقية (روسيا والدول التي كانت تدور في فلكها). ومع ذلك ففي المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال إفريقيا، الذي عقد في بودابست بالمجر كان مصطلح الاستشراق والمستشرقين يستخدم دون أي تحفظات، مما يعني أن الأوروبيين الغربيين والأمريكيين هم

---

[1] أحمد سمايلوفتش، (فلسفة الاستشراق المعاصر) ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر، القاهرة، د.ط،1998،ص: 23 نقلا عن: آرثر ج. آربري،(المستشرقون البريطانيون)، تعريب محمد الدسوقي النويهي. وليم كولينز ،لندن، د.ط،1946 ص8/7.

[2] محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، تعريفه، مدارسه، وآثاره)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، (الرباط- المغرب)،د.ع، 2012م، ص:11بتصرف

الأكثر اعتراضا على هذا المصطلح.ولعل هذا ليفيد المغايرة بحيث يتحدثون عن المستشرقين ليثبتوا أنهم غير ذلك،بل هم مستعربونArabists أو إسلاميون Islamists أو باحثون في العلوم الإنسانية Humanistsأو متخصصون في الدراسات الإقليمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي تختص ببلد معين أو منطقة جغرافية معينة، فموقفنا نحن من هذا التخصص أو التخصصات، فيسعنا ما وسع الغربيين فإن هم اختاروا أن يتركوا التسمية فلا بأس من ذلك، شريطة أن لا نغفل عن استمرار اهتمامهم بدراستنا والكتابة حول قضايانا وعقد المؤتمرات والندوات ونشر الكتب والدوريات حول العالم الإسلامي واستمرار أهداف الاستشراق، وأن لا يصرفنا تغيير الاسم عن الوعي والانتباه لما يكتبونه وينشرونه[1].

إن للاستشراق تعاريف كثيرة ومتشعبة وصلت أحيانا إلى حد الغموض، وسبب ذلك الغموض يرجع إلى خلفيات هؤلاء المستشرقين ونواياهم المختلفة حول رؤيتهم للشرق.

2- مفهوم الاستشراق عند العلماء العرب:

لو انتقلنا إلى الباحثين والدارسين العرب الذين تناولوا هذا المصطلح نجد أن لإدوارد سعيد عدة تعريفات منها: "الاستشراق هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقريرات حوله، وبوصفه وتدريسه، والاستقرار فيه وحكمه، وهو بإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادية عليه".[2] ويقول أيضا :"هو أسلوب في التفكير مبني على تميّز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق- معظم الوقت- وبين الغرب.ويضيف إدوارد سعيد بأن الاستشراق ليس مجرد موضوع سياسي أو حقل بحثي ينعكس سلباً باختلاف الثقافات والدراسات أو المؤسسات. وليس تكديساً لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق...إنه بالتالي توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية وعلمية واقتصادية و اجتماعية وفي فقه اللغة. وفي موضع آخر يعرف إدوارد الاستشراق بأنه المجال المعرفي أو

[1] مطبقاتي مازن، (الاستشراق) ،https://islamhouse.com/ar/books/343849/،تاريخ المراجعة:2019/02/02،التوقيت:10:16 ص: 6.

[2] إدوارد سعيد، (الاستشراق)، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث، (بيروت- لبنان)، ط6، 2003م، ص: 39

العلم الذي يُتوصل به إلى الشرق بصورة منظمّة كموضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق .ويقول في موضع آخر إنّ الاستشراق: نوع من الإسقاط الغربي على الشرق ،وإرادة حكم الغرب للشرق."[1] .

يُعرفه الدكتور محمود حمدي زقزوق الاستشراق فيقول: "إن المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا هو المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي، عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين"[2]

ويزيد الدكتور جابر قميحة تعريفا آخر للاستشراق يشبه تعريف حمدي زقزوق: أن المراد بالاستشراق ما يقوم به الغربيون من دراسة لتاريخ الشرق وأممه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره [3] لكن يبدو أن محمود شاكر رأى عكس تعريف إدوارد سعيد وغيره مما سبق، حيث يذهب إلى أن الاستشراق "هو محاولة لهيمنة المسيحية الشمالية كما أسماها على البلاد الإسلامية"[4].

إن كثيرًا من الباحثين يتفقون على عناصر مشتركة للاستشراق والمستشرقين، ويعود ذلك إلى تصور كل واحد منهم لحقيقة الاستشراق وأهدافه.ويذهب أحمد غراب إلى نفس ما ذهب إليه محمود شاكر في تعريفه إلا أن تعريفه للاستشراق يعد أكثر تفصيل وشمولية، فيقول: "إنّ الاستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة وثقافة، وشريعة، وتاريخا، ونظما، وثروات، وإمكانيات. بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"[5] .

---

[1] المرجع السابق،إدوارد سعيد، (الاستشراق)، ص: 39.

[2] زقزوق محمود حمدي، (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري)، دار المعارف، (مصر)، ط1، 1981م ، ص: 18

[3] جابر قميحة آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، رابطة العالم الإسلامي، (مكة- السعودية)،العدد:116، 1412هـ/1991م، ص: 15

[4] محمود شاكر، (رسالة في طريق ثقافتنا)، مكتبة الأسرة، مصر ، د.ط، 1997ص: 61 بتصرف

[5] أحمد عبد الحميد غراب، (رؤية إسلامية للاستشراق)، المنتدى الإسلامي، (بيرنجهام)، ط2، 1411هـ،ص: 8/7 بتصرف.

يعرف السيد محمد الشاهد – الاستشراق- بعد بحثه في المعاجم اللغوية (الألمانية والفرنسية والإنجليزية) عن كلمة شرق Orient،فوجد أنها تشير إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة أخرى تتميز بطابع معنوي وهو Morgenland وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على التحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة"[1] .

لو أردنا أن نوفق بين هذه التعاريف – التي ذكرناها سابقا- حتى تصب في مجرى واحد،لأخذنا تعريف الدكتور مازن المطبقاني، والذي أضاف إلى تعريف أحمد غراب بعض الزيادات، وتفرع ليشمل نطاقا أوسع مما يتصوره الباحث، فقال عن الاستشراق: "هو كل ما يصدر عن الغربيين من أوروبيين (شرقيين وغربيين بما في ذلك السوفيت) وأمركيين من دراسات أكاديمية تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن، كما يلحق بالاستشراق كل ما ثبته وسائل الإعلام الغربية سواء بلغاتهم أو باللغة العربية من إذاعات أو تلفاز أو أفلام سينمائية أو رسوم متحركة أو قنوات فضائية، أو ما تنشره صحفهم من كتابات تتناول المسلمين وقضاياهم.كما أن من الاستشراق ما يخفى علينا مما يقرره الباحثون والسياسيون الغربيون في ندواتهم ومؤتمراتهم العلنية والسرية. ويُمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط وماروئيين وغيرهم، ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ولا بد أن نُلحِق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين، وتبنَّوا كثيرا من أفكار المستشرقين حتى إن بعض هؤلاء التلاميذ تفوق على أساتذته في الأساليب والمناهج الاستشراقية، ويدل على ذلك احتفال دور النشر الاستشراقية بإنتاج هؤلاء ونشره باللغات الأوروبية على أنها بحوث علمية رصينة "[2].

---

[1] السيد محمد الشاهد، (الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين)،مجلة الاجتهاد،دار الاجتهاد،بيروت، لبنان، عدد: 22،1994م، ص: 196،197.

[2] المرجع السابق،مطبقاني مازن، (الاستشراق) ، ص: 5.

إنّ الملاحظ في تعريف مطبقاني أنه أعم وأشمل ،إذ أدخل في تعريف الاستشراق الوسائل الحديثة، وكل ما له علاقة بتأثير في العقل العربي والمشرقي، ولم يستثن لغة أو عرقا، ولو كانت القناة مثلا ناطقة باللغة العربية، لكن منهجها منهج روسي كقناة "روسيا اليوم" مثلا، أو فرنسي مثل: "فرانس 24"، أو بريطاني مثل: "بي بي سي". التي تعد من أقدم القنوات الاعلامية الغربية الناطقة باللغة العربية،وعليه فالاستشراق هو اهتمام علماء الغرب بعلوم المسلمين وتاريخهم ولغاتهم وآدابهم وعاداتهم ومعتقداتهم وكل مايتصل بهم.

بغض النظر عن مدى الاتفاق والاختلاف مع كل تعريف من التعريفات السابقة ،فإن المقصود هو الانطلاق من تعريف الاستشراق إلى بيان حقيقته التي أجملها كثير من الباحثين في كونه وثيق الارتباط بالتنصير والاستعمار الغربي ،مفتقدًا للأمانة العلمية والموضوعية الخالصة في دراسته للإسلام،و للاستشراق اليوم دور فعّال في صنع القرار السياسي في الغرب تجاه الإسلام والمسلمين،وهو يمثل بصدق موقف الغرب من الإسلام وحضارته[1].

3- علاقة الاستشراق بالاستعراب:

من المصطلحات التي لها علاقة بالاستشراق هو الاستعراب،ويعني دراسة العالم العربي والإسلامي، سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا واقتصاديًا، وفهم الأساس الفكري الذي قامت عليه الحضارة العربية. المستعرب عند محمد الغزالي هو الذي يعنى بدراسة تاريخ وتراث ومعارف وأديان العرب،فالمستعرب عنده أخص من المستشرق،لأن الثاني تشمل اهتماماته بالشرق عامة،فيما يختص المستعرب بدراسة تاريخ وتراث العرب"[2].

فالمستعربون هم الذين يهتمون بالدراسات العربية الإسلامية، وبخاصة الأندلسية منها، أما المستشرقون فهم الذين يهتمون بقضايا الشرق عموما، وقضايا الشرق الأقصى خصوصا .إذن الاستعراب ظاهرة حضارية رافقت التوسع الإسلامي ،وكان اهتمام المستعربين بالعالم العربي الإسلامي نابع من رغبة جامحة لفهم هذا العالم المجهول لديهم تحضيرا للتفاعل معه سلبا وإيجابا.

---

[1] محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة و الشريعة ضد مطاعن المستشرقين،نهضة مصر ،الإسكندرية _مصر، ط07 ،2005م ،ص9 بتصرف.

[2] المرجع نفسه،ص10 بتصرف.

4- المستشرقون:

بما أن الباحثين سواء الغربيين أو العرب قد اختلفوا نسبيا في تحديد مفهوم "الاستشراق"، فمن البديهي أن ينشأ اختلافهم في تحديد مفهوم "المستشرقون"، و كل منهم عرف المستشرق حسب وجهة نظره ومنطلقه ،وفيما يلي نلخص بعض تلك التعاريف الخاصة بالمستشرقين:

قديمًا أطلقت كلمت "مستشرق" لأول مرة سنة 1630م على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، ثم أطلقت بعد ذلك على من عرف لغات الشرق، وعرف قاموس أكسفورد الجديد معنى "المستشرق" بأنه من تبحر في لغات الشرق وآدابه، وكانت تطلق في البداية على من تخصص في فقه اللغات الشرقية[1].فالمستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه، والمصطلح – "المستشرقون"– أو الاستشراق هو كهانة جديدة تلبس مُسُوح[2].

العلم والرهبانية في البحث وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد، وجمهرة المستشرقون مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه وافتراء عليه. ولقد عد بعض الدارسين العرب من غير المسلمين الذين اشتركوا مع الغربيين في نظرتهم إلى الإسلام وحضارته "مستشرقين".

يجعل محمد محمد حسين اصطلاح المستشرقين اصطلاحا واسعا يشمل طوائف متعددة من الباحثين والعلماء، الذين يعملون في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة، فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب واللغات والديانات والتاريخ وما يخص شعوب الشرق، مثل :الهند والفرس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من الأمم والشعوب."[3]

تخصص المستشرقون في دراسة الحضارة العربية والإسلامية ،فاهتموا بلغاتها وآدابها ولهجاتها وأدياتها وأقلياتها،فأنشؤوا كتبا ومصنفات تخص الوطن العربي بالدرجة الأولى.

---

[1] محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، تعريفه، مدارسه، وآثاره)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، (الرباط– المغرب)، 2012م، ص: 11

[2] المسوح: جمع مِسْح ،وهو الكساء من الشعر.

[3] شاكر عالم شوق، (أخطر تحدي للإسلام)، مجلة دراسات الجامعة العالمية الإسلامية، (بنغلادش)، المجلد : 3، ص: 65.

يعتقد أحمد سمايلوفيتش أن المستشرقين هم الذين نادوا بالتعليم والآداب الهنديين...وهم من تبحروا في علوم الشرق وآدابه"[1]

يتفّق المفكرون و الباحثون العرب على أن المستشرقين هم من قاموا بدراسة الشرق وعلومه بصفة عامة، ودراسة الإسلام وحضارته بصفة خاصة. فالمستشرق إذن هو عالم متخصص في المعارف الخاصة بالشرق عموما والعرب والاسلام على وجه الخصوص،ويطلق أيضا على الشرقيين من غير المسلمين الذين تناولوا هذا الموضوع، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه صورته ومحاسنه والافتراء عليه.تعود تسمية كلمة "مستشرق" عند بعض المؤرخين إلى نهاية القرن الثامن عشر فقد جاء في كتاب الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،أن مفهوم مستشرق (Orintalist) لم يظهر في أوروبا إلا في نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولا في انجلترا عام 1779م وفي فرنسا 1799م.[2]

الخلاصة لهذه التعاريف أن المستشرق عالم أو مؤرخ تخصص في بحث ودراسة كل ما يتعلق بالشرق عامة،والإسلام والمسلمين خاصة، وتكمن هذه الدراسة في معرفة تاريخ الشعوب ودينها وحضارتها ولغاتها وكل ما يتعلق بها. وأكثر هؤلاء المستشرقين هم من القساوسة أو موظّفين في دوائر سياسية أو مستشارين لحكومات استعمارية .

قسم بعض الدارسين والمفكرين العرب المستشرقين إلى فئتين:

إحداهما: تستحق الاحترام والتقدير لمآثرها في نشر العلم، وتسهيل الوصول إلى مؤلفات لو لم يُبادروا إلى دراستها وفهرستها وتحقيقها لظلت حبيسة خزائن المكتبات أو تعرضت للتلف،إضافة إلى تعرّف الغربيين على الحضارة العربية والإسلامية.

[1] أحمد سمايلوفتش،(فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر)،دار الفكرالعربي،مدينة نصر،القاهرة، د.ط،1998، ص: 22 بتصرف.
[2] محمود حمدي زقزوق ، (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري)، دار المعارف، (مصر)، ط1، 1981م ، ص: 20.

وثانيهما: تحكمت فيها الأهواء فلم يروا في الإسلام شيئًا ذا شأن،وحاولوا نسبة كل شيئ إلى اليهودية أو النصرانية أو اليونانية أو الرومانية.

من هنا يتبين أن مضمون الظاهرة الاستشراقية لا يعدُّ جديدًا، فموقف معظم المستشرقين غير المسلمين هوإنكار الوحي،وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ،وإثارة الشبهات حول الإسلام،وإن كان الجديد فيه إلباسه لباس الحياد والنظرة العلمية المجردة وتجنب القدح المباشر، ولكن الكثير من المستشرقين يعجز عن ضبط ميوله الذاتية وأهوائه الفكرية .بعد إمعان النظر في الآراء التي صاغها الباحثون والدارسون حول طبيعة الاستشراق والمستشرقين، أمكننا التوصل إلى نتائج ذات دلالات بالغة وواضحة نستخلص منها الحقائق التالية:

أولا: نشأ الاستشراق في بدايته تحت قبة الكنيسة،وكان معظم رجاله من القساوسة ورجال الدين.

ثانيا: أن الاستشراق علم ذو حدود واسعة وأحيانا غير واضحة، إذ يختلط ميدانه بميادين العلوم الأخرى،لأن المستشرق قد يشارك في أبحاثه علماء الآثار،والحفريات، والفنون، والفلسفة وغيرها من العلوم.

ثالثا: أن المفهوم العلمي لكلمتي "الاستشراق" و"المستشرق" قد مر بمراحل مختلفة منذ عام 1783م عندما كان يعني أحد أعضاء الكنيسة الشرقية إلى عصرنا هذا ،حيث أصبح يعني التبحر في إحدى لغات الشرق وآدابها، فكأن هذا التبحر شرط أساسي في عالم الاستشراق، لأنه لا يمكنه أن يأتي بنتائج علمية سليمة إطلاقا، إلا بذلك كما هو واضح عند "آريري وديتريش".

رابعا: أن كلمة استشراق ذات دلالتين، أولهما: أنه علم يختص بفقه اللغة ومتعلقاتها على وجه الخصوص. وثانيهما: أنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي على وجه العموم، فعلى هذا الأساس يشمل كل ما يتعلق بمعارف الشرق من لغة وآداب، وتاريخ وآثار، وفن وفلسفة وغيرها "[1].

[1] يحي مراد، (ردود على شبهات المستشرقين)، من موقع:https://www.alarabimag.com/books/18629-ردود-على-شبهات-المستشرقين.html تاريخ المراجعة:2019/04/07،التوقيت:20:45،ص: 27 بتصرف.

خامسا: ظهرت نواة الأولى للاستشراق في العصر الوسيط،وأن مدلول لفظ "الشرق" تعرض لتغيير خطير بعد انطلاقة العرب حتى أصبح يتعلق بالموضوع ذاته أكثر منه بالمنطقة الجغرافية، ويفتح آفاقا واسعة للتفكير والبحث، والتحليل كما هو بيِّن عند الكثير من آراء المستشرقين أمثال: نولدكه وبارت.

سادسا: أن كلمتي "الاستشراق" و"المستشرق" حديثتا العهد نسبيا في الانجليزية والفرنسية إذ تبنتها الأولى حوالي عام 1779م وتبنتها الأخرى حوالي عام 1799م واعترفت بهما الأكاديمية الفرنسية و أدخالتهما إلى اللغة الفرنسية في معجمها المشهور عام 1838م.

سابعا: أن الاستشراق كفكرة علمية قد نال حظا عظيما في أثناء القرن الثامن عشر، جيث كان الشرق يأخذ مكانه في أبحاثه ومؤلفاته إلى جانب الغرب في أفق شمولي كما يؤكد ردونسون، مما يدل – فيما نظن– أن دراسة العرب وما يتعلق بهم كان ولا يزال أمرا بالغ الأهمية لعلم الاستشراق .

ثامنا: للاستشراق ارتباط وثيق بالاستعمار،ومانميزه أيضا مساهمة الدراسات الاستشراقية بشكل كبير في صنع القرار السياسي الغربي المتعلق بالشرق،وخاصة البلدان العربية الإسلامية.

تاسعا: أن الاستشراق عند بعض الدارسين الغرب أخذ ظلا جديدا، إذ اصبح إطلاقه لا يقتصر على معرفة إحدى اللغات المجهولة للغرب والعادات الغريبة عليه، وإنما على الجمع والانقطاع إلى دراسة الأنحاء المختارة من الشرق، والوقوف على قواه وآدابه العظيمة التي أسهمت إسهاما فعالا في تكوين ثقافة العالم بأسره، وتعاطي دراسة الحضارات القديمة والتمكن من تقدير العوامل المختلفة التي أثرت في تكوين تمدن القرون الوسطى والنهضة الحديثة،وأهمية هذا العلم تكمن في وسيلة فعالة لدراسة النفوذ المتبادل بين العالمين: الشرقي والغربي، وأنه على هذا الأساس يغوص في أعماق دراسة الشعوب الشرقية وكل ما يتعلق بها، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يعتبر من أوسع العلوم موضوعا وأبعد مدى،ولذلك يحق للباحث أن يسميه علم تاريخ الروح الإنساني" [1].

[1] المرجع السابق،يحي مراد، (الردود على شبهات المستشرقين، من قضايا الاستشراق) ، ص: 28، 29.

عاشرا: غيّر مصطلح الاستشراق سنة 1973م،وأصبح يعرف اليوم باسم الدراسات الاستراتجية،وحولت كلمة مستشرق إلى كلمة الخبير في الشؤون الإقليمية والدولية.

إحدى عشر: قرر العلماء أن المستشرق لابد له من معرفة كاملة بإحدى اللغات الشرقية وآدابها، وزاد بعضهم أنه لابد له من التخصص المتعمق في الحضارة الإنسانية قديما وحديثا.

إثنا عشر: اهتم علماء الغرب اهتماما كبيرا بتاريخ الاستشراق منذ ظهوره حتى الاعتراف به وإدخاله إلى لغاتهم ، وعلى عكس ذلك لم يشر علماء العرب إلى هذه الناحية إلا من بعيد.

ثلاثة عشر: أشار الباحثون إلى الدور الكبير الذي لعبه الاستشراق في تعريف الغرب بحضارات الشرق عامة، والإسلام وآداب العرب خاصة وأثرهما العظيم في الغرب نفسه ونهضته العلمية والفكرية على حد سواء"[1].

رابعة عشر: كشف العلماء المسلمون دوافع الاستشراق التنصيرية،وفضح أهدافه والتي كانت في معظمها تشويه صورة الإسلام والمسلمين"[2].

إنّ علم الاستشراق من الناحية الموضوعية يعمل جاهدا على البحث في عادات وتقاليد الأمم الشرقية عموما والإسلامية خصوصا،ويبحث في قضايا العقيدة والأدب وكل ماله علاقة بانتماء الفرد لأمته،ومحاولة معرفة التكوين الشخصي المتوافق مع الأمة التي يعيش فيها، بما فيها اللغة التي يتكلم بها،من أجل الوصول إلى نية حسنة وغاية نبيلة ألا وهي التعايش بين الحضارات.

وقد يستخدم هذا العلم –الاستشراق– لأغراض غير موضوعية، الهدف منه هو التمكن من الشعوب الشرقية ،والسيطرة عليها والهيمنة على فكرها وتوجهاتها دون الاصطدام بها ،ولا يمكن أن ننسى دور اليهود في رسم خريطة حركة الاستشراق والتأثير عليها، قصد تحقيق مكاسب كثيرة.

---

[1] المرجع السابق،يحي مراد، (الردود على شبهات المستشرقين، من قضايا الاستشراق) ، ص: 34.

[2] المرجع نفسه، ص: 34 بتصرف.

المبحث الثاني: نشأة الاستشراق (مدارس، ومناهج)

1- نشأة الاستشراق:

اختلف المؤرخون في العالم في تحديد أول غربي عني بالدراسات الشرقية،وفي أي وقت كان ذلك، فمن الصعب تحديد بداية للاستشراق،إلا أن بعض المحققين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري.وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين الأول: حياة محمد. والثاني: حوار بين مسيحي ومسلم. وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين1.

يتضح لنا جليا أن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني ،هدفها خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر النصرانية في بلدان الشرق.لكن سأعرض في هذا المبحث دراسة التطور التاريخي من حيث الآليات والمراحل التي ربما انبثق الاستشراق منها عبر مختلف العصور منذ نشأته، وكذا محاولة فهم أهم ما ميز كل مرحلة من المراحل التي مرّ بها.

رغم اختلاف الآراء الخاصة بالموضوع و تنوع زوايا الطرح وطرق الدراسة وكذا الأهداف المبنية عليها، حاولنا قدر المستطاع أن نجد التوازن بين هذه الآراء، ونركز على النقاط المشتركة فيما بينها بغية الخروج بتقسيم معتدل يروي الظمأ المعرفي ويحقق المنفعة العلمية المراعية للحقيقة التاريخية،وكما أسلفنا فإن الباحثين اختلفوا في كثير من القضايا الخاصة بالقضية موضوع الدراسة – أي الاستشراق –ومن بينها المراحل التي مر بها في تطوره التاريخي، ورغم أن الاختلاف لم يكن جذريا إلا أنه يعبر عن اختلاف –أو تنوع– الزوايا التي من خلالها يرى كل باحث موضوعه المدروس.وكما قلنا سابقا من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية نشأة الاستشراق.

ووردت في هذا أقوال عدة ولعلنا نبدأ بما منذ أن التقى الغرب مع العرب بدأ التساؤل: ما أصل هذا الشعب؟ متى استوطن البلاد، كيف نشأت لغته وآدابه؟ لماذا انطلق من جزيرته؟ كيف تطور حتى كون لنفسه شخصية مستقلة؟ ما أسباب تقدمه وتفوقه؟ ما قيمة آدابه وفلسفته؟ بم تتميز تجربته البشرية؟ وغيرها من الأسئلة التي أدت الإجابة عليها إلى نشأة الاستشراق"[1].

1-1 القرن السادس الميلادي:

كثير من الباحثين من يرجع نشأة– الاستشراق– حقيقة إلى القرن السادس ميلادي، وذلك لما شهده هذا القرن من جدل بين المسلمين وأهل الكتاب ومحاولات اليهود والنصارى للتشكيك في العقيدة الإسلامية ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وترسخ هذا الجدل بما كتبه يوحنا الدمشقي (676-749م) في بداية القرن الثاني الهجري من رسائل لمحاورة المسلمين ومجادلتهم من جهة، ومن جهة أخرى لنصرة إخوانه النصارى في تلك الفترة، ومن كتبه: كتاب: (محاورة مع مسلم)،وكتاب: (إرشادات النصارى في جدل المسلمين).

1-2 القرن الثامن الميلادي:

يرى بعض الدارسين والباحثين العرب أن نشأة الاستشراق تعود إلى ظهور حركة الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية في القرن الثامن الميلادي،وعلى إثر ما شهدته جامعات آنذاك في شبه الجزيرة الإيبيرية مثل إشبيلية، وقرطبة، وغرناطة من إقبال كبير من الأوروبيين لدراسة الحضارة الإسلامية بغرض مزيف،وهو الرغبة في تعلم اللغة العربية والتعرف على عادات وتقاليد الأمم الشرقية، لكن الغرض الحقيقي كان محاولة زعزعة العقيدة الإسلامية عند المسلمين"[2].

---

[1] يحي مراد، (الردود على شبهات المستشرقين، من قضايا الاستشراق – بحوث ودراسات–) ، ص: 56. وينظر: أحمد سمايلو فيتش، (فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر)، دار الفكر العربي،القاهرة، مصر،د ط، 1998م، ص: 54

2 زلافي إبراهيم، (المقاربة الاستشراقية للقرآن الكريم – مع قراءة في كتاب جاك بيرك)، رسالة دكتوراه، جامعة بلقايد أبي بكر، (تلمسان–الجزائر)، 2014/2013م، ص: 6.

2-1 القرن العاشر الميلادي:

يعد الدكتور مصطفى السباعي من الباحثين الذين لا يضعون تاريخا محددا لظهور الاستشراق،ولكن يرجح ظهوره بشكل واضح بالأندلس خاصة عندما تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها،فعكفوا على ترجمة القرآن وترجمة الكتب العربية فيقول في ذلك: "لا يُعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الاستشراقية، ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم...ومن هؤلاء الرهبان: جربرت ، وجيراردي كريمون"[1].

2-2 القرن الثاني عشر:

أما المستشرق الألماني رودي بارت فيحدد القرن الثاني عشر الميلادي كبداية فعلية للاستشراق،وذلك مع ظهور أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم بتوجيه من الراهب بيتروس أو بطرس الذي زار الأراضي الإسبانية، وأوصى بإصدار أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام 1143م .

2-3 القرن الثالث عشر الميلادي:

شكلت الحروب الصليبية نقطة تحول هامة في تاريخ الشرق،ومن هذا الجانب يرى الباحث مازن مطبقاني أن النشأة الأولى للاستشراق ترجع إلى انهزام الصليبيين في القدس الذين بدؤوا يحرضون شعوبهم على غزو الشرق، واعتبار هذه الحرب حربا دينية وقد اتخذ النصاري المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية،وكان هدفها الأول تنفير النصارى من الإسلام [2].

---

[1] مصطفى السباعي، (الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي،دمشق،سوريا، ط2،1979م ،ص: 13، 14 .

[2] رودي بارت، (الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية)، ص: 11 بتصرف. وينظر: محمود حمدي زقزوق، (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري) ، ص: 19بتصرف.

1 –7 القرن الرابع عشر الميلادي:

يحدد بعض الباحثين البداية العلمية لظهور حركة الاستشراق بانعقاد مجمع فيينا الكنسي عام 1312م، والذي كان من أهم توصياته إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في الجامعات الأوروبية: جامعة أكسفورد، جامعة كامبدرج، جامعة بولونيا، جامعة روما، وجامعة السربون[1].

1–8 القرن التاسع عشر الميلادي:

شهد هذا القرن بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين، إذ عقد أول مؤتمر دولي عام 1873م في باريس[2]،وظهرت الجمعيات الاستشراقية التي نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات ،وبهذا شكّل هذا القرن بداية نوعية في مجال الاستشراق.وعليه يمكن أن نقسم مراحل نشأة الاستشراق عبر هذه القرون إلى ثلاث مراحل أساسية، شكلت عموده الفقري، وشكلت صورة وجوده و دوره في الأحداث التاريخية الخطيرة والحاسمة التي عاصرها ولا يزال .و لقد عملنا على أن نحقق الحد الأدنى من التقارب بين كل هذه التقسيمات حتى نضمن ولو بصفة يسيرة عدم التنافر والتناقض، وكذا الحفاظ على تركيز القارئ وانتباهه. ويتم تقسيم مراحل الاستشراق حسب الدراسات إلى الأطوار التالية:

أ –الطور الأول:

يمكننا أن نطلق على هذا الطور عدة صفات أو أسماء مثل:" طور التكوين أو" مرحلة الولادة أو "مرحلة الاستشراق الديني"،ولكل من هذه العناوين مرجعيته التي ستتجلى فيما يأتي من السطور.منذ اتصال الشرق والغرب أو اتصال الغرب بالعرب عن طريق الأندلس،بدأ أصحاب الفكر فيه يعادون المسلمين ويهاجمونهم ،وظلت الطريقة متداولة رائجة حتى عصرنا هذا، و لعبت الكنيسة دورا رئيسيا في الحقد الأعمى ،وكان الأجدر بها أن تجري وراء الحق مهما كان مصدره"[3].

---

[1] إلمرجع السابق،دوارد سعيد، (الاستشراق)،ص: 80.

[2] المرجع السابق،محمود حمدي زقزوق، (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري) ، ص: 44.

[3] المرجع السابق،أحمد سمايلو فيتش، (فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر)، ص: 70.

ثم اجتازوا النصارى غيرها من المناطق البعيدة وصولا إلى روما قلب الإمبراطورية الرومانية، ورغم كل ما أصاب المسيحيين في هذا الزمان من اضطهاد وتنكيل إلا أنهم أحسنوا الصبر،وبذلوا المهج والأرواح دفاعا عن عقيدتهم"[1].

نعتقد أن في هذه المرحلة من الاستشراق لم تكن سوى أداة من أدوات التبشير،فتميزت أبحاث هؤلاء المستشرقين،بالتعصب الديني تجاه الإسلام ونشر الأكاذيب على المسلمين،وقاموا بترجمة القرآن الكريم،ومن بين الذين تكفلوا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية لأول مرة نجد"بطرس Peter (1092- 1156) وكان ذلك سنة 1143"[2].

ولا أدل على صحة هدفه من أقوال هذا الراهب حين قال: " إذا بدا أن العمل الذي أدعو إليه غير ضروري الآن، لأن العدو لن يتأثر بهذا السلاح، أجيب أن بعض الأعمال تتم من أجل ضرورات الدفاع، وهذا هو العمل الذي أقوم به أنا فإذا لم يكن هذا الطريق إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقل من أن يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السذج الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم،وظلت العقلية الغربية المسيحية تفكر بهذا الشكل إلى ما قبل الحروب الصليبية، إذ كانت على معرفة ناقصة جدا بالشرق ، فإننا يجب أن نقر بأن ما حدث إبان هذه المرحلة الأولى أو الطور الأول، كان له عظيم الأثر في رسم العلاقات وخطوطها العريضة بين الشرق المسلم والغرب النصراني، هذا الأثر الذي ألقى وما زال يلقي بظلاله إلى يومنا هذا.كان الغرض من هدف بطرس وراء ترجمته للمعاني القرآن الكريم هو هداية المسلمين إلى الطريق الصحيح وتبيان محاسن الديانة النصرانية،ومن هنا نستنتج أن التنصير هو الهدف الحقيقي للاستشراق"[3].

---

[1] ساسي سالم الحاج، (الظاهرة الاستشراقية)،دار المداد الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1 ،2002م،ج1، ص38 .

[2] راهب فرنسي .ولد حوالي 1092 م.في أو قرن (Awwergne) وسط فرنسا .سنة 1120 م صار رئيسا لدير كلوني الشهير .توفي سنة 1156م) .عبد الرحمن بدوي، (موسوعة المستشرقون) ، ص110 .

[3] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج (الظاهرة الاستشراقية) ، ص: 44 بتصرف.

ب–الطور الثاني:

تسمى هذه المرحلة بمرحلة الانطلاق والتقدم،ففي هذه المرحلة غيّر الاستشراق استراتجيته في الدعاية إلى نشر الديانة النصرانية،وخاصة بعدما أدركوا قوة الدين الإسلامي،ومن أشكال هذه الدعاية على سبيل المثال عودة البعثات العلمية،والرحلات التجارية،وعندما عادوا إلى أوطانهم جلبوا الكثير من كنوز الشرق،بالإضافة إلى بعض الغارات الصليبية والتي كان لها دور في سرقة الممتلكات وخاصة الكتب،ومن الشواهد على ذلك ما أورده الفارس العربي أسامة بن منقذ (ت.584هـ) في كتابه الشهير "سيرته الذاتية (الاعتبار) إذ يقول ": ...ولكن الإفرنج أغاروا على مركبهم ونهبوا مافيه،...وأخذوا قدرا كبيرا من الكتب،تبلغ أربعة ألاف مجلد من الكتب الفاخرة،فكان فَقْدُ الكتب أعظم في نفسه من كل شيئ،وقال في ذلك جملته الشهيرة: فإن ذهابها حزازة في قلبي ما عشت"[1]. وهذا دليل قاطع على أن سوق الكتب العربية آنذاك، كانت سوقا ذات رواج. وأنها – أي الكتب – كانت سلعة غالية لاتقدر بثمن .

ازداد في هذه المرحلة اهتمام الغرب النصراني بالشرق،عبر السفر إلى البلدان الشرقية،فتعلموا حينها اللغة العربية واللغات الأخرى، وكان الاندفاع لتعلم اللغة العربية بالدرجة الأولى،وأصبح الاهتمام بلغات الشرق عامة مطلبا وغاية يريدون الوصول إليها،والأكثر من ذلك اختلطوا بالشعوب الإسلامية من أجل الاستفادة من علومهم كالفلسفة وعلم الكلام وغيرهما.وبعد ذلك فكرت أوروبا بإنشاء كراسي في عدد من الجامعات الأوروبية، تهتم باللغات الشرقية،ومنذ ذلك الحين بدأت المعاهد والجامعات التي عملت على نشر العلوم العربية واللغات الشرقية في الانتشار،كانت أول مدرسة أنشئت للدراسات الشرقية هي مدرسة طليطلة التي أنشأها مجلس المبشرين عام1250م، وكانت تدرس بها اللغتان العربية والعبرية ..."[2] .

---

[1] أسامة بن منقذ، (الاعتبار)،تح:عبد الكريم الأشتر،المكتب الإسلامي،بيروت–لبنان ،ط2، 2003،ص16/15.

[2] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج، (الظاهرة الاستشراقية)،ج1، ص: 51.

كما نذكر منشور البابا " أنوسنت الرابع "الذي صدر في "22 يونيو 1248 م إلى مدير جامعة باريس بإنشاء كرسي للدراسات العربية والإسلامية بها"[1].

نرى بوضوح في هذا الطور أثر الحروب الصليبية التي أدت إلى تقدم الاستشراق إلى الأمام وبخطوات عملاقة خاصة بعد قرارات مؤتمر فيينا الكنسي، وظهور الطباعة في عهد متأخر نسبيا عن ذلك، كل هذا يبين لنا فعلا أن هذا الطور كان فعلا طور الانطلاق والتقدم الحثيث للإستشراق،وإن ارتبط في معظم فتراته بالتبشير والعمل الكنسي.

ج –الطور الثالث:

جاء هذا الطور بعد الحروب الصليبية،حيث قامت حينها أوروبا ببناء صرح علمي ضخم،والفضل يعود في ذلك إلى الجهود المضنية التي قام بها المستشرقون والرحالة ورجال الكنيسة في خدمة نهضتهم الفكرية،فقاموا بإنشاء جامعات ومعاهد متخصصة تهتم بالعلوم العربية الإسلامية،وإرسال بعثات علمية تواصل بحثها ودراستها الحثيثة لتكتشف النفائس الشرقية.

وزاد في هذه المرحلة اهتمامهم باللغة العربية أكثر فأكثر،لأنها كانت لغة العلوم في تلك الفترة،كل هذا ضمن للغة العربية انتشارا واسعا في الأوساط العلمية،وبين النخبة المثقفة وصانعي القرار السياسي،بكونها لغة عالمية وبوصفها لغة الحضارة والتقدم، ومن ثمت فإن تعلمها وتعلم آدابها كانت أحد أسباب النهضة الأوربية.

ومن المشاهد الشاهدة على ذلك ظهور" أول آجرومية عربية طبعت في أوروبا وهي التي أصدرها بطرس دي القلعة (pedro de alcala)في غرناطة سنة 1505 م، التي أصبحت من كتب النوادر الآن ،وعلى مبلغ من الأهمية لتاريخ الفكر الاستشراقي،أما أول كتاب صدر في أوروبا بالأحرف العربية فقد كان كتاب صلاة الصاوي الذي طبع عام 1514م في البندقية"[2].

[1] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج، (الظاهرة الاستشراقية)،ج1، ص: 51.

[2] المرجع السابق،أحمد سمايلوفيتش، (فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر)، ص77 .

لا يجب أن ننسى حدثا هاما جدا وخطيرا في آن واحد، و هو سقوط غرناطة الأندلس سنة 1492م. إن الاستيلاء المتوالي على دويلات الطوائف هناك أتاح للغالب الإسباني الحصول على إرث من الكتب والمخطوطات التي لم يكن يحلم حتى بالنظر إليها، وذلك ماساهم في فتح آفاق على المستشرقين غير متوقعة، فاستولوا على هذا التراث وجمعوه في مكتباتهم، وعكف عليه المستشرقون بحثا وتحليلا، ولم يتركوا جانبا من جوانبه إلا تناولوه بالدرس والتحليل والتحقيق،فتكونت لديهم معارف واسعة عن الشرق من حيث عاداته واقتصادياته وطرق تجارته، ومواطن القوة والضعف فيه، فنشأت دراسات تحليلية عن هذه الأصقاع أعطت صورة أوضح لما هي عليه. "وإن كانت أوروبا لا تزال تعاني من إيديولوجيتها التعسفية".[1]

ومع ذلك لا يقلل الغرب أبدا من اعترافه الضمني بجدارة الحضارة العربية الإسلامية، وخير دليل على ذلك هو زيادة الاحتياج إليها بنسق متصاعد آنذاك،حتى وإن اختلفت الدوافع والأهداف.

على الرغم من سقوط الأندلس، وحجم الثروة المعرفية التي باتت تحت أيدي المستشرقين وغيرهم من الهيئات كالمعاهد والجامعات والمكتبات الكبرى في أوروبا، إلا أن النهم إلى زيادة المعرفة بالشرق وأحواله، لم يتوقف أبدا خاصة بعد سقوط القسطنطينية وبروز الدولة العثمانية كقوة كبرى على الساحة، هذه الدولة التي تمركزت ككيان مدافع عن الإسلام والمسلمين، مما دفع الغرب إلى محاربة الأتراك أولا، ومنعهم من التوسع في أوروبا ثانيا، وهو ما تم لهم فعلا عند قهرهم جيوش العثمانيين عند أسوار فيينا،ومن الأمور المستجدة نوعا ما في هذه المرحلة اتجاه جهود الإستشراق إلى الشرق عامة بعد أن كان أغلب اهتمامهم منصبا على العالم العربي الإسلامي فمن جهة نجد الاستكشافات الجغرافية الأوروبية، وأثرها في تحويل طرق التجارة العالمية إلى الهند من طريق رأس الرجاء الصالح،والرحلة العظيمة التي قام بها ماركو بولو إلى الصين، وما كشفته عن ثروات تلك الشعوب وحضارتها المتطورة"[2].

---

[1] المرجع السابق،أحمد سمايلوفيتش، (فلسفة الاستشراق و اثرها في الأدب العربي المعاصر) ، ص77 .

[2] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج (الظاهرة الاستشراقية) ،ج1 ، ص57 .

كما ساعدت الطرق البحرية أيضا إلى اكتشاف شبه القارة الهندية من طرف الرحالة البرتغاليين،وازدادت أطماع الدول الأوروبية بعد ذلك إلى اكتشاف عوالم جديدة،ساهت في تعزيز مكانة الغرب و السيطرة على هذه مقدرات هذه المناطق واستغلال ثرواتها،وكان هذا كله بعد دراسات مفصلة على تلك المناطق،مستعينا في ذلك بالمستشرقين والمبشرين،موفرا لهم كل مايلزم من المال والحماية لإنجاح هذه العملية.وخاصة بعدما أصاب الحضارة الإسلامية الركود والتوقف اضطربت أوضاع المسلمين وتمزقت دولهم، طمع فيهم عدوهم،فاستغلأوضاعهم واحتل أرضهم.

انطلقت الحملات الصليبية متلاحقة متحدة،واتخذت طريقها إلى القدس،مخترقة المناطق الإسلامية،وأدت هذه الحروب إلى نتائج سلبية على العالم الإسلامي:

1-سقوط الخلافة الإسلامية وتفككها إلى دول ومناطق متنازع عليها.

2- إثارة النعرات الطائفية والخلفات المذهبية.

3-انتشار لغات ومعتقدات الصليبيين في البلدان العربية الاسلامية.

4- استفادة الدول الأوروبية من علوم نشرها المسلمون مثل الطب والفلك والرياضيات وعلوم أخرى.

5- احتلال بيت المقدس،وقتل آلاف من المسلمين وتشريدهم.

6-السيطرة على الموارد الطبيعية لبلدان المشرق العربي.

7- استنزاف المخطوطات العربية وسرقة الآثار.

من خلال هذه النتائج أيضا وجد الغرب نفسه قادرا على المواجهة وتحقيق النصر والعمل على:

1- اكتشاف العالم الإسلامي ومواطن قوته وأسباب ضعفه.

2- بناء حقبة علمية متفوقة مازالت موجودة إلى يومنا هذا.

3- إشغال العالم الإسلامي بقضايا جانبية تضعف وحدته،وتشغله عن تحقيق التقدم[1].

[1] محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، تعريفه، مدارسه، وآثاره)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، (الرباط- المغرب)،د.ط، 2012م، ص: 8، 9 بتصرف.

إنّ الآراء الآنفة الذكر مبنية على براهين وأدلة خاصة بأصحابها، فضلا عن مقبوليتها، إلا أنه من الواجب الأخذ بنظر الاعتبار أثر الفكر الإسلامي على الفكر النصراني في القرون الوسطى، ومن ثم أثره على الكنيسة الكاثوليكية، وما خلّفه هذا التأثير على الفاتيكان، فقد كان لفلسفة ابن رشد أثرها الفعال في الفكر الديني الأوروبي بعد ترجمة "مايكل سلوت" لها، لذلك يقال إن فلسفته أحدثت تمردا على الكنيسة في شكل حركات وصفتها الكنيسة بالزندقة[1].

ومن هذا المنطلق هناك من يجعل للاستشراق سببا رئيسا وأسبابا فرعية، فالسبب الرئيس المباشر هو ديني بالدرجة الأولى خاصة في مرحلته الأولى كان منطلقه من تحت قبو الكنيسة فكان معظم المستشرقين قسيسين ورهبانا سببت أفكارهم حروبا،و ما تركته الحروب الصليبية من آثار عميقة لخير دليل على ذلك، فضلا عما أسموه: حركة الإصلاح الديني النصراني وما جاءت به من أحكام دعت بإلحاح إلى إعادة النظر في شرح كتبهم الدينية بما يتلاءم مع التطورات المنبثقة من حركة الإصلاح هذه، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية اليهودية ثم العربية الإسلامية، لأن الأخيرة لازمة لفهم الأولى، لاسيما ما يتعلق بالجانب اللغوي، وبمرور الأيام اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانا ولغات وثقافات لغير العرب المسلمين[2].

وهناك أسباب أخرى سياسية و تجارية ودبلوماسية، أضف إلى ذلك أسباب شخصية عند بعض الدارسين الذين اتخذوا الاستشراق أداة لإشباع أهدافهم الخاصة ،والمتمثلة في معرفة الآخر تماما كما يفعل الكثير من السياح اليوم في محاولة اكتشاف العالم من خلال السفر إلى بلدان الشرق .

د- الطور الرابع:

يمكننا أن نضيف إلى المراحل السابقة هذا الطور الجديد،ويطلق عليه اسم الاستشراق الحديث،تبدأ هذه المرحلة في بداية سبعينيات القرن الماضي،وكان ذلك بعد إعلان مؤتمر باريس 1973م، تخلى عن المصطلح الاستشراق واستبداله باسم" المؤتمر العالمي للدراسات الإقليمية"،ومن

---

[1] ينظر: قاسم السامرائي، (الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية)، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ط1، 1983م، ص: 25/24 بتصرف.

[2] محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،مكتبة وهبة،القاهرة ،ط4، د.ت،ص: 522.

المستشرقين الذين يمثلون هذه المرحلة نجد برنارد لويسBernard Lewis وفرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama وصموئيل هنتنجتون Samuel Huntington وغيرهم.

يتميز الاستشراق الحديث أو الجديد بسمات منها:

1- أن الاستشراق المعاصر له دور في صنع السياسة الخارجية وخاضع للمد الصهيوني،خاصة الشرق الأوسط.

2- له دور كبير في صنع الحركات الإرهابية وقادتها مثل تنظيم الدولة إسلامية وغيرها من التنظيمات.

3- أصبح يطلق على المستشرق اسم الخبير والمختص في الشؤون السياسية.

4- يسعى في أبحاثه دائما إلى توظيف المناهج الإنسانية والاجتماعية الحديثة.

5- يهتم بقضايا تتعلق بحرية المرأة، وحقوق الإنسان والأقليات .

لكن في هذا العصر دعت أصوات من الغرب إلى التخلي عن النظرة السلبية للإسلام والمسلمين،ففي تسعينيات القرن العشرين صدر في ألمانيا كتاب " عوالم الإسلام" الذي عملت عليه نخبة من الباحثين والخبراء في الشؤون الإسلامية تناول محرروه بالمناقشة والتحليل الكثير من الموضوعات الهامة والمفاهيم والمشكلات الإسلامية المطروحة في الساحة الإعلامية،ويهدف الكتاب إلى تنبيه الغرب بأن عليه أن يتوقف على أن يجعل العالم الإسلامي مخيفا،فهذا الهجوم الذي لامسوغ له،يؤدي إلى عواقب وخيمة..."[1].ومن واجبنا نحن المسلمين في هذا الوقت بالذات أن نفتح قنوات اتصال بين المفكرين المسلمين والمعتدلين من المستشرقين وأرباب الفكر الغربي المعاصرين،الذين يحاولون التجرد من الصيغة الذاتية وينشرون الدراسة الموضوعية الجادة"[2].

ومع الحديث عن هذه الأسباب فإنه يتسنى لنا التعرف على مصدرها أي (منبع هذه الأسباب) ألا وهي المدارس الاستشراقية:

---

[1] عبد الرحمان خرشي،فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري،دار هومة، الجزائر،دط،2013،ص: 203 بتصرف

[2] المرجع نفسه،ص:203.

2- المدارس الاستشراقية:

2-1 المدرسة الفرنسية:

تُعدّ المدرسة الفرنسية من أهم المدارس الاستشراقية ،خاصة بعد فتح العرب للأندلس،وجزء من المقاطعات الفرنسية،ولدت حينها اهتماما ونشاطا بالحضارة الإسلامية،وازداد ذاك نشاطا أكثر بعد الثورة الفرنسية 1789م،فقد اصطحب نابليون معه عدد اكبيرا من العلماء، وفي مختلف المجالات إلى مصر،إن احتلال فرنسا لأجزاء من الوطن العربي في القرن الماضي يمثل منحنى هاما في دراسة الإسلام دراسة مفصلة ميزها عن غيرها من المدارس.

إن هذا التاريخ السياسي المتواصل،جعل فرنسا من أبرز المدارس الاستشراقية وأغناها فكرا وأخصبها إنتاجا وأكثرها وضوحا في الدراسات العربية الإسلامية، للافادة منها وترجمة آثارها وإنشاء كراس علمية لتدريسها منذ القرن الثاني، وأوفدت طلابها الى مدارس الأندلس لدراسة الفلسفة والطب فيها[1].

2-2 ومن أعلامها:

- سيلفستر دي ساسي Silvester de Sacy (1758-1838)
- إل.أ سيديو L.A. Sedillot (1808-1876)
- أرنست رينان Ernest Renan(1823-1892)
- رينيه باسية Rene Baset(1855-1924)
- كازانوفا P. Casanova(1879-1926)
- وليم مارسيه William Marcais (1874-1956)
- لوي ماسنيون Louis Massingon (1883-1962)
- ريجيس بلاشير. R.L. Blacher(1900-1973)
- مكسيم رودنسون Maxim Rodinson 1915-2004.[2]

---

[1] محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، تعريفه، مدارسه، وآثاره)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، (الرباط- المغرب)، 2012م، ص: 22 بتصرف.

[2] المرجع السابق،مطبقاتي مازن، (الاستشراق)، ص: 19 ،20.

2-3 المدرسة البريطانية:

اهتمّ الاستشراق البريطاني في البداية بدراسة العقائد الإسلامية،ولكنها أخذت في العصور المتأخرة منحى آخر ذا طابع سياسي استعماري، للاستلاء على مقدرات الشعوب،وهي أكثر المدارس صلة بالشرق، وبخاصة الشرقين الأوسط والأقصى، وكانت صلات بريطانيا بالشرق قوية، من طريق الاتصالات الثقافية، والسياسية، والعسكرية ،والاقتصادية، وكانت المدرسة الانجليزية وثيقة الصلة بمنطقة الخليج والعراق وفلسطين ومصر، بالإضافة إلى صلاتها الوثيقة بالهند، تميزت هذه المدرسة بالعمق والدقة في دراساتها [1].

كما أنشأ الإنجليز جمعيات ومعاهد متخصصة، ففي عام 1633م، استحدث السير توماس آدامز Sir Thomas Adams أول كرسي للدراسات العربية في جامعات كمبريدج، وأنشأت "جامعة لندن" كرسيا للغة العربية، ثم أنشأت كرسيا للدراسات الإسلامية أشرف عليه "بكنجهام".

2-4 ومن أعلامها:

- وليام بدول William Bedwell (1516-1632)
- جورج سيل George Sale(1697-1736)
- ديفيد صموئيل مرجليوث David Samuel Margoliouth (1858-1940)
- توماس وولكر آرنولد Sir Thomas Walker Arnold (1864-1930)
- سير هاملتون جيب.Sir Hamilton R. A. Gibb (1895-1971)
- مونتجمري وات Montgomery Watt(1909-2006)
- آرثر جون آربري Arthur John Arberry (1905-1969)
- برنارد لويس .Bernard Lewis (1916-2018)[2].

---

[1] محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، تعريفه، مدارسه، وآثاره)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، (الرباط- المغرب)، 2012م، ص: 26 بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص: 28.

2-5 المدرسة الألمانية:

تعد المدرسة الألمانية من أعرق المدارس الاستشراقية بعد المدرسة الفرنسية والمدرسة البريطانية،بعد ما كانت الحروب الصليبية هي المحرك الأهم في علاقات الغرب النصراني بالعالم الإسلامي والعربي، وكانت علاقات ألمانيا مع الدولة العثمانية قوية بسبب التقارب الجغرافي والمصالح السياسية والاقتصادية، فلما شعرت ألمانيا بأهمية الدراسات الشرقية، أنشأت في جامعاتها معاهد اللغات الشرقية، وفي بداية هذا القرن ازداد اهتمام الجامعات الألمانية بالدراسات الإسلامية والعربية، ويوجد في برلين متحف للفن الإسلامي[1].

لقد امتاز الاستشراق الألماني بالموضوعية والعمق مقارنة بالمدارس الأخرى وساهم المستشرقون الألمان في جمع وفهرسة المخطوطات العربية،وأنشأو مجلات متخصصة تُعنى بالتاريخ الإسلامي.

2-6 ومن أعلامها:

- يوهان جاكوب رايسكهJohann Jakob Reiske (1716-1774)
- جورج ولهلهم فرايتاج George Wilhelm Freytag (1788-1861)
- غوستاف فلوجل Gustav Flugel (1802-1870)
- يوليوس فيلهاوزن Jullius Wellhausen (1844-1918)
- ثيودور نولدكه Theodor Noldeke (1836-1930)
- كارل بروكلمانCarl Brockelmann (1868-1956)
- جوزف شاخت Josef Schacht (1902-1969).
- آنا ماري شميل Annemarie Schimmel (1922- 2003)[2].

---

[1] محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، تعريفه، مدارسه، وآثاره)، م.س، ص: 30 بتصرف.

[2] المرجع السابق،مطبقاتي مازن، (الاستشراق)، ص: 25 ،26.

2-7 المدرسة الروسية:

بخلاف المدراس التي سبقت؛ فإن روسيا اختارت أن يكون ميدان دراستها منطقة آسيا الوسطى وما يتعلق بحضارتها القديمة والحديثة، وعلاقتها بالحضارة البيزنطية التي أسهمت في تكوين العقلية الروسية بقدر كبير، ويبدو أنها وسعت نطاقها في السنوات الأخيرة،فأخذت تهتم بكل ما يتعلق بالعالم العربي واتجاهاته الحديثة.

2-8 ومن أعلامها:

- ف.ف. بارتولد V.V. Barthold (1869-1930)
- إجناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي Ignaij Julianovic Krackovskij(1883-1951)
- كريمسكي A.E. Krymsky (1871-1941)
- ماريا فيدياسوفا Maria Vidiassova"[1].

2-9 المدرسة الإيطالية:

لقد سهلت إيطاليا الطريق للمستشرقين وكان ذلك منذ زمن بعيد بحكم اتصالها بالشرق وما قامت به الكنيسة في التأسيس للدراسات الاستشراقية فكانت لها طريقتها ومذهبها الخاص، حيث بدأ نشاطها الاستشراقي الذي تمركز في الفاتيكان بدروس كتابية متعلقة ببلدان الهلال الخصيب ولاسيما مصر وفلسطين. واهتمت هذه المدرسة اهتماما بالغا بدراسة آثار العرب في صقلية وإفريقيا الشمالية والبلدان العربية الأخرى"[2].

2-10 ومن أعلامها:

- إغناطيوس جويدي Ignazio Guidi (1844-1935)
- ديفيد سانتيلانا.David Santillana (1855-1931)

---

[1] المرجع السابق، أحمد سمايلوفتش، (فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر)، ص: 223.224

[2] المرجع السابق،مطبقاتي مازن، (الاستشراق)، ص: 28- 29.

- الأمير ليوني كايتاني Leone Caetani (1869-1926)

- جابرييلي فرانشيسكو .Gabrieli Francesco(1904-1997)

2-11 المدرسة الأمريكية:

على الرغم من حداثة عهدها إلا أنها امتداد طبيعي للاستشراق الإنجليزي ،فقد تأصلت جذورها وتكونت خصائصها، وإن تألفت في البدء من مستشرقين أوروبيين ولبنانيين هاجروا إلى أمريكا، فهم الذين رسموا للأمريكيين طريق البحث في الدراسات العربية الإسلامية وفق مناهج جديدة تمثلت أساسا في العولمة.

اهتمت هذه المدرسة بدراسة الشرق كله، وخاصة ما يتعلق بالعالم العربي من تقلبات سياسية وتطورات إيديولوجية، وخصائص فنية وثروات حضارية وإحصاءات سكانية وما شكلها من موضوعات، لأجل الهيمنة على العقول واستغلال الشعوب المغلوبة على أمرها" [1].

2-12 ومن أعلامها:

- دنكان بلاك ماكدونالد Duncan Black MacDonald (1863-1943)

- جوستاف فون غرونباومGustav Von Grunbaum (1909-1972)

-واشنطن إيرفينغ Washington Irving (1783 -1859)

هناك مدارس أخرى حديثة لم تبرز كثيرا لكنها تميزت بدراساتها وأهدافها، والتي من بينها نذكر: المدرسة الفنلندية والسويدية، والمدرسة الهولندية، والكندية واليابانية، والمجرية والنمساوية والتشيكوسلوفاكية واليوغوسلافية وغيرها من المدارس التي اهتمت بدراسة علوم الشرق[2].

[1] المرجع السابق، مطبقاتي مازن، (الاستشراق)، ص: 18.

[2] المرجع السابق،أحمد سمايلوفتش، (فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر)، م.س، ص: 224 بتصرف.

من الطبيعي اليوم أن تبرز مصطلحات جديدة تحوم في فلك الاستشراق أو مايسمى بالاستشراق مابعد الحداثة،فلقد غيّر اسم المستشرق إلى خبير بالدراسات الشرقية، وحول مصلح الاستشراق إلى الدراسات الإقليمية،وهذا نتيجة لما يحمله الاستشراق من حمولات سلبية في عهده السابق،وأيضا نتيجة للتطورات السياسية والجغرافية لدول الشرق ، بحيث أصبح اليوم تتحكم فيه أجهزة قوية تراقب حركته،وترصد مواقفه وتتبع بدقة نتائج بحوثه ودراسته، ويوجد كل ذلك ضمن استراتيجية غربية مدروسة، توفر للغرب حماية مصالحه، وتكرس سيطرته على العالم.

3- مناهج المستشرقين:

لقد وقع المستشرقون أثناء دراستهم وتحليلهم خاصة للقران العظيم والسيرة النبوية الشريفة في تأويلات وتناقضات مخالفة للصواب وهذا يرجع إلى عدة أمور منها:

3-1غياب الموضوعية في الدراسة والتحليل: بحيث لم يلتزم هؤلاء المستشرقون بقواعد البحث العلمي القائم على المقاييس الدقيقة، فهؤلاء وضعوا النتيجة مسبقاً ثم شرعوا بصياغة المقدمات، وهذا مخالف للأصل.

3-2عدم فهم اللغة العربية: إن دراسة المستشرقين للنص القرآني لم تكن دراسة متعمقة وجدية ،بل كانت سطحية وهذا مما جعلهم يقعون في تناقضات في الفهم والاستنباط.

3-3الابتعاد عن المنهج العلمي:

معظمهم يعتمدون على الهوى ويضعون النصوص الدينية وفق رغباتهم وميولاتهم،فيجب على هؤلاء المستشرقين إذا أرادوا قراءة النص القرآني وحتى الحديث الشريف، أن يتحلوا بالحيادية والانفتاح الفكري والتمسك بالروح العلمية في البحث، والابتعاد عن التثبت بالرؤية الأحادية المتعلقة بالنتائج، وأن يعترفوا بالنتائج وإن كانت مخالفة لتصوراتهم، فيجب على المستشرقين أن يتمتعوا بالأمانة العلمية في البحث ولا يكونوا حاقدين متعصبين لآرائهم،بحيث يبترون النص القرآني ولا يدرسونه دراسة كاملة.[1]

1- عبد الله خضر حمد،القرآن الكريم وشبهات المستشرقين،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان، دط،1971، ص: 20/19 بتصرف

3-4 **يجب الاعتماد على الحجج والبراهين المقنعة:** ينبغي على المستشرقين عدم إصدار الأحكام النهائية على النص القرآني والسنة النبوية إلا بعد الاستدلال بالبراهين والحجج التي تثبت ما يقولونه.

يعترف بعض علماء المستشرقين أن طبيعة الفهم الاستشراقي للإسلام، تختلف كليا عن طبيعة فهم الباحثين المسلمين ،والدليل على ذلك ما قاله المستشرق الألماني د. ديلكويس موراني Delcoise Morani:الفهم الاستشراقي للقرآن يختلف كل الاختلاف عنه عند المسلمين عامة، والباحثين المسلمين خاصة، وذلك ما أثار توتراً؛ بل حقداً، إن صح التعبير بين الطرفين الإسلامي والأوروبي، إن المستشرق الذي يدرس نص القرآن وعلومه لا ينطبق من الحقيقة المطلقة لدى المسلمين، أي لا يدرسه من زاوية الإيمان،بل من زاوية العلم المنفصل عن جميع ما يدخل في باب الإيمان والعقيدة، والاستشراق يعالج النص القرآني وفقاً لمعايير علوم الديانات الخاصة بهم، ووفقاً لعلوم التاريخ، فمن هنا يمكن القول: إن نص القرآن في رأي المستشرقين ليس إلا وثيقة تاريخية ثمينة باعتباره مبدأً أساسياً في إيمان المسلمين وعقيدتهم، وهذا ما ينبغي على الباحثين المسلمين مراعاته عند دراسات المستشرقين أو مناقشتهم حتى لا يحصل الخلل في الفهم والنتائج، والمدارس الاستشراقية تختلف باختلاف الدول، فالاستشراق الإنجليزي يختلف عن الاستشراق الأمريكي أو الألماني فلكل منهم طبيعته الخاصة[1].

استخدم المستشرقون أثناء دراستهم وتحليلاتهم للقرآن الكريم والسيرة النبوية،مناهج مادية وضعية لاتتوافق مع النصوص المقدسة، كالمنهج العلماني، والإسقاطي،ومنهج إثارة الشك والافتراض،منهج اعتماد الضعيف والشاذ وغيرها من المناهج الهدامة ،والتي سنتطرق إليها بالتفصيل في الجانب التطبيقي.

---

[1] زكريا إبراهيم الزميلي، (منهج المستشرقين التأويلي في تفسير النص القرآني)، مؤتمر: (الإسلام والتحديات المعاصرة)، -كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية،2-2007/4/3م، ص: 49بتصرف.

المبحث الثالث: دوافع وأهداف الاستشراق،وسائله وآثاره:

بعد الانتهاء من الحديث عن نشأة الاستشراق سأتعرض في هذا المبحث للحديث عن دوافع الاستشراق وأشهرها خمسة ،وهناك من زاد على ذلك ولكن سأقتصر على أشهرها. وهي على الشكل التالي:

1- دوافع وأهداف الاستشراق:

1-1 الدافع الديني :

إن معظم المستشرقين الأوائل كانوا رهبانا وقساوسة نشؤوا في أحضان الكنيسة ،فدرسوا الإسلام من وجهة نظر دينية حاقدة في معظمها،ولا يزال الاستشراق إلى يومنا هذا يحافظ على هذه الميزة،وإن كان بعض المستشرقين قد تحرروا منها نسبيا. يقول مصطفى السباعي: "لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدوافع الأولى للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني.واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر كما سنرى وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام – وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين – دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى فلم يجدوا أخيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة"[1].

كان رجال الدين هم وراء نشأة حركة الاستشراق،خاصة عندما احتكوا مع المسلمين في الحروب الصليبية،فعرفوا حينها حقيقة الإسلام،وبدأو بإعداد تقارير لرجال السياسة والملوك،يخوفونهم من الخطر الداهم ألا وهو الإسلام، وفي اعتقادهم أن هذا دين يشكل خطرا على المسيحية.

[1] مصطفى السباعي، (الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي،دمشق،سوريا، ط2، 1979م، ص 16/15بتصرف.

عندما رأى رجال الدين من النصارى واليهود ذلك الانتشار الواسع للإسلام نتيجة لما يتمتع به من سلامة العقيدة وبعده عن الانحراف والطلاسم،ولما أدركوا أن الإسلام هو منهج كامل لجميع نواحي الحياة، فكان من الضروري أخذ ما يفيدهم في نشر النصرانية،ومحاولة منهم أيضا الوقوف في وجه هذا الدين الرباني بشتى الوسائل المادية والفكرية،واستخدم هؤلاء القساوسة والرهبان الاستشراق وسيلة وأداة لفهم الإسلام والمسلمين، ومن ثمت بث الشكوك في الدين والتفرقة بين المسلمين ،ليسهل عليهم بعد ذلك نشر عقائدهم المنحرفة وأفكارهم الفاسدة.

كان الدافع الديني عندهم هي معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه، وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية،وكان هدفها الأول تنفير النصارى من الإسلام. ولذلك فإن الكتابات النصرانية المبكرة كانت من النوع المتعصب والحاقد جداً حتى إن بعض الباحثين الغربيين في العصر الحاضر كتب نقداً عنيفاً عن الاستشراق في العصور (الأوروبية) الوسطى من أمثال نورمان دانيال Norman Daniel في كتابه (الإسلام والغرب)[1]. فقد كتب دانيال أن أسباب حقد النصارى وسوء فهمهم للإسلام مازال بعضه يؤثر في موقف الأوروبيين من الإسلام ،بالرغم من التحسن العظيم الحديث في الفهم والذي أشاد به بعض المسلمين[2].

من بين أهداف المستشرقين الدينية:

1- تشويه صورة الإسلام ومحاولة إسقاط نفوذه.
2- التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.
3- العمل على تنصير المسلمين.
4- نشر الفكر العلماني في العالم العربي والإسلامي.

[1] المرجع السابق، مازن المطبقاني، (الاستشراق)،ص: 7.
[2] المرجع نفسه، ص 08.

2-1 الدافع العلمي:

من المستشرقين نفر قليل أقبلوا على الحضارة العربية الإسلامية بدافع حب الاطلاع على الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها،فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة منهم ،بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته، على أن هؤلاء لا يجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة،ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا،ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين[1].

ما كان لأوروبا أن تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك ،وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية. "فقد أقبل المستشرقون على الدراسات العربية بنهم وشغف وانطلق كثير منهم إلى آفاق بناءة افاد منها الشرق والغرب."[2]

بالرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية نعرف أهمية هذا الهدف من أهداف الاستشراق ،فالغربيون لم يتركوا مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموها وأخذوا منها.وقد أشار رودي بارت Rudi Paret في كتابه عن الدراسات العربية الإسلامية –إلى إمكانية أن تقوم الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بدراسة الغرب فيما يمكن أن يطلق عليه علم الاستغراب[3].

انبهرت ثلة من المستشرقين بالحضارة العربية الإسلامية، فانكبوا على دراسة علومه بصدق وأمانة. وتجردوا من العواطف والأهواء ليدركوا حقيقة الإسلام ،وبحثوا في التراث العربي محاولة منهم نشره للعالم ،ولكي تستفيد البشرية من هذا المخزون الهائل الذي يحمل ميزات تختلف عن غيره من الشعوب الأخرى.

---

[1] المرجع السابق، مصطفى السباعي (الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم)، ص: 19بتصرف.

[2] المرجع السابق،يحي مراد، (الردود على شبهات المستشرقين، من قضايا الاستشراق – بحوث ودراسات–)، ص: 54.

[3] المرجع السابق،رودي بارت، (الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص 19 بتصرف.

هناك من المستشرقين من كانت دوافعه أهدافا علمية يجب الوصول إليها،وهي بمثابة استعمار فكري متعصب لفكرة ما، فكانوا يسعون بكل ما أوتوا من قوة لفرض آرئهم ومخططاتهم ،بغرض النيل من هذا الدين السماوي الذي تكفل الله سبحانه بحفظه.وعليه فإننا نستنتج أن الهدف العلمي الاستشراقي يمكن تقسيمه إلى قسمين:

1-2-1 هدف علمي مشبوه :

يتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا،وبخاصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى "صرع" كان ينتاب النبي صلى الله عليه وسلم حينا بعد حين" [1].

ومنهم من يرجع الوحي إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي صلى الله عليه وسلم أثناء عزلته في غار حراء،وممن ذهب إلى القول بالوحي النفسي من المستشرقين :نجد "درمنغام جب"،"جوستاف لوبون"،"جولد زيهر"،و"مونتجمري واط" وغيرهم وجمهورهم ينكر أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم نبيا موحى إليه من عند الله وحين يخبرهم ما ورد في القرآن، من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية مما يستحيل صدوره عن أميٍّ مثل محمد صلى الله عليه وسلم ،ويزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها" [2]

يردّد بعض المستشرقين شبهات عفا عنها الدهر،وطوتها السنون، بيّن الله فسادها قبل قرون،ثم جاء هؤلاء المتعصبون يدندنون ماقاله أسلافهم من الكفار في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ ﴾ [الفرقان:4-5].

---

[1] المرجع السابق،مصطفى السباعي (الإستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم) ، ص 20.

[2] المرجع نفسه، ص 21/20 بتصرف.

يتخبط بعضهم تخبطا عجيبا في إنكار النبوة ، وخاصة حين أفحمهم ما جاء به القرآن من حقائق علمية لم تعرف وتكتشف إلا في هذا العصر، فيرجعون ذلك إلى ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم فيقعون في تخبط أشد غرابة من سابقه.

ب– إنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله، وقالوا إنما هو منبثق من الديانتين اليهودية والمسيحية،وإنكارهم للقرآن والسنة النبوية قال سبحانه وتعالى:﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ [سورة النحل : 103].يدعي كثير من المستشرقين أن دين الإسلام مأخوذ من الديانات التي سبقته، فيلاحظ أن المستشرقين اليهود، أمثال "جولدنسيهر" و"شاخت"، هم أشد حرصا على ادعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه"[1].فليس لهؤلاء في ذلك الادعاء مستند يؤيده البحث العلمي، وإنما هي ادعاءات تستند على بعض نقاط التشابه بين الإسلام والديانات السابقة.

ج– التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون[2]. ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس،متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري. مما لم يعهد عندهم في ديانتهم عشر معشاره في التأكيد من صحة الكتب المقدسة عندهم[3].

د– التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي الذاتية، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله بجميع الأمم في جميع العصور، لقد سقط في أيديهم حين اطلاعهم على عظمته، وهم لا يؤمنون بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ،فلم يجدوا بدا من الزعم بأن هذا الفقه الإسلامي العظيم مستمد من

---

[1] المرجع السابق،مصطفى السباعي الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص: 21 بتصرف.

[2] صالح حمد حسن الأشرف، (الاستشراق، مفهومه وآثاره)،file:///C:/Users/pc/Downloads/esteshraq%20(5).pdf ،تاريخ المراجعة:2019/02/15م،التوقيت:20:00 ص: 8.

[3]المرجع السابق،مصطفى السباعي ،الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص: 22بتصرف.

الفقه الروماني، أي أنه مستمد منهم الغرب، وقد بين علماؤنا الباحثون تهافت هذه الدعاوى، وفيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد بلاهاي، من أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته وليس مستمدا من أي فقه آخر، ما يفحم المتعنتين منهم، ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلا.

هـ– التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي لنظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا. وتشكيكهم في غنى الأدب العربي وإظهاره مجدبا فقيرا لنتجه إلى آدابهم[1].فذلك هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه. تلك هي الأهداف العلمية التي يعمل بها أكثرهم أو جمهرتهم الساحقة.

1–2–2 أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص:

لا يقصد هذا الصنف من دراستهم –كما يزعمون– إلا البحث والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تظهر لهم بعض الحقائق الخافية عنهم – وهذا الصنف قليل عدده جدا،وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق. إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية. وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها وذلك لأنهم يتصورونها تماثل مجتمعهم غافلين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها. وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها وهذا الصنف قليل ونادر[2].

الملاحظ على هذه الفئة أنها أسلم الفئات في أهدافها وأقلها خطرا ،وسرعان ما يرجعون حينما يتبين لهم الحق ، فمنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والواقع،ومن أمثلتهم "توماس أرنولد" حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم (الدعوة إلى الإسلام)،فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين على عكس مخالفيه، بحيث يعتبر هذا الكتاب من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام.

---

[1] الرجع السابق،مصطفى السباعي ،الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ،ص 23/22.

[2] المرجع السابق،صالح حمد حسن الأشرف، (الاستشراق، مفهومه وآثاره)، ص:8،9

نذكر أيضا الرسام الفرنسي "اتين دينيه" ، الذي عاش في الجزائر وأعلن إسلامه وتسمى باسم "ناصر الدين دينيه"،اتخذ الإسلام دينا بكل قناعة.،وقد ألف كتابا سماه محمد رسول الله يشير فيه إلى الإعجاب الكبير والتقدير العالي لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم،كذلك من الإعجابات التي قدمت عن الدين الإسلامي ورسولنا الأعظم صلى الله عليه وسلم قاله **أرنولد توينبي**: "إن قيام دين يقال عنه: إنه دين حق باضطهاد دين يدعي أنه باطل،أمر يناقض في صميمه طبيعة العقيدة الدينية؛ لأن الدين (الحق) إذ يلجأ إلى سلاح الاضطهاد،يضع نفسه في المكان الباطل...وثمة على الأقل حالة نابهة الذكر لهذا التسامح المنشود..."[1].

1-2 الدافع الاستعماري:

عمل الاستشراق على تدمير عادات وتقاليد وثقافة الدول المستعمرة ،كما نشرالثقافة الغربية، وأبرز أمثلة على ذلك أن الاستعمار عادةً ما يحاول نشر لغته الأصلية ليجعلها اللغة الأساسية، واشتغل المستعمِر على إعادة تشكيل ثقافة وفكر الدول المستعمَرة بشكل يخدم مصالح الاحتلال.ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك من طريق التشكيك في فائدة ما في أيدينا من تراث،وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقدية ، ويتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضاراتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة"[2].

فالاستشراق جاء ليخدم المصالح السياسية للدول الغربية، وقد سار المستشرقون في ركاب الاستعمار لتسهيل عملية احتلال الدول العربية،والتنفير من الإسلام وإضعافه واستبداله بحركات دينية تخدم مصالح الغرب.

---

[1] أرنولد توينبي، (مختصر دراسة التاريخ)،تر فؤاد محمد شبل،المركز القومي للترجمة،القاهرة،دط،2011 ، ص: 42/2.

[2] مصطفى السباعي الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص: 17 يتصرف.

في عام 1961م كونت الحكومة البريطانية لجنة أخرى برئاسة السير وليام هايتر Sir William Hayter لدراسة هذا المجال المعرفي،وقامت اللجنة باستجواب عدد كبير من المتخصصين في هذا المجال ، كما زارت أقسام الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات البريطانية وفي عشر جامعات أمريكية وجامعتين كنديتين. وكانت زيارتها للولايات المتحدة بقصد التعرف على التطورات التي أحدثها الأمريكيون في هذا المجال ، وكان ذلك بتموين من مؤسستي روكفللر و فورد[1].

ومما يؤكد ارتباط الدراسات العربية الإسلامية بالأهداف السياسية الاستعمارية(رغم انحسار الاستعمار العسكري)، أن الحكومة الأمريكية موّلت عدداً من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية ، وما زالت تمول بعضها إما تمويلاً كاملاً أو تمويلاً جزئياً وفقا لمدى ارتباط الدراسة بأهداف الحكومة الأمريكية وسياستها.[2]

1-4 الدافع السياسي:

يمكن أن يندرج هذا الدافع مع الجانب الاستعماري، لأن هناك دافعا آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته. وكثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون – ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية – يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض وبين الدول العربية والدول الإسلامية بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماما نفوس الكثير من المسؤولين في تلك البلاد وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة. كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم[3].

---

[1] المرجع السابق،مازن بن صلاح المطبقاني، (الاستشراق)، ص: 10.

[2] المرجع نفسه، ص: 11/10.

[3] المرجع السابق، مصطفى السباعي، المرجع السابق ، ص :19/18.

تتمثل أهدافهم السياسية والاستعمارية في تفتيت الوحدة العربية،ومحاولة استغلال ثروات المسلمين، وأكثر من ذلك إنشاء قوة تسيطر على العالم الإسلامي تخدم مخططات الصهيونية العالمية.

1-5 الدافع الاقتصادي والتجاري:

من الدوافع البارزة أمام كل من له دراية بالعلاقات بين الشرق والغرب، لأن الاقتصاد والتجارةيدفع الإنسان لالتماس سبب العيش عبر الأراضي والبحار في جميع بقاع الأرض، ووصول الإنسان إلى هذا الهدف يشهر سلاحه ويستعين بقوته وبطشه، وبسبب الأطماع الشجعة تتابع الهجمات المسعورة على العالم الإسلامي، ولذا كانت الأهداف الاقتصادية من أشد الدوافع إلحاحا في اندفاع الغرب لتعلم لغات الشرق ودراسة حضارته"[1]. يقول الأستاذ عبد الرحمٰن الميداني:"من الدوافع التي حرضت كثيرا من الغربيين على الدراسات الاستشراقية رغبتهم في غزو البلاد الإسلامية غزوا اقتصاديا، والهدف الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية والثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية ، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الغربية"[2].

كان لهذا الهدف أثره في تنشيط الاستشراق، رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين"[3]. عندما بدأت الثورة الصناعية والحضارية في أوروبا أصبحت هذه الأخيرة بحاجة إلى مواد أولية لتغذية مصانعها،وأصبحوا بحاجة إلى أسواق تجارية،فكان لزاما عليهم أن يتعرفوا على بلدان الشرق وخاصة الدول العربية والإفريقية لتصريف منتجاتهم،وهناك من يرى أن الهدف الاقتصادي كان هو الأساس في الاستشراق وقد استغل الدين والتنصير لتحقيق الأهداف الاقتصادية.

---

[1] يحي مراد، (الردود على شبهات المستشرقين، من قضايا الاستشراق –بحوث ودراسات)، فكر معاصر،د م،د.ط، دت، ص: 48.

2عبد الرحمٰن عميرة، (الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق)، دار الجيل، (بيروت– لبنان)، د.ط، دت،ص: 97.

3 المرجع السابق،مصطفى السباعي ، ،ص 18.

1-6 الدافع الثقافي:

من أبرز دوافع وأهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية انطلاقاً من النظرة الاستعلائية التي ينظر بها إلى الشعوب الأخرى.ومن أهم المجالات الثقافية نشر اللغات الأوروبية ومحاربة اللغة العربية. وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي. وقد نشط الاستشراق في هذا المجال أيما نشاط،فأسس المعاهد العلمية والتنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي وسعى إلى نشر ثقافته وفكره من خلال هؤلاء التلاميذ. وقد فكّر نابليون في ذلك حينما طلب من خليفته على مصر أن يبعث إليه بخمسمائة من المشايخ ورؤساء القبائل ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا ،"يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة (الفرنسية) ، ولما يعودون إلى مصر، يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم."[1]

لم يتم "لنابليون" ذلك ، ولكن لما جاء محمد علي أرسل بعثة من أبناء مصر النابهين يقودهم رفاعة رفعت الطهطاوي ، وقد قال محمود شاكر إن هؤلاء يكونون أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا وتقاليدها فإذا عادوا إلى مصر كانوا حزباً لفرنسا وعلى مر الأيام يكبرون ويتولون المناصب صغيرها وكبيرها ، ويكون أثرهم أشد تأثيراً في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام في مصر.."[2].

وقد حرص الغرب على الغزو الثقافي من خلال التغريب الفكري وبعدة طرق منها:

أ- تشجيع الطلبة العرب الذين يدرسون في الغرب على القيام بأبحاث عن العالم العربي الإسلامي تخدم بالدرجة الأولى مصالح الغرب.

ب- قيام الغرب بإنتاج وسائل الثقافة المختلفة من كتب ونشرات وأفلام ومسلسلات، وإقامة المحاضرات والمؤتمرات والندوات، حتى يتأثر الجيل الصاعد بقشور الحضارة الغربية وينغمس فيها، والتي ترتكز في الأساس على ضرب مبادئ الإسلام وركائزه.

---

[1] محمود شاكر ، (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) مكتبة الأسرة، مصر،دط،1997م، ص108.

[2] المرجع نفسه ،ص 141.

[3] السيد محمد الشاهد،رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم، دار المنتخب العرب، بيروت ،ط1، 1414هـ/1994م، ص 181.

ظهر الهدف الثقافي في التشجيع على نشر اللهجات المحلية وتوسيعها وضرب مكانة اللغة العربية في النفوس، ويحاولون أيضا إلى هدم الفكر العربي الأصيل، والتحريض في نشر الفسق والفجور عبر وسائل الإعلام،ونشر الإلحاد و الرذيلة من خلال كتّاب عرب تأثروا بالثقافة الغربية أمثال نجيب محفوظ ونوال السعداوي وغيرهما.

2- وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم:

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أفكارهم وبث آرائهم إلا وسلكوها، ومنها:

2-1 تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الاسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه، وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو ابتسارها، وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها.

2-2 إصدار الموسوعات والمعاجم تهتم بالاسلام وشعوبه.

2-3 إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتحمل آمالا إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ والمياتم، ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهها.

2-4 إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، ومن المؤسف أن أشدهم خطرا وعداء للإسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والاسلامية في القاهرة ،ودمشق، وبغداد، والرباط، وغيرها ليتحدثوا عن الإسلام والمخجل تأثر العديد من الأساتذة بهم.

2-5 **مقالات في الصحف المحلية** عندهم،وقد استطاعوا شراء عدد من الصحف المحلية في بلادنا وقد جاء في كتاب (التبشير والاستعمار) للدكتورين "عمر فروخ" و"مصطفى الخالدي "وهو من أهم الوثائق التاريخية عن نشاط المستشرقين والمبشرين لخدمة الاستعمار مايلي:"يعلن المبشرون إنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر...، إما مأجورة في أكثر الأحيان، أو بلا أجر في أحوال نادرة"[1] .

[1] مصطفى السباعي، (الاستشراق والمستشرقين مالهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي، (دمشق- سوريا)، ط2، 1399هـ/1979م، ص: 27/26.

2-6 عقد المؤتمرات لإحكام خططهم في الحقيقة، ولبحوث عامة في الظاهر، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام 1783م حتى الآن.

2-7 إنشاء موسوعة (دائرة المعارف) – الإسلامية- كما سماها البعض، وقد أصدروها بعدة لغات، وبدأوا بإصدار طبعة جديدة منها. وفي هذه الموسوعة التي حشد لها كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام وما يتعلق به. ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين عندنا بحيث يعتبرونها حجة فيما تتكلم به[1].

2-8 دراسة الفنون الإسلامية: درس المستشرقون العديد من الفنون الإسلامية ولاسيما ما تعلق التراث الإسلامي كعلم الآثار، وهذه الدراسة كانت في زي دراسة تاريخ الحضارات[2]

لقد استخدم الاستشراق جهودا جبارة تضم أقساما جامعية ،ومراكز بحث التي تعنى بشكل رئيسى بالعالم الإسلامي،ودراسات عربية وأدبية منذ زمن بعيد،واستخدموا وسائل الإعلام الحديثة،كالقنوات الإذاعية مونت كارلو الدولية ،وقنوات تلفزيونية BBCو France 24،ومواقع الإنترنت لنشر أهدافهم ولتأثيرهم على المسلمين من خلال هذه الوسائل، وكذلك تأليف الآلاف من الكتب والمئات من المجلات وعقد الملتقايات والمؤتمرات،وإنشاء الموسوعات في سبيل تحقيق ما أرادوا الوصول إليه .هذه كانت أهم وسائل المستشرقين الذين استخدموها في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ولكن هذه الوسائل ما كانت سوى أدوات زادت في شهرة الإسلام في كافة مشارق الأرض ومغاربها؛ وزادت في إثراء وحيوية اللغة العربية وإحياء التراث العربي الدفين. أفلم يُسمع قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال- 36].

---

[1] مصطفى السباعي، (الاستشراق والمستشرقين مالهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي، (دمشق- سوريا)،ط2، 1399هـ/1979م، ص: 28/27.

[2] عبد العزيز الدولاتلي وآخرون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، إدارة الثقافة، (تونس)،دط، 1985م، ص: 167/2 بتصرف.

5- جهود المستشرقين :

لا يمكن لنا بأي حال من الأحوال أن ننكر جهود المستشرقين في المحافظة على تراثنا العربي الإسلامي، الذي يشمل الدين والأدب والتاريخ والفلسفة والآثار وكل العلوم ،فكشفوا الغطاء عنه وامتلأت خزائن المكتبات بمؤلفاتهم، وأنشؤوا معاهد وأقساما تهتم باللغة العربية وعلومها ،لقد ساهموا بحق في إثراء الفكر العربي المتميز .

3-1 الاهتمام باللغة:اعتنى المستشرقون باللغة العربية فبحثوا في لهجاتها ونحوها وصرفها ومعاجمها وبحثوا في تاريخها مثل كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان وقاموا بتعليمها لغير الناطقين بها من خلال التدريس .

3-2 المخطوطات :جمع المستشرقون المخطوطات العربية وحافظوا عليها من التلف والضياع،وقد قام المستشرقون بنشر الآلاف من المخطوطات وتحقيقها وفهرستها يقول محمد كرد علي:"لولا عناية المستعربين بتراثنا وآثارنا لما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذنها من طبقات الصحابة وطبقات الحفاظ ،ومعجم ما استعجم ، وفتوح البلدان ، وفهرست ابن النديم ، ومفاتيح العلوم ، وطبقات الأطباء ...،وابن بطوطة ، إلى عشرات من كتب جغرافية والرحلات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي ، وبها وقفنا على درجة حضارتنا ولولا إحياؤهم تاريخ ابن جرير وابن الأثير وغيرهم لجهلنا تاريخنا الصحيح وأصبحنا في جهل لتراثنا ،ولو جئنا نعدد أعمالهم في كتب الأدب والعلم التي أحيوها لطال بنا عدها وإحصاؤها"[1].

3-3 الترجمة: اعتنى المستشرقون بترجمة كثير من الكتب مثل ترجمة القرآن إلى عدة لغات وقاموا بترجمة كتب السير وكتب التاريخ والأدب وغيرها من العلوم وحاول الكثير منهم التعريف بتراثنا.

3-4 التأليف: كثر التأليف عن الحضارة العربي الإسلامية في شتى المجالات من كتب في شتى

---

[1] ميم نسرين لطيفة جهود المستشرقين في نشر التراث العربي ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الاستشراقية ،جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2015/2014، ص: 294 بتصرف.

المجالات وقواميس ومعاجم عربية مثل المعجم المفهرس لألفاظ الحديث وكتبا تناولت سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم "...غير أن انعطافا بدأ يظهر في النصف الثاني من القرن السابع عشر أقرب للموضوعية تناولت سيرة الرسول على يد راسيكي وقد ربط تاريخ الرسول للمرة الأولى بالدعوة الإسلامية وفي مقدمة الكتاب جاءت صورة الرسول بوصفه رجلا عمليا ، سعى إلى توحيد بلاد العرب ، التي ساد فيها الصراع والحقد والعصبية القبلية، كما صور الرسول أحد دعاة التوحيد "[1].

4- آثار الدراسات الاستشراقية:

قدّم الاستشراق أعمالا كبيرة للشرق تتمثل في الاهتمام بمفردات اللغة العربية وإثرائها ،وكذلك صيانة المخطوطات العربية وفهرستها فهرسة علمية ،و ساهموا في الحفاظ الآثار العربية من التلف،والكشف عن الحضارات الغابرة وغيرها من الجهود المبذولة، التي كان لها أثر إيجابي على واقع الأمة العربية والإسلامية، ولكنه في نفس الوقت كان له تأثيرات سلبية كبيرة على العالم الإسلامي في المجالات العقدية، والتشريعية ، والسياسية ، والاقتصادية والثقافية.

1-1 الآثار العقدية:

من أبرز الآثار العقدية للاستشراق في العالم الإسلامي:

1-1-1 العلمانية : مذهب جديد وحركة فاسدة ،تهدف إلى فصل الدين عن الدولة و الحياة،والانكباب على الدنيا ،وبمعنى آخر جعل الدين محصورا في الأمور التعبدية فقط ولا دخل له في السياسة ،بدأت عملية العلمنة تتوسع في دول المسلمين عندما ساد الحكم الاستعماري الغربي الدول العربية، وظهرت طائفة من السياسين وعلماء السوء في نشر هذه فكرة الهدامه والتي تهدف إلى:

1- محاولة ضرب عالمية الإسلام.

2- إلغاء الخلافة الإسلامية.

---

[1] المرجع السابق،ميم نسرين لطيفة، جهود المستشرقين في نشر التراث العربي، ص: 296 بتصرف.

3- حظر استخدام الدين لأغراض سياسية.

4- نشر النظم الغربية ومحاولة السيطرة على العالم.

2-1-1 إعطاء قيمة كبيرة للمذاهب المنحرفة والفرق الضالة ،وخاصة التي تكون بعيدة كل البعد عن العمل بالكتاب والسنّة،فتجد كثيرا من مؤلفات المستشرقين تولي اهتماما كبيرا في دراسة الفرق المنحرفة كالرافضة والمتصوفة وغيرهما.

3-1-1 الاهتمام الكبير بالتصوف من قبل المستشرقين ،لأنه يشبه عقائد النصارى المنحرفة،فالصوفية التي يدرسها الاستشراق لا علاقة لها بالإسلام، لأنها تحمل فكرا ضالا وتصورات عقائدية بعيدة عن الكتاب والسنة. فنجد المستشرق الفرنسي مثلا لويس ماسنيون يدرس ظاهرة الحلولية عند الحلاج ويجعله شهيد الإسلام عند مقتله ،وهذه البدع قد أثرت على كثير من الناس اليوم ظنا منهم أنها هي الدين الصحيح.

لم يتوقف الأمر إلى هذا الحد، بل يبالغ الاستشراق في الدور الديني للفرق، فيعتبرها مسؤولة عما يسميه بتطور العقيدة في الإسلام وتطور الرؤى العقدية، وقد اتجه الاستعمار الحديث وبمساعدة التنصير والاستشراق إلى تكوين واستحداث فرق دينية جديدة في المجتمع الإسلامي، بهدف زيادة عوامل التفرقة بين المسلمين والعمل على خلخلة التوازن في المجتمع الإسلامي، كما أن الاستشراق لعب دورا في تشجيع الدراسات الخاصة ببعض الفرق القديمة مثل :الرافضة والمعتزلة، والحماس الشديد الموجه لدراسة التصوف ولابد أن نتطرق إلى بعض أسباب الاهتمام الكبير الذي أولاه الاستشراق للدراسات الخاصة بالتصوف منها:

أ – تشجيع المتصوفة والعمل على مساعدتهم في إحياء طرقهم الصوفية من أجل مزيد من التفتيت للمشاعر الدينية عند المسلمين ،وإظهار المجتمع الإسلامي في صورة المجتمع المفكك دينيا.

ب – أن التصوف عند المسلمين متأثر بأشكال التصوف المعروفة في عدد من الديانات الأخرى مثل :الهندوسية، والبوذية، والنصرانية، واليهودية.

ج –أن التصوف عامل تقريب هام بين الإسلام والديانات الأخرى، كما أن التصوف يعتبر من المنابع الهامة للتصوف عند المسلمين، فالمستشرقون يشجعون قيام الطرق الصوفية والعمل على انتشارها حتى ينتهي الأمر إلى تجزئة الإسلام دينيا[1] .

لقد حرص الاستشراق والتنصير والاستعمار على هدم المبادئ وعقيدة الإسلام واستبدالها بفكر وعقيدة جديدة ،وكأنها هي الإسلام بعينه وذلك عبر إنشاء المدارس والجامعات الغربية في العالم الإسلامي، فمن ذلك الكلية الإنجيلية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية التي لها فروع في كل من القاهرة وبيروت واسطنبول ودبي .بالإضافة إلى كلية فيكتوريا (مدرسة ثانوية) والكلية الأمريكية في بيروت (مدرسة ثانوية) وقد زعم كرومر Cromer في احتفال بمدرسة فيكتوريا بأن الهدف من هذه المدرسة وشبيهاتها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين يكونون جسراً بين الثقافة الغربية ومواطنيهم المسلمين.ولعلها عبارة ملطّفة لتكوين جيل ممسوخ لا يعرف ثقافته ولا عقيدته.[2]

2- الآثار الاجتماعية:

خلف الاستشراق وبالتعاون مع الاستعمار آثارا سلبية كبيرة على مجتمعاتنا العربية،فقام الغرب بتحطيم الروابط الاجتماعية في الوطن العربي ومزق الوحدة العربية من خلال إثارة فكرة الجهوية والانقسامات العرقية وقام بإدخال عادات وتقاليد غربية سلبية "قد تمكن الاستعمار بالتعاون مع الاستشراق في إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد التي وقعت تحت الاحتلال الغربي. ففي الجزائر مثلاً حطم الاستعمار الملكيات الجماعية أو المشاعة للأرض وذلك لتمزيق شمل القبائل التي كانت تعيش في جو من الانسجام والوئام.[3]

---

[1] محمد خليفة حسن أحمد، (آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية)، الناشر :عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،،القاهرة،مصر ط1، 1997م، ص: 21 وما بعدها،بتصرف .

[2] محمد محمد حسين . (الإسلام والحضارة الغربية)، دار الفرقان،دم،دط،دت،ص 46. بتصرف.

[3] صالح حمد حسن الأشرف، (الاستشراق، مفهومه وآثاره)، ص: 25 بتصرف.

من الجوانب الاجتماعية التي عمل فيها الاستشراق على التأثير في المجتمعات المغاربية:

1- تمزيق الوحدة الاجتماعية وتشجيع الانقسامات في المغرب العربي إلى عرب وبربر.
2- نشر الحملات التنصيرية في المناطق القبائل وفرنستها.
3- إدخال عادات وتقاليد غربية فاسدة.

يزعم العلمانيون أن الإسلام استعبد المرأة وضيع حقوقها،ونشروا صورا عن اضطهاد الإسلام للمرأة ،وشجعوا الدعوات إلى التحرير المزعوم لها،كخلع الحجاب والسفور والمساواة في الميراث،وهذا ما نجده في كتابات المتأثرين بالثقافة الغربية ،أمثال نوال السعداوي وحنان الشيخ وغيرهما.

يرى الدكتور محمد خليفة أن موقف الاستشراق من المرأة المسلمة نابع من وقوعه "تحت تأثير وضع المرأة الغربية أنها نموذج يجب أن يحتذى به، وأن ما حققته من مساواة —في نظرهم- وحقوق يجب أن يتسع ليشمل المرأة المسلمة والمرأة الشرقية العامة. ...ويضيف خليفة بأن الاستشراق يسعى إلى تقويض وضع المرأة المسلمة داخل الأسرة على التمرد على النظام والخروج باسم الحرية وتصوير وضع المرأة المسلمة تصويراً مزيفاً لا يعكس الحقيقة."[1]

لقد أثار الاستشراق قضايا تتعلق بواقع المرأة المسلمة ،وحاول المستشرقون الإساءة للإسلام كونه قيد وانتهك حقوق المرأة وذلك عبر وسائل الإعلام،فلحد اليوم ونحن نشاهد قنوات تابعة للدول الغربية تصور المرأة المسلمة بأنها مرأة مضطهدة ومكبوتة الحرية، فيستدعون فيها نساء عربيات لإلقاء المحاضرات وجعلهن من الناشطات في حركة تحرير المرأة .ولو عدنا إلى التاريخ لوجدنا الإسلام هو من حرر المرأة من العبودية والتسلط.ولكن مازال الاستشراق الإعلامي يروج للفكر الغربي قضية اضطهاد المرأة المسلمة،عبر الصحافة الغربية والإذاعات الموجهة.وعبر الكتب التي قدمت هيئة الإذاعة البريطانية عروضاً لها كتاب (ثمن الشرف) للكاتبة البريطانية الأصل جان جودون Jan Goodwin التي

[1] محمد خليفة حسن، (آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة- مصر)،دط، 1997م،ص: 64.

تناولت فيه دراسة أوضاع المرأة في خمس دول إسلامية هي الباكستان وأفغانستان والكويت ومصر والمملكة العربية السعودية. وقد خلطت الكاتبة فيه بين موقف الإسلام من المرأة وبعض التطبيقات الخاطئة في هذه الدول . ومن المعروف أن الإسلام حَكَمٌ على أهله وليس سلوك المسلمين حجة على الإسلام[1].

قدمت إذاعة لندن في شهر جمادى الأولى تقريراً عن ندوة تعقد في إحدى الدول العربية حول موضوع المرأة وقدمت تصريحاً لمسؤول في تلك الدولة يزعم فيه أن بلاده وتركيا هما الدولتان الوحيدتان اللتان أصدرتا قوانين تحرّم تعدد الزوجات وتعطي المرأة كثيراً من الحقوق لمساواتها بالرجل. وإن التوازن في عرض وجهات النظر يقتضي أن تقدم الإذاعة من يتناول وجهة النظر الأخرى لمثل هذه التصريحات. وكانت الإذاعة قد قدمت تقريراً عن مؤتمر عقد في قطر للمرأة المسلمة وعرضت أخبار هذه الندوة بكثير من السخرية ومن ذلك وصفها لانتقال النساء في حافلات ذات ستائر غامقة اللون حتى لا يراهن أحد، وعبارات أخرى مليئة بالاستهزاء من موقف الإسلام من المرأة[2].

الآثار السياسية والاقتصادية:

3-1 الآثار السياسية:

ساهم الغرب في تأخر دول العالم الإسلامي من خلال سيطرة على أرضهم وعلى عقولهم،فبسط نفوذه من أجل استغلال خيراته في المجالات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،وخلقوا أنظمة تابعة لسياسات غربية تتبنى الديمقراطية المزعومة منهجا لها،تبدد الأموال وتضيع الثروات،وتخرب الاقتصاد وتصنع التفرقة بين المجتمع الواحد.فنتجت عن هذه السياسات ظلم وتمزق وتخلف في بلاد المسلمين،وتدمير مظاهر الحياة المستقرة، ونشر الأمراض والأوبئة داخل المجتمعات المغلوبة على أمرها،على الرغم من الإمكانات المادية والمعنوية الهائلة التي تملكها هذه البلدان.

---

[1] المرجع السابق،مازن بن صلاح المطباقي، (الاستشراق)، ص: 15.

[2] المرجع نفسه، ص: 15.

قد ظهرت كتب كثيرة عن نظام الخلافة الإسلامي،وافتروا على الخلفاء الراشدين بزعمهم أن وصول الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) إلى الخلافة كان نتيجة لمؤامرة بين الاثنين. وكتب مستشرقون آخرون زاعمين أن النظام السياسي الإسلامي نظام قائم على الاستبداد وفرض الخضوع والمذلة على الشعوب الإسلامية. بل بالغ لويس في جعل النظام السياسي الإسلامي يشبه النظام الشيوعي في استبداده وطغيانه.[1]

قام العرب باستراد أنظمة غربية دون فهم فحواها وأسسها كالديمقراطية مثلا وحرمت الشعوب من الحقوق والحريات ،وقد تأثرت بعض الدول العربية التي خضعت للاستعمار الغربي بالفكر السياسي الغربي بأن قامت باستيراد النظام البرلماني دون أن يتم إعداد الشعوب العربية لمثل هذه الأنظمة فكانت كما قال أحد المستشرقين بأن العرب استوردوا برلمانات معلبّة دون ورقة التعليمات.[2] وما زالت هذه البرلمانات في البلاد العربية يتحكم فيها الحزب الحاكم الذي لا بد أن يفوز بأغلبية المقاعد بأية طريقة كانت. ومع ذلك فما زال الغرب حريصا على نشر الديمقراطية وقد كانت تصريحات الساسة الغربيين بأن (حرب الخليج الثانية) ستكون مناسبة لفرض الديموقراطية في العالم العربي وستكون البداية في الكويت.[3]

3-2 المجال الاقتصادي :إن الغرب سعى إلى نشر الفكر الاقتصادي الغربي الاشتراكي والرأسمالي ،وسعى إلى محاربة النظام الاقتصادي الإسلامي وجعلوه نظاما قد فات زمنه، فهو لا يصلح في عصرنا الحالي وكما يقول محمد خليفة: " إنّ المستشرقين في سعيهم للترويج للفكر الاقتصادي الغربي قاموا ب:إعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسمالية والشيوعية كنوع من التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنهما لا يمثلان خروجاً عن النظام الاقتصادي الإسلامي."[4]

---

[1] المرجع السابق،مازن بن صلاح المطبقاني، (الاستشراق)، ص: 16.

[2] المرجع السابق،صالح حمد حسن الأشرف، (الاستشراق، مفهومه وآثاره)، ص: 27

[3] المرجع السابق،مازن بن صلاح المطبقاني، (الاستشراق)، ص: 16.

[4] المرجع السابق ،محمد خليفة حسن، (آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية)، ص: 79.

لقد سوق الغرب للعرب أنظمة لا تجدي نفعا للمجتمعات المسلمة بل تجعلها في فلك التخلف، فكان من نتائج الترويج للاشتراكية والرأسمالية في العالم الإسلامي أن انقسم العالم الإسلامي على نفسه فأصبح قسم منه يدور في الفلك الشيوعي والقسم الآخر في الفلك الرأسمالي.ولعل من طرائف المواقف الاستشراقية أن تسعى الدول الغربية إلى بث النظام الاشتراكي في بعض الدول العربية كما أشار أحد الباحثين إلى تدريس الاقتصاد الاشتراكي والترويج بأن التنمية الحقيقية في العالم العربي تتطلب تأميم وسائل الإنتاج، وأن الحرية الاقتصادية الغربية لا تناسب مراحل التنمية الأولى.[1]

4- الآثار الثقافية والفكرية:

شارك الاستشراق في إحياء التراث العربي الإسلامي من خلال نشر مؤلفاتهم وإعداد المخطوطات وإخراجها للوجود ،حتى يتسنى لنا التعرف على تراث أسلافنا، وساهم الغرب ولو بطريقة ما في إثراء الفكر وتطويره، لكن للاستشراق دور سلبي كبير مازال ينخر الأمة إلى يومنا هذا والمتمثل فيما يلي:

1- إضعاف الثقة بين علماء الأمة والمسلمين،وغرس الثقافة الغربية فيهم
2- أثر الفكر الغربي في المجالات الفكرية الأخرى،كالتاريخ و علم الاجتماع و علم النفس وغيرها من العلوم.
3- تأثير المستشرقين في بعض النخب العربية،والتي أصبحت تدعو إلى التغريب والدعارة الفكرية.
4- تغليب اللهجات المحلية وتشجيع اللغة المستعمر،وإغفال دور اللغة العربية الفصحى،ومحاولة إزاحتها من الأوساط العلمية .
5- تشكيك المسلمين بدينهم ،وإثارة الشبهات حول القرآن والسنة النبوية.

[1] المرجع السابق ،محمد خليفة حسن، (آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية)، ص: 79 بتصرف.

الفصل الثاني :

نظرة المستشرقين الغربيين إلى السيرة النبوية

المبحث الأول: المستشرقون والسُّنة النّبوية

المبحث الثاني: المستشرقون الغربيون الحاقدون على نبي الإسلام محمد صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم

المبحث الثالث: المستشرقون الغربيون المتعاطفون مع النَّبي صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم

المبحث الأول: المستشرقون والسُّنة النّبوية

1- المستشرقون والقرآن الكريم:

إن دراسات المستشرقين لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم كانت منذ ظهور فجر الإسلام،حاول المستشرقون حينها دراسة كل ما يتعلق بالإسلام،وحاولوا أيضا فهم العلاقة الموجودة بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.إن اختيار الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رسولا من عنده لتبليغ الرسالة ليس صدفة.قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: 124].

وصف الله نبيّه بالإنسان الكامل و صاحب الخلق الكريم،قال عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: 4] .فهو الشخصية التي لم يعرف لها التاريخ نظير، و لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم رجل آمين بعثته الله رحمة للعالمين وهدى للأمم وصلاح للبشرية ،ومع ذلك فإن حديث الاستشراق عنه كان بين الإجحاف والإنصاف،يقول توماس كارليلThomas Carlyle :"كلا ما محمد بالكاذب، ولا الملفق...ذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[1].

إن الجهل بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ليحجب عن الباحث الرؤية التي تمكنه من معرفة حقيقة القرآن الكريم ،كما أن عدم معرفة القرآن معرفة وافية تجعل الدارس عاجزا عن الإحاطة بشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، لأن القرآن كما يقول **بودلي** Bodley "كتاب جليل يعكس صورة محمد،وعلى الرغم من ذلك فهناك قليلون من غير المسلمين ودارسي الإسلام من عندهم أية فكرة عن ماهية القرآن"[2].

---

[1] توماس كارليل، (محمد المثل الأعلى) تر: محمد السباعي، مكتبة النافذة، (الجيزة- مصر)، ط1، 2008م، ص: 6.

[2] عبد الوهاب بن دحان، (النص القرآني في الخطاب الاستشراقي الفرنسي الحديث) رسالة دكتوراه،جامعة أبو بكر بلقايد،تلمسان،2011/2010 م، ص 131.

ووصفُ النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف ينطبق تماما مع ما جاء في حديث عائشة (رضي الله عنها): «**كان خلقه القرآن يغضب لغضبه و يرضى لرضاه**».[1]

إن السنة النبوية هي الأصل الثاني للإسلام، وقد أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يبلغ رسالته إلى الناس في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة -67]. ولكن الأمر لم يكن مجرد تبليغ آلي، وإنما هو تبليغ مصحوب بالبيان والبرهان كما ورد في قوله تعالى:﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل-44]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[النحل- 64].

قد فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمره الله به ، فكانت سنته المتمثلة في أقواله و أفعاله بالنسبة للقرآن بمثابة تفصيل مجمله وبيان مختصره، و بذلك يكون الارتباط بين القرآن و السنة ارتباطا عظيما ،لا يتصور أن ينفصم في يوم من الأيام ، وقد نبه النبي صلى الله عليه و سلم على ذلك حين قال «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله و سنتي**»[2].

ادعى بعض المستشرقين على أن القرآن وحده يكفي ولا حاجة للسنة النبوية ،وهذا في الحقيقة تقليل من شأن ما جاء به الرسول الكريم، إذ لا يمكن فهم القرآن بعيدا عن سنته صلى الله عليه وسلم ،وقد أمرنا الله في كتابه العزيز بإقامة الصلاة ،لكن كيف أقيم الصلاة لولا العودة إلى صاحب السنة صلى الله عليه و سلم، التي جاءت بدورها تبيينا وتفسيرا لما جاء به القرآن الكريم ،ومن أجل

[1] أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. ص: 575/6.

[2] محمد ناصر الدين الألباني، (صحيح الجامع الصغير وزياداته)، المكتب الإسلامي،ط3، 1988،ص:566/1 الحديث رقم: 2937. حرف التاء.

ذلك اهتم المسلمون اهتماما عظيما بالسنة لأنها الأصل الثاني للإسلام بعد الأصل الأول، وهو القرآن الكريم، وقد كان هذا الفهم يعد من الأمور البديهية لدى صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم فعندما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل (رضي الله عنه) إلى اليمن سأله كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقض بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: سنة رسول الله، قال: فإن لم تجد قال:اجتهد رأي[1] .

إذا كان المستشرقون حاولوا محاولات فاشلة للتشكيك في مصدرية القرآن الكريم في جوانب مختلفة، فكيف تعاملوا مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟.

2- المستشرقون والسُّنة النّبوية

لم تسلم السنة النبوية هي نفسها من الشك والبهتان، فقد استخدموا في دراستهم لها نفس المناهج التي استخدمت مع القرآن الكريم كمنهج التأثير الخارجي، والتشبث بالأخبار الضعيفة، والشك في مصدريتها وغيرها من المناهج الباطلة. يزعم المستشرق المجري " جولدزيهر Goldziher :"أن الإسلام نما على يد رجاله و سبيل نمائه الإضافات التي جعلت كيان هذا الدين يكبر إلى حد لم يعرفه محمد نفسه، وأول هذه الإضافات السنة فإن ألوف الأحاديث التي تثبت أن الرسول نطق بها هي من صنع العلماء الذين أرادوا أن يجعلوا من الإسلام دينا كبيرا شاملا فخلقوا هذه الأحاديث... "[2].

ويزعم أيضا أن هذه الأحاديث و غيرها من النصوص المماثلة التي يسهل علينا جمعها لا تمثل الأخلاق فحسب، بل إنها لتعبر عن العاطفة العامة لفقهاء المسلمين و لكن الإسلام خلال توسعه التالي، و بفعل التأثيرات الأجنبية ترك مجالا لدقة العلماء المعنيين و لعلماء العقائد"[3].

---

[1] محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)، تح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة- مصر)، ط7، 1377هـ/1957م، ص: 387. [هذا الحديث رغم شهرته عند الفقهاء، لكنه ضعفه أهل الحديث].

[2] المرجع السابق ،محمد الغزالي،دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين،ص48.

[3] جولد زيهر، (العقيدة والشريعة في الإسلام)،تر محمد يوسف موسى وآخرون،دار الكتب الحديثة،مصر،ط2،دت، ص: 32.

يتبين على حسب زعم هذا المستشرق أن القرآن نقله الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأوائل،والسنة التي تنسب إليه نقلها أتباع الرسول عن الأجانب، فطعن جولدزيهر في السنة ليس في حديث ما أو جملة أحاديث عليها ، إنما الطعن في السنة كلها ،المتواتر منها و المشهور و الصحيح،و نحن هنا لسنا بصدد الرد أو مناقشة هذه الآراء الكاذبة فقد تكفل بذلك علماء و مشايخ المسلمين نذكر على سبيل المثال ما قاله أبو حامد الغزالي (رحمه الله) في ذلك:! إذا كان التواتر يجيء بالكذب فمن أين نعلم أن جولد زيهر هذا موجود، و أنه ألف هذا الكتاب؟! لمذا لا يكون هو شخصية خرافية،وتكون نسبة هذا الكتاب إليه من اختلاف بعض الخبثاء أو الظرفاء؟ إننا لم نعرف وجوده إلا بالتواتر، فإذا كانت السنة المتواترة مكذوبة فلماذا ننكرها و نعترف بحياته هو؟[1].

أما "**شاخت Shakht** " فقد وصل هو الآخر إلى منزلة لم يصل إليها مستشرق من قبل في مجال محاربة السنةو التشكيك أصوليتها، ليصبح التلاعب بالقرآن الكريم بعد ذلك أمرا ميسورا ،ولكي يشرح شاخت نظريته،نشر كتبا ومقالات عديدة، ووضع كتاب_ **المدخل إلى الفقه الإسلامي**_ لهذا الغرض.وقد أثر هذا المستشرق فيمن بعده من المفكرين الغربيين وحتى العرب، في قضيةإلغاء دور السنة النبوية وعدم الاحتجاج بها.

أثرت نظرية **شاخت** في أصول الشريعة الإسلامية تأثيرا بالغا على جميع المستشرقين تقريبا في كل المجالات الحضارية فمنهم: أندرسون وروبنسون و فيزجرالد و كولسون و بوزورت"[2] وردّد شاخت هذا الكلام مرة أخرى بوضوح أكثر في كتابه (**المدخل إلى الفقه الإسلامي**) حيث يقول: في الجزء الأكبر من القرن الأول لم يكن للفقه الإسلامي في معناه الاصطلاحي— وجود كما في عهد النبي،و القانون — أي مسألة القانون تمثل عملية لامبالاة بالنسبة للمسلمين . هذه النظرية جوهرية و مركزية أساسية بالنسبة لكل كتابات شاخت، فإذا كانت الشريعة أو القانون تقع خارجة عن نطاق الدين

---

[1] المرجع السابق،محمد الغزالي، (دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين)، ص49 بتصرف.

[2] المرجع السابق، يحي مراد، (ردود عل شبهات المستشرقين)، ص: 291.

كان النبي صلى الله عليه وسلم غير مكترث لها ، وكذلك المسلمون الأوائل من الصحابة و التابعين، إذن فلن يكون هناك أي اهتمام في هذا المجال ،و إن وجد كان شيئا مؤقتا وآنيا. و هو يصرح بذلك فيقول: من الصعوبة اعتبار حديث ما من الأحاديث الفقهية صحيح النسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم[1].

لا يختلف **جوينيل" Joynell** "عن **جولد زيهر** و **شاخت** في الطعن في الحديث الشريف إذ يقول: "ومع الزمن ازداد ما روي عن النبي من قول أو فعل شيئا فشيئا في عدده وفي غزواته، وعملت كل فرقة على تأييد رأيها و من استطاع يرد راية إلى أثر من آثار النبي،فهو الحق من غير شك ،و لهذا كثرت الأحاديث الموضوعة المتناقضة أشد التناقض في سنة محمد صلى الله عليه وسلم"[2].

اشترط العلماء شروطا لقبول الحديث وضوابط صارمة في أيّ شخص يقبل منه ذلك، كالعدل والحفظ والنزاهة والتقوى وغيرها، وهذا كله من أجل الحفاظ على الحديث. ثم يأتي اليوم شرذمة من المستشرقين ليشكّكوا فيه ،إن هذا الشك واضح المسالك والأهداف يحاولون أن يبلغ شكّهم في أنّ السُّنّة هي مجرد أكاذيب اصطنعها بعض الرّجال لمآرب شخصية أو سياسية، ومن الواضح تماما أنّ كل هذه التهم والأكاذيب على النّبيّ المختار محمد صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم ليست إلا خلاصة لعصارة من الحقد والبغض كانت في قلوب هؤلاء المستشرقين، فلا يوجد أيّ دليل على ما يدعوه، فالصحابة رضوان الله عليهم بذلوا جهودا في حفظ الحديث النبوي،ثم تناقله عنهم التابعين بالتحقيق في المتن والتدقيق في السند،وقسموا أحاديث المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أقسام منها الصحيح والحسن والضعيف.ومن كذبهم و افتراءاتهم على السنة النبوية ،أن بعض أحاديث الرسول أخذت من تعاليم الإنجيل،وإقامة عادات جديدة بدلا من عادات الآباء ،و التشكيك في نبوة الرسول عليه الصلاة و السلام، وإبراز الأقوال المتعارضة ظاهرا بمظهر التناقض و الطعن[3] .

---

[1] المرجع السابق، يحي مراد، (ردود عل شبهات المستشرقين)، ص: 292.

[2] المرجع السابق ،نذير حمدان، (الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين) ، ص: 93.

[3] المرجع نفسه، ص: 94.

إن هذه الأقاويل التي صدرت من بعض المستشرقين،تحاول رد كل ما هو إسلامي إلى أصول يهودية أو نصرانية وسواء تعلق الأمر بالقرآن أو السنة أو غيرهما،وهذا الاستنباط الخاطئ يحتاج إلى دليل علمي واضح يشهد له التاريخ،وإلا كان مجرد تخيلات وأهواء لا علاقة لها بالتأصيل العلمي الصحيح.

أما المستشرق" **وات**" فيتصور عملية نقل الحديث كما يلي: أخذت فئة قليلة من الأشخاص منذ نهاية القرن الأول الإسلامي بجمع الأخبار التي تستطيع جمعها عن حياة محمد، ومغازيه ،ثم كتب بعضهم ما جمعوه،و مهما بدا أن هؤلاء الجامعين الأوائل للأخبار قد فحصوا مصادرهم بعناية ،فإنهم لم يذكروا في جميع الحالات الإسناد الكامل أو سلسلة الرواة التي تعود بنا القهقرى إلى شاهد العيان للحوادث ثم أصبح الإسناد الكامل شيئا فشيئا ضروريا.[1]

يزعم "وات" بأن هناك فترة انقطاع لم تدون فيها السنة والسيرة حتى نهاية القرن الأول الهجري وهذا يخالف الواقع التاريخي الفعلي لتدوين الحديث النبوي، والذي تزامن مع تناقلها الشفوي منذ عهد النبوة ،وخلال الأجيال اللاحقة، ويضيف واط بأن تلك المحاولات لجمع السيرة النبوية لم يذكر فيها الإسناد على حد زعمه كاملا.و استدل بأن ابن إسحاق لا يذكر السند كاملا، أما من جاء بعده كابن سعد مثلا حاول أن يكمل سلسلة السند، ولكن على حد قوله:لا نستطيع وصل الحلقات الأولى من السلسلة كما هو الشأن في الحلقات المتأخرة[2]

هذا التصور خاطئ لطبيعة الإسناد وواقعه، وذلك لأسباب منها الواقع التاريخي يثبت أن الإسناد بدأ في عصر النبي صلى الله عليه وسلم،فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسندون الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعوه منه ،وأما إذا سمعوه من صحابي آخر فإنهم يسندونه إليه كرواية عائشة عن أبي هريرة،ورواية أبي هريرة عن عائشة (رضي الله تعالى عنهما) وكانوا يوصون

---

[1] عمر بن مساعد الشريوفي، موقف المستشرق مونتجمري وات من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم)،بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود ، (المملكة العربية السعودية)، 1416/1415هـ، ص: 135 .

[2] المرجع نفسه، ص: 137.

بذكر الإسناد عند كتابة الحديث ، يقول علي بن أبي طالب(رضي الله عنه): «**إذا كتبتم حديثا فاكتبوه مع الإسناد**». وسار التابعون على هذا النهج فكانوا يسندون الحديث إسنادا كاملا إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتزم تابع التابعين بهذا النهج حتى اشتهرت الأسانيد ،وسميت بأصح الأسانيد كرواية مالك عن نافع عن عمر، أو يحي بن أبي سلمى عن أبي هريرة ،وغيرها من الأسانيد ومن الطبيعي أن تطول وتكثر سلاسل الأسانيد مع تقادم الزمن ،وذلك لتناقل الرواية عن الصحابة : "إن مجال دراسة الأسانيد هوكتب الحديث وليست كتب السيرة .وأكثر ما قام به المستشرقون من دراسة الأسانيد حتى الآن في كتب السيرة ،وبالتالي توصلوا إلى نتائج خاطئة لاختيارهم مواد غير مناسبة للبحث والتنقيب عما يريدون[1].

اجتهد علماء الحديث بوضع جملة من الضوابط في قبول أي حديث قيل عن النبي صلى الله عليه وسلم،وخاصة بعد موت كثير من الصحابة ،لذلك لجأ التابعون بجمع الأحاديث فوضعوا شروطا في تقبل الحديث الصحيح من السقيم، وبذلوا جهودا كبيرة في سبيل المحافظة على السنة من التحريف والضياع.

أما دعوى بعض المستشرقين من أن الحديث أو القسم الأكبر منه، كان نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأولين، ماهو إلا مراوغة وتطفلا منهم لضرب تعاليم الإسلام ومحاولة تحريف وتكذيب السنة النبوية،وبما ينجم أو يترتب عليه من آثار سلبية على المجتمع الإسلامي وهو التشكيك في السنة النبوية.

الإسلام دين الله إلى يوم القيامة وآخر الأديان السماوية السابقة،والرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن بلّغ الرسالة وأدى الأمانة على أكمل وجه،انتقل بعدها إلى الرفيق الأعلى بنص القرآن الكريم قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ

[1] المرجع السابق، عمر بن مساعد الشريوفي، موقف المستشرق مونتجمري وات من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم) ص: 138.

دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ [المائدة – 3] .

أخبر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ،أنه أكمل لهم الدين وأتم عليهم النعم، فلا يحتاجون إلى زيادة فيه ولا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه،وهذه الآية جاءت صريحة في رد على من يطعن النقص في الدين .

فالحديث عن مرحلة نضوج الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حديث لا أساس له لأن النضوج كان قد تم بالفعل قبل وفاته ،أما أن الحديث كان انعكاسا للتطورات التي شهدها المجتمع الإسلامي في القرنين الأوليين فيكذبه الحديث الشريف " تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما:كتاب الله وسنتي .وقد كان من نتيجة ذلك جمع المسلمين على كلمة سواء في العقائد، والعبادات، والأخلاق، وأحكام المعاملات في كل بقاع الأرض فكيف يمكن حدوث تطور في الدين والدين قد اكتمل، والقواعد قد رسخت، والأخلاق قد تمكنت من النفوس والعبادات قد استقرت أوضاعها بالقول إن الحديث أو القسم الأكبر منه كان نتيجة للتطور الذي حدث في المجتمع الإسلامي في القرن الأول والثاني، يترتب عليه ألا تتحد عبادة المسلم في شمال إفريقيا مع عبادة المسلم في جنوب الصين نظرا للاختلاف البعيد في البيئة في كل منهما،فكيف اتحد في العبادة والشريعة والآداب هذا البعد وهذا الاختلاف؟"[1].

يقول محمود حمدي زقزوق إذا كان اجتهادا خاطئا فلصاحبه مع ذلك أجر واحد، وإن كان اجتهادا صائبا فلصاحبه أجران ومن هنا نجد المرونة التي تتلاءم مع كل عصر وكل مكان[2].فالمستشرقون الذين يقولون: إن السنة التي نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح الاعتماد عليها لعدم الثقة بطريقتها، ويجرحون كثيرا من الرواة و يحاولون الوصول إلى هدم الأساس

[1] عمر بن مساعد الشريوفي موقف المستشرق مونت جمري واط من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم)،بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود ، (المملكة العربية السعودية)، 1416/1415هـ، ص: 150.

[2] محمود حمدي زقزوق، (الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري) ، دار المعارف، (القاهرة– مصر)،دط،دت ص : 112.

الذي كان منه التشريع، وإن انعدمت الثقة في الحديث الذي يوجهون إليه طعونهم، سقط حصن منيع من حصون الشريعة فيتجهون إلى الحصن الآخر، وهو القرآن ليزعزعوا عقيدة المسلمين فيه فإذا أخرجوا منه وهو معتصم كانوا كالغنم المحصنة في حضيرتها انطلقت فانتهشتها الذئاب لقمة سائغة"[1].

ادعى بعض المستشرقين بعد نفيهم للسنة النبوية ،أن القرآن مأخوذ عن النصرانية و اليهودية وأن الرسول صلى الله عليه و سلم قد اقتبس أفكاره من النصرانية و اليهودية، فقد أكد المستشرق تيودور نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن) أن القرآن في معظمه من أصل يهودي، وسبب ذلك وجود جماعات من اليهود في يثرب، كما أن اليهود كانوا لا يترددون على مكة أيضا"[2].

فلو كان القرآن فعلا مأخوذا من الكتب والديانات السابقة لأشاعه كفار قريش، الذين لم يترددوا في كل صغيرة ولا كبيرة إلا أخرجوها للعلن وأخبروا بها الناس ونشروها بينهم.

أما الباحثة لورا فيشيا فاغليري فتقول في كتابها (دفاع عن الإسلام) (كيف يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد و هو الأمي الذي لم يقل طوال حياته غير بيتين أو ثلاثة، لا ينم منهما عن أدنى موهبة شعرية.المعلوم أن عدد من المستشرقين قام بترجمة معاني القرآن الكريم منهم المستشرق الإنجليزي جورج سيل 1736_1697 ، الذي وضع لها مقدمة قال فيها إن محمدا صلى الله عليه وسلم "هو من ألفه و ساعده أحد من حكماء عصره من بني قومه أو من اليهود و النصارى.اهتم المستشرقون أيضا بكتب التفسير التي تخص الفرق الضالة مثل المعتزلة حيث ألف المستشرق الإيطالي جويدي كتاب " شرح المعتزلة للقرآن"[3].

في العصر الحالي ظهرت محاولة _ مغلفة بالعلمية و المنهجية _ إرجاع القرآن إلى عامل باطني ، داخلي ، فليس ثمة وحي خارج النبي صلى الله عليه و سلم المتلقى، وإنما انبعاث من داخل النبي أي

[1] المرجع السابق، محمود حمدي زقزوق، (الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري) ، ص: 112 بتصرف.
[2] لخضر بن بو زيد، دراسات استشراقية ، العدد الخامس عشر ، صيف 2018م ، ص 33 .
[3] المرجع نفسه ،ص 34.

حديث نفسه و توقد ذهنه،أو كما تصور "مونتجمري وات " حين أرجع نبوة محمد – دون نبوة غيره من الأنبياء – إلى التصور الخلاق أو التصور الخالق[1].

إن المنهج الذي يتبعه جل المستشرقين في دراساتهم للإسلام عامة،والوحي القرآني خاصة يقوم على مسلّمة – بالنسبة لهم – تلك هي : أن محمد صلى الله عليه و سلم ليس نبيا يوحى إليه، ثم يسيرون في هذا الاتجاه للتدليل على صحته، و لا شك أن هذا حكم أو نتيجة وضعوها و حددوها قبل وضع المقدمات، ومع هذا يحاولون إلباس مناهجهم _ المدعاة_ ثياب العلمية و المنهجية والموضوعية "[2].

تجاهل كثير من المستشرقين، تلك الحقائق عن الوحي و ذهبوا مشككين في مجيء الوحي الإلهي إلى نبينا محمد صلى الله عليه و سلم و تباينت آراؤهم : فمن قائل : إنه حالة نفسية، أو ما يطلقون عليه الوحي النفسي، ومن قائل: إنها حالة مرضية، كالصرع الهستيري، و من قائل :إن محمدا كان من أعلى الحالات الصحة النفسية و الجسمية "[3].

3– منهج المستشرقين تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ أحد جوانب ثلاثة هي:

3–1 أن فريقا من المستشرقين يعتقدون أن محمدا صلى الله عليه وسلم مخلص قولا وعملا،ولكنّ كان يخبر بما خيل إليه أنّه رآه أو سمعه وهو في حالة غيبوبة.

3–2 فريقا ثانيا كان يعتقد أنّ محمدا جمع مأثورات يهودية أو مسيحية وأساطير دينية قديمة وروايات شعبية شفوية، ثمّ نشرها في قومه على أنّها وحي من عند الله ، فهو مصلح العرب ومنظمهم الأكبر وليس نبيّهم الموحى إليه من عند الله .

---

[1] محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي و نقده، دار الدعوة ، الإسكندرية –مصر ، ط 1، 1996م ، ص 6.

[2] المرجع نفسه ، ص28.

[3] المرجع نفسه ، ص109.

3-3 فريقا ثالثا يقف من محمد صلى الله عليه وسلم موقف المرتاب أو الجاحد المنكر في جزم متهكم[1].ويقول سعدون الساموك "إنّ التراث العلمي الخاص بعلوم الحديث يخص الرأي الذي يتّهم علماء المسلمين يوضع الأحاديث خدمة للمآرب الخاصة، وإن موقف المستشرقين من تاريخ السنة مضطرب ومتناقض، ويثبت أنّ الاستشراق لا يدرس السنة دراسة موضوعية ،وأنّه يريد من وراء أبحاثه تشكيك المسلمين في المصدر الثاني لدينهم."[2]

إن أهم المستشرقين وأكثرهم كلاما في السُنّة هما"**جولد تسيهر**" و "**شاخت**" وهما يتفقان في النتيجة العامة لدراستهما ،ويمثلان النظرة الاستشراقية من السنة النبوية، يقول "**جولد تسيهر**" "أنّ الأحاديث مع هذا أخذت من العهد القديم والجديد وفلسفة اليونان وأقوال من حكم الفرس والهنود...إلخ"[3]. فهذا موريس جودفري Maurice Godfrey في كتابه :" القوانين الإسلامية " يمدح فيها السنة فيقول إنها هي المصدر الثاني للقانون الإسلامي، يبدو أنه إلى يومنا لا ينضب من المواد المسجلة لدراسة القانون... إنها وثائق في غاية الإمتاع و الفائدة "[4].

إن رسالة محمد صلى الله عليه و سلم ليس فيها شيئ ينافي الفطرة أو العقل أو المنطق،وقد وجدت بشارات في كتب متقدمة زمنا عليها.قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ ﴾ [الصف:06].

فكما ثبت أن رسالتي موسى و عيسى (عليهما السلام) وحي الله تعالى ثبت أيضا في_ التوراة و الإنجيل_ أن رسالة النبي الآتي، محمد صلى الله عليه و سلم وحي من الله تعالى، كما أنها تصديق و تثبيت للرسالات السابقة و مهيمنة عليها[5].

---

[1] سعدون الساموك ،الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاسلامية ،دار المناهج ،عمان، الأردن،ط1، 2010م ، ص 55.

[2] نفس المصدر، ص :56.

[3] نفس المصدر، ص :57.

[4] لخضر بن بو زيد، دراسات استشراقية ، العدد الخامس عشر ، صيف 2018م ،ص:36.

[5] محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي و نقده، دار الدعوة ، الإسكندرية –مصر ، ط 1، 1996م ، ص:109.

يفضح علي بن إبراهيم النملة المستشرقين ،ويبين أهدافهم في تشويه دور السنة النبوية فيقول: "لم تسلم سيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم من الهمز و اللمز والطعون و الشبهات والمزاعم و الأخطاء و التناقضات و الإنكار، من قبل رهط من المستشرقين الذين تعرضوا لحياة الرسول صلى الله عليه و سلم و هذه السمات هي مجمل المواقف من سيرة الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم وسنته المطهرة في متنها و سندها الذي تنفرد به الثقافة الإسلامية في التحقق من الرواة و الثقات من أهل الحديث الشريف"[1].

يبين عماد الدين خليل طبيعة المستشرقين في تناولهم للسيرة فالمستشرقين – بعامة– يريدون أن يدرسوا سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم وفق حالتين تجعلان من المستحيل تحقيق فهم صحيح لنسيج السيرة و نتائجها وأهدافها التي تحركت صوبها، والغاية الأساسية التي تمحورت حولها، فالمستشرق بين أن يكون علمانيا ماديا لا يؤمن بالغيب، و بين أن يكون يهوديا أو نصرانيا لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية"[2].

رغم ذلك هناك طائفة من المستشرقين من بحثوا في السنة النبوية،فأنصفوا السيرة النبوية في دراساتهم وأعجبوا بصورة النبي صلى الله عليه وسلم الخَلقية والخُلقية.فمنهم من آمن به ودافع عنه أمثال الباحث الفرنسي إتين دينيه، ومنهم من ناصره حتى وإن لم يؤمن برسالته.إلا أن الكثير من المستشرقين من طعنوا في السيرة وألقوا حولها الشبهات والمزاعم والإنكار لحجيتها فجاءت معظم بحوثهم بعيدة عن النزاهة والحياد والموضوعية ،ومن هؤلاء نجد جولد زيهر وشاخت.

شكك المستشرقون بصحة رسالة النبي صلى الله عليه و سلم و مصدرها الإلهي،فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيا موحى إليه من عند الله جل شأنه، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها النبي صلى الله عليه و سلم، فوصفوه بأوصاف مختلفة لا تليق به كالجنون والصرع،وما يمكن لنا أن نستخلصه عن السنة النبوية:

---

[1] علي بن إبراهيم النملة ، نقد الفكر الاستشراقي مكتبة الملك فهد،الرياض ،المملكة العربية السعودية ، ط1 ،2010، ص :157.

[2] المرجع نفسه .ص: 163 .

أ– أن هذه السنة ترعرعت في رحاب القرآن، و عبرت عن روحه شارحة موضحة، و تركت للناس أبواب الفهم و التجديد في أمور حياتهم المتطورة، التي تتصل بوسائل المعايش التي تتغير بتغير البيئات و الأزمان.

ب– قد وجدت هذه السنة من الرعاية و الحفظ و الجمع و التحقيق من الدخيل عليها، ما لا يزال التاريخ العلمي يذكره بالفخر و الإعجاب[1].

ج– ما يقال إنهم اهتموا بسند الحديث و رواته دون موضوعه أو متنه فهذا كلام غير صحيح،لأنهم اهتموا بالموضوع فردوا الحديث الشريف المخالف لما عرفوا من أصول وردوا الأحاديث لعلل قادحة تتصل أحيانا بالموضوع كما تتصل بالسند[2].

د– القرآن الكريم هو الأصل الأول للدين، و السنة هي الأصل الثاني، و منزلة السنة من القرآن أنها مبينة و شارحة له تفصل مجملة، و توضح مشكلة، و تقيد مطلقة ، و تخصص عامة، و تبسط ما فيه من إعجاز[3] . فقد كان النبي صلوات الله و سلامه عليه يبين تارة بالقول و تارة بالفعل و تارة بهما،و قد اتفق العلماء الذين يعتد بهم على حجية السنة، سواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الاستقلال ،قال الإمام الشوكاني:"إن ثبوت حجية السنة المطهرة و استقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام .[4]

4–صورة مشوهة عن النبي صلى الله عليه و سلم منها:

إن الصورة النمطية التي تحملها الذهنية الغربية عن النبي صلى الله عليه وسلم قد أورثت منذ القرون الوسطى من طرف رجال الدين تحمل تبعات كثيرة وأوصافا زائفة"ينطلق كثير من المستشرقين في دراستهم لعلم الحديث الشريف من تصور خاطئ عن الدين الإسلامي و رسوله

---

[1] عفاف صبره، المستشرقون و مشكلات الحضارة ، دار النهضة العربية، مصر، دط، 1985م، ص:73 بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص: 73.

3 محمد بن محمد أبو شهبة وعبد الغني عبد الخالق، (دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين)، مكتبة السنة،القاهرة، مصر، ط1، 1989م.، ص: 11.

[4] المرجع نفسه ، ص: 13.

محمد صلى الله عليه و سلم تكونت خلال القرون الوسطى على يد زمرة من متقدمي المستشرقين، وصفوه بكونه ساحرا و دجالا و أنه كان صلى الله عليه و سلم أكولا، و نؤوما، إلى غير ذلك من الأوصاف الشنيعة التي تنم عن جهل فاضح، أو حقد دفين[1].

أما في العصر الحديث تحولت تلك النظرة السيئة قليلا إلى الاعتدال والمنطق في وصف الرسول صلى الله عليه و سلم من خلال بعض المستشرقين ، و لكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى التصور الكامل عنه صلى الله عليه و سلم.

5-إنكار أن السنة مصدر من مصادر التشريع في الإسلام :

5-1. يرى بعض المستشرقين أن السنة لم تكن مصدرا للتشريع في صدر الإسلام، و إنما اضطر المسلمون إلى اعتمادها مصدرا تشريعيا في وقت متأخر، و ذلك بعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، و تجدد المشكلات و تنوعها، و شعور المسلمين بالحاجة إلى مصدر تشريعي إضافي[2].

يتّهم بعض المستشرقين العلماء ب:

- اهتمام علماء المحدثين بنقد السند دون اهتمام بالمتن.

- اتهام الرواة عامة باختلاق الأحاديث. فادّعى عامة المستشرقين أن رواة الحديث لم يجدوا حرجا في إضافة أي قول إلى النبي صلى الله عليه و سلم، إذا ما رأوا مصلحة في ذلك[3].

5-2. لو كانت السنة ضرورية لحفظها الله كما حفظ القرآن، ولأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها كما أمر بكتابة القرآن الكريم .

5-3. إن المستشرقين يزعمون أن السنة تتعارض مع القرآن الكريم ونقول : إن القرآن الكريم يقول بقراءة ما تيسر من القرآن في الصلاة و الحديث النبوي الشريف يقول: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" فالسنة النبوية جاءت مبينة لما جاء به القرآن الكريم فلا وجود لتعارض بينهما .

---

[1] فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى الاستشراق المعاصر و علم الحديث ، الرياض _السعودية،دط، 1433هـ ، ص 107.

[2] المرجع نفسه، ص111.

[3] المرجع نفسه، ص114.

4-5.أن حملة السنة من الصحابة و التابعين و من بعدهم كانوا جنودا للسلاطين والملوك في العصر الأموي و العصر العباسي،فكانوا يضعون لهم من الأحاديث ما يوافق رغباتهم ويثبت ملكهم.

5-5. اتهام العلماء في كيفية التعامل مع الحديث فعندهم اقتصر نقد المحدثين على نقد الإسناد و ليس على نقد المتون" [1]. يقول ناصر الدين (الذي كان اسمه الحقيقي قبل اعتناق الإسلام إتيان دينيه Religious attainment):" يعتذر أن يتجرد المستشرقون عن عواطفهم و بيئتهم نزاعاتهم المختلفة. و إنهم – لذلك – قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي (صلى الله عليه و سلم) و الصحابة مبلغا يخشى على صورتها الحقيقية من شدة التحريف فيها، و برغم ما يزعمون من إتباعهم بأساليب النقد البريئة و لقوانين البحث العلمي الجاد، فإننا نجد – من خلال كتاباتهم – محمدا يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان المؤلف ألمانيا، و بلهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطاليا. و هكذا تتغير صورة محمد بتغير جنسية الكاتب. وإذا بحثنا في هذه السيرة عن الصورة الصحيحة فإننا لا نكاد نجد لها من أثر. إن المستشرقين يقدمون لنا صورا خيالية هي أبعد ما تكون من الحقيقة ..."[2]

6- المنهج عند المستشرقين:

6-1.الخضوع للأهواء وعدم التجرد للبحث :

شرط المنهج الأول وأساسه التجرد من الأهواء وعدم الوقوع تحت سلطانها فلا يميل الهوى بالباحث لإثبات مايوافق هواه ونفي ما عداه[3].قد وضع بعض المستشرقين أحكاما مسبقة في جل بحوثهم المتعلقة بالاسلام وحضارته وكل مايتعلق به، مما أدى بالكثير منهم إلى عدم إدراكهم للحقيقة والبعد عن الحق .

---

[1] قحطان حمدي محمد، أدوار المستشرقين في تشويه معالم السنة النبوية ، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية، جامعة تكريت،المجلد الثالث،العدد العاشر ،تشرين الثاني،دت، ص:8 وما بعدها.

[2]عبد الصمد شيخ عنوان المقال الانحراف المنهجي عند المستشرقين في كتابة السيرة النبوية، الجامعة الإسلامية العالمية ،إسلام أباد، دع، دت، ص154/153.

[3] عبد العظيم ديب،المنهج عند المستشرقين، تحميل من مكتب المهتدين الإسلاميين لمقارنة الإيمان. http.kotob.has.itتاريخ المراجعة:2019/04/05،التوقيت:11:00، ص:351 .

6-2 عجز المستشرق عن تمثل الثقافة واللغة :

يجب على كل باحث ومفكر غربي أن يراعي خصوصيات الشرقي،وأن تكون له معرفة خاصة وعميقة باللغة العربية،ولا يمكن الفصل بين لغة الشرقي وثقافته ولا يمكن فصله عن جزء من مكوناته الحضارية والتاريخية والأدبية وغيرها.

يقول عبد العظيم ديب في كتابه المنهج عند المستشرقين:" إذا كان من شروط المنهج البراءة من الأهواء كما ذكرنا آنفا،فإن من شروطه أيضا إدراك اللغة و الإحاطة بأسرارها ،أسرار اللغة التي يبحث الباحث في آدابها و علومها وفنونها[1].

7- تقسيم المستشرقون:يمكن تقسيم المستشرقين إلى طبقتين

أ.طبقة المتعصبين للسيرة النبوية.

ب.طبقة المادحين لها.

يقسم علماؤنا المستشرقين إلى طبقتين :طبقة المادحين للحضارة الإسلامية،وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.وما يمكن أن نستخلصه في حقيقة الأمر أن هناك مستشرقين حقيقيين خدموا التراث الإنساني بإخلاص،ودعموا الحضارة العربية الإسلامية وأنقذوها من الضياع، وألفوا كتبا ومعاجم حول القرآن والسنة ،ومن بين هذه المعاجم معجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف رتبه ونظمه مجموعة من المستشرقين ،وقام بنشره "أرند جان فِنْسِنْك Arend Jan Vinsink" وترجمه إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي يقوم هذا المعجم على إيراد الألفاظ الواردة في الحديث النبوي،وترتيبها على حروف المعجم.ولكن للأسف هناك مستشرقون كذابون متعصبون ضالون ، اتبعوا أهواءهم في كتاباتهم عن الشرق عموما والعرب خصوصا، فجاءت كثير من مؤلفاتهم مليئة بالتعصب والانحياز والتزوير،خاصة فيما يتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه و سلم .

---

[1] عبد العظيم ديب،المنهج عند المستشرقين، تحميل من مكتب المهتدين الإسلاميين لمقارنة الإيمان. http.kotob.has.it ،تاريخ المراجعة: 2019/04/05، التوقيت:18:00،ص: 352.

المبحث الثاني: المستشرقون الغربيون الحاقدون على نبي الإسلام محمد(صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم).

قبل أن نستعرض بعض ملامح هؤلاء المستشرقين في دراستنا لبعض أعمالهم، ارتأيت أن أُذَكِر بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران- 110-112].

لقد شكل بعض المستشرقين الأوربيين الأوائل صورة نمطية سيئة عن الإسلام ونبيه ،فوصفوا النبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) بأنه ساحر وكذاب وغيرها من الأوصاف المتعمدة لتشويه الحقائق،والتي تتعارض كليا مع قيم الإسلام السمحة، وأخلاق النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**)،فتلك الصورة البشعة عن الإسلام ورموزه انعكست في هذا العصر،والمتمثلة في الرسومات الكاريكاتورية المسيئة عن النبي (صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم) ،والتي انتشرت في الدنمارك في بداية عام 2006م.وتلتها فيما بعد في رسومات شارلي إيبدو بفرنسا لخير دليل على التعصب والحقد والتصور الخاطئ في أذهان الغرب عن الإسلام ونبيه.

قام لخضر الشايب في كتابه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر بتقسيم المستشرقين إلى ثلاثة أقسام:مستشرقون حاقدون ومتعاطفون وذاتيون، إلا أن القسم الأخير- ذاتيون- محل دراسة وبحث .

ولعل أبرز من يتصدر طبقة المستشرقين الحاقدين هو:

1.إينياس جولد زيهر (Inez Goldzher) [1]:

يعتبر جولد زيهر من المستشرقين الأوائل الذين قاموا بمحاولة واسعة للتشكيك في الحديث النبوي، وتشويه سمعة النبي صلى الله عليه وسلم.فهذا المستشرق اليهودي نال حظوة كبيرة في الفكر الغربي إذ تعتبر دراساته عن العقيدة والشريعة ومصادرهما قمة من القمم التي بلغها البحث الاستشراقي الغربي عن النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) والإسلام.والملاحظ أن الشيء الوحيد الذي لم يلتفت إليه أحد هؤلاء المستشرقين هو أن زميلهم هذا كان يؤمن بمرجعية العهد القديم والفكر اليهودي الكافر بنبوة عيسى ومحمد (**عليهما الصلاة والسلام**)، وقد قادت هذه المرجعية أعماله عن الإسلام بشكل كلي[2]، وقف هذا المستشرق اليهودي من الإسلام موقفا يذكرنا بموقف أحبار اليهود عبر التاريخ، وخصوصا في الفترة التي كان فيها النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) يؤدي فيها رسالته، حين كانوا يصدون عن سبيل الله ويقولون للمشركين كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١﴾ [النساء- 51] أي يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم،وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم.

كثير ما يرجع (جولد زيهر) الأحاديث النبوية إلى أصول يهودية ونصرانية فيقول:"و لا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة إلى الأجيال المتأخرة وحدها بل هناك أحاديث عليها طابع القدم.و هذه إما قالها الرسول، أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى،...فهناك جمل أخذت من العهد القديم والعهد الجديد وتعاليم من الفلسفة اليونانية، و أقوال من حكم الفرس و الهنود"[3]

---

[1] إينياس جولدزيهر: يهودي مجري، أستاذ في كلية العلوم ببودابست، من مؤلفاته: (العقيدة والشريعة في الإسلام). ينظر:نجيب العقيقي، المستشرقون،دار المعارف، مصر، ط3، 1964، ج: 906/3 .

[2] ينظر: لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، مكتبة العبيكان، د.م ، د.ط ، د.ت ،ص: 217.

[3] ينظر: محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين،ص: 63.

إن المرجع الديني بالنسبة لجولد زيهر لعب دورا بالغا في كل دراساته عن النبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وعن الإسلام، ولذلك راح يحاول التشكيك في أصالة المصادر الإسلامية وقيمتها، كما راح يعمل على إبطال مرجعية الإسلام الدينية التي رفضها رفضا مبدئيا، ولهذا أرجع كل العقائد والشرائع التي جاء بها الإسلام(القرآن الكريم، السنة النبوية) وغيرهما إلى اليهودية والنصرانية.

فيعتقد جولدزيهر أن الإسلام ما هو إلا مزيج من اليهودية والنصرانية مبررا بوجود تشابه بين ما جاء به الإسلام وما هو في التوراة والإنجيل مثل: طلب النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) من الصحابة (**رضوان الله عليهم**) وسائر المؤمنين أن يكون رحماء مع كل مخلوقات الله تعالى، صادقين، أمناء مؤخوذة عن غيره من الديانات التي يقر هو نفسه بأن أنبياءها هم معلموه،ولهذا فإن القيمة الوحيدة للرسالة الإسلامية عنده، هي إنجاز النبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**)، حين نجح في التأليف والجمع بين عناصر متعددة محتواة في أديان موجودة، واستخدمها في تخليصه للدين والمجتمع وحياة القبيلة وصورة العالم من كل التصورات الرهيبة للوثنين"[1].

2. هنري لامانس (Henry Lamans)[2]:

هنري لامانس،مستشرق ورجل دين كاثوليكي يسوعي عرف لامانس بتحامله على الإسلام وإنكار النبوة ،ولم يكتف المستشرق الفرنسي هنري لامانس بإبطال نبوة محمد (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وحكمه على الإسلام بكونه "مجرد إصلاح للسامية في شكلها الأكثر حدة، والأكثر التصاقا بالأرض"[3] ويشاركه في هذا الافتراء عدد من الدجالين والمضللين،وزاد حقده أكثر إلى مخالفتهم في أحكامهم الإيجابية على شخصية النبوية، حيث لم ينج هذا الجانب من المهزلة التي أقامها في مؤلفاته، فطعن في زوجاته وبناته وأصهاره وصحابته **رضوان الله عليهم أجمعين**.

---

[1] ينظر: لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص: 219.

[2] هنري لامانس: بلجيكي الأصل فرنسي الجنسية، قس نصراني، من مؤلفاته: (مهد الإسلام). ينظر: المستشرقون ، دار المعارف مصر، ط3، 1964،ج : 293/3.

[3] المرجع السابق، لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص: 262.

لم يؤلف هذا المستشرق المتعصب كتابه (فاطمة وبنات محمد)، إلا من أجل تشويه سمعة النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**)،ومحاولة منه لنشر أكاذيبه وخرفاته لإحداث انقلاب كلي في كل ما يعرفه العلماء –وخصوصا المستشرقين الذين كانوا هدفه الأساسي- عن حياة خير الخلق الله محمد(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**).

ذهب لامانس كغيره من المستشرقين إلى أن الإسلام لم يكن سوى تأليف من مصادر يهودية ونصرانية؛ ولذلك عمل جاهدا على انتشار اليهود وخصوصا النصارى في شبه الجزيرة العربية قبل الاستعمار. ولقد كان هو الغرض الوحيد من تأليف كتابه (عرب الجزيرة العربية قبل الهجرة) التي نتجت عنه صورة للجزيرة العربية وهي تموج بنصارى القرشيين والعبيد وتجار الحبشة والشام، بل أضاف إليهم عددا معتبرا من الحدادين والأطباء والجراحين وجراحي الأسنان والمعلمين[1].

قد دفعت به هذه الفكرة التي لم يقل بها ولم يؤمن بها أحد سواه إلى تحميل المسؤولية كاملة للنبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) في أنه كان السبب الرئيسي في الصراع القائم مع اليهود، وفسر عداوته لهم بالسبب القومي[2]. لو فكر قليلا هذا المتوهم– وأنى له أن يفكر وهدف دراسته واضح – لعلم أنه قد وقع في تناقض، يتمثل في عجز المعيار العرقي عن تفسير عدم حرب النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) للنصارى الذي كانت علاقته معهم –كما يؤكد- في كتبه جيدة.

ولو سلمنا بهذا القول وقلنا: لو صح هذا السبب لم عمد النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) إلى جهادهم، ولما جاهد اليهود يوما واحدا، ألم يكن معظم النصارى من الروم أو الحبشة أو الفرس، أي أنهم من غير العرب قطعا؟ وألم يكن اليهود أبناء عمومة للعرب؟.

لقد اتّفق معظم المستشرقين الجهلة بعلوم الدين،ومن بينهم هنري لامانس على أن الرسالة المحمدية مستوحاة من اليهودية والنصرانية،وهدفهم في ذلك واضح وهو أن الإسلام لم يأت بالشيء الجديد،والأكثر من ذلك جعلوا هذا الدين من تأليف محمد **صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم** فلا ينبغي اتباعه.

---

[1] المرجع السابق، لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص: 260.

[2] المرجع نفسه، ص: 261.

الحقيقة – كما ذكرنا سابقا– أن هدف لامانس كان يستجيب لحقده الدفين، وقد تمثل في عمله على التشنيع الشديد على الإسلام وعقائده وتاريخه ونبيه وأخلاقه،وذلك من أجل القضاء على بوادر تحسّن رأي الغربيين في الإسلام والمسلمين، وحث الغرب الاستعماري النصراني على حربهم،ومن الأدلة الواضحة على الهدف الأول اعترافه "بأن النظريات التي طرحت في كتابه (فاطمة) **[رضي الله عنها]** الصادر سنة 1912م، كانت تهدف إلى إثارة مقصودة لتحريك طمأنينة الكثير من المؤرخين، وإجبارهم على نقد أكثر دقة. لقد كان يجب تحطيم ثقتهم شبه التامة في كتب الحديث، وتنبيهم إلى التناقض —حسب رأيه– الموجود بينها.ما قاله هذا الراهب كان عين الهدف الذي قصد إلى تحقيقه، إذ أراد التوصل إلى تحطيم بوادر التحسن في الأبحاث الاستشراقية عن الاسلام منذ القرن التاسع عشر، وكان يستخدم أساليب الإرهاب الفكري لتحقيق هذا الهدف، ويتعمد التهجم على المستشرقين الذين يخالفونه الرأي كلما سنحت له الفرصة من أجل أن يجذبهم إلى سلوك مسلكه، ومن ذلك أنه لاحظ ركونهم إلى تفسير المسلمين للناسخ والمنسوخ فكتب: "هل كان من المفروض أن تنسق —يقصد الإختلافات الموجودة في القرآن في زعمه–؟ إن المحاولة قد فشلت أمام الاعتقاد، الذي يشارك فيه المستشرقون، بصحة هذه النتف المتضاربة"[1].

وعليه،فطالما أن هنري لامانس عبر عن هدفه في مؤلفاته بكل وضوح ،وهو تشويه صورة النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) والمجتمع الإسلامي في نظر العالم، إضافة إلى بغضه الدفين للإسلام والمسلمين، فلا داعي للتعليق على كل هذه الأقاويل والتآويل المفترية على نبينا الكريم محمد(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) والإسلام والمسلمين، سوى أن نورد بقوله: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ٥٦﴾ [الكهف-56].

[1] المرجع السابق، لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص: 263.

3. كارل بروكلمان(Carl Bruckleman)[1]:

يبدو أن ما قدمه المستشرق الألماني كارل بروكلمان من مجهودات كبيرة في الدراسات العربية والإسلامية،ولاسيما كتابه (تاريخ الأدب العربي)و (كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية). لم تكن كافية لتشفع له فيما قدمه من مجهودات التي خدمت التراث الإنساني،وكأنه لم يقدم أي إضافة تذكر في هذا المجال سوى أنه زاد على إخوته المستشرقين في اتهام النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) بتأليف القرآن الكريم ،وتأثره باليهود والنصارى وزاد الآرامية والفارسية والبابلية.وبروكلمان كما تدل سيرة حياته دارس للغات القديمة، مثل: الحبشية والآرامية والسيريانية، وهكذا فإنه يستخدم النهج الفيلولوجي لتأكيد تأثر القرآن بالديانات السابقة.

لا يكتفي كارل بروكلمان بالقول إن النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) اقتبس أفكاره من اليهودية والنصرانية، وإنما يؤكد بأن عالم النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) الفكري ذاته "ليس من إبداعه الخاص إلا إلى حد صغير، فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية، فكيفه (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) تكييفاً بارعا وفقا لحاجات شعبه الدينية"[2].

والحقيقة أن كره بروكلمان للإسلام لا يبدو فقط في أفكاره الكاذبة التي يشاركها فيها غيره من المستشرقين، بل في أسلوب الوصف البارد –كما وصفه الدكتور لخضر شايب– الذي كان يقدمه لكل مبحث إسلامي درسه، فبدا بذلك غير مهتم بموضوعات بحثه أصلا، مما يجعلنا نندهش من تعرضه للإسلام بدراسة ما دام لا يريد أن يتعلم أو يعلم عنه شيئا.

يعتقد بروكلمان أن النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) كان يحذف ويزيد في القرآن الكريم كما يشاء. وبديهي أن هذا القول هو طعن وافتراء على كلام الله؛لأنه إضافة إلى مخالفته لكل الأدلة القاطعة تثبت أن القرآن كلام الله حقا قد تحدى الله فيها البشر أن يأتوا بسورة من مثله إن استطاعوا.

---

[1] كارل بروكلمان: (1869–1956م) ألماني، أستاذ في عدة جامعات، من مؤلفاته: (تاريخ الأدب العربي)، ينظر: عبد الرحمان بدوي موسوعة المستشرقين ،دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط3 ،د.ت، ص: 98.

[2] كارل بروكلمان، (تاريخ الشعوب الإسلامية)، تر: نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار الملايين، (بيروت– لبنان) ، ط5، 1973م ، ص: 69 .

من بين المناهج التي اعتمدها المستشرقون في دراستهم للقرآن الكريم هو المنهج الإسقاطي ، فيرون أن الأسباب والظروف التي أدت إلى تحريف الكتب السابقة هي نفسها التي أدت بزعمهم إلى تحريف القرآن الكريم.

لكن لا خلاف بين المسلمين في أن القرآن هو كلام الله عز وجل المنزل بالوحي على الرسول (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**)، فالله تعالى هو المتكلم به والمتكلف بحفظه والمنشئ له ولغيره،كما يدل عليه ضمير المتكلم في قوله تعالىٰ: ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلاً ﴿٢٨﴾﴾ [الإنسان -28]. وميزته على سائر الكتب السماوية إنه إلهي في لفظه ومعناه. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس-37]

قال عز وجل: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف-203] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾﴾ [يونس-15]

قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود-35] وقال تعالىٰ:﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام-125].

إن القرآن الكريم حفظ في السماء ودوّن في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [البروج:22/21].ونزل بعدها منجما في ثلاث وعشرين سنة على النبي صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم،وجمع وكتب في عهد الخلفاء الراشدين ومازال يتلى إلى يومنا هذا دون تحريف فيه.

4. غوستاف فون غرونباوم (Gustav von Grunbaum)[1]:

لم يبتعد المستشرق الأمريكي غوستاف فون غرونباوم عن سفاهة التي يرتكبها المستشرقون وقذفهم للنبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وتشويه صورة الإسلام، خاصة عندما ذهبوا إلى التشكيك في ثبات القرآن، وجاء وصف غرونباوم في غاية الغرابة والسفاهة حيث قال:"والكتاب الذي بين أيدينا ليس هو الكتاب الذي بلغه محمد. وفي الواقع إنه لم يبلغ أبدا أي كتاب، واكتفى بأن نقل أشياء متفرقة هي عبارة عن رؤى قصيرة وأوامر وحكم وخرافات وخطب عن مذهبه"[2].

يأخذ إدوارد سعيد على غرونباوم تجاه دراساته إلى اعتبار الإسلام كائنا "يتطور داخل ذاته وتأويله بعض السمات التي تلاحظ في بنية المجتمع المسلم على أنه نقائص، مثل افتقاده إلى عدد ضئيل من التجارب الدينية مع وجود نظرية دينية مفصلة، وامتلاكه عددا ضئيلا من الوثائق السياسية رغم وجود نظرية سياسية مفصح عنها بدقة، وتفصيله في شروط البنية الاجتماعية وافتقاده إلا لعدد قليل من الأفعال "[3]. نستنتج أن هذا الصنف من المستشرقين يعرف الإسلام حق المعرفة ،لكن التعصب والحقد أظل قلبه وأعمى بصره، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:146].

---

[1] غوستاف فون غرونباوم (1909م-1972م) جوستاف فون جرونباون مستشرق يهودي نمساوي, ولد في فيينا و في جامعتها، ثم في جامعة برلين. و لما قامت ألمانيا سنة 1938م بضم النمسا إليها، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية, و هو من أسرة يهودية وإن كان قد اعتنق الكاثوليكية. وفاته سنة 1972م الأدب العربي في القرن العاشر الميلادي" الأعياد المحمدية " دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية" و غيرها."ينظر محمد بن صالح أبي الفتح شمس الدين الدجاني، جواهر القلائد. تحقيق حسام الدين كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة القدس- فلسطين- ط1، 2004م، ص135.

[2] المرجع السابق، لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص: 268.

[3] المرجع السابق، إدوارد سعيد، (الاستشراق)، ص: 297 .

على الرغم من أن إدوارد سعيد لم يعرض لموقف "فون غرونباوم" من الإسلام بوصفه حقيقة وعقيدة وشريعة، إلا أنه وصفه بما يلي: "وهذا كله لا يحجب كره فون غرونباوم الذي يكاد يكون زعافا للإسلام، ولا يجد فون غرونباوم من صعوبة في الافتراض بداهة أن الإسلام ظاهرة أحادية وحدانية، بخلاف أي ديانة أو حضارة أخرى، ثم يمضي بعد ذلك ليُظهر الإسلام ضداً إنسانيا، عاجزا عن التطور ومعرفة الذات والموضوعية، إضافة إلى كونه غير خلاق، ولا علمي، ولا سلطوي"[1].

اعتمادا على ما قرأناه لهذا المستشرق من أقوال، فإننا نستطيع أن نوافق على هذا الحكم، أقصد الحكم على فون غرونباوم بأنه حاقد على الإسلام،وحاول مرارا وتكرارا تشويه صورة الإسلام في المحافل الدولية،فالإسلام لا يحتاج إلى تطور ولا إلى معرفة الذات والموضوعية.إضافة إلى أن فون غرونباوم في كتابه (الإسلام القروسطي) لا يخطئ أبدا في أن يقدم أو يعلق على أي مبحث إسلامي عقده برأي النصارى[2] .

لم يتوقف فون غرونباوم من الافتراء على الإسلام فحسب، بل تعداه إلى شخصية النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) فنعته بنعوت توقف معظم المستشرقين عن استعمالها منذ عصر التنوير، وذلك ليُعيد للأذهان الصورة النمطية القديمة على الإسلام،ويحي تقاليد الحقد النصراني على المسلمين،واتهم الرسول(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) بأنه مؤلف للقرآن الكريم، وأن دينه أقيم على القتل وسفك الدماء وإجبار الناس على دخول الإسلام بقوة السيف وغيرها من الأوصاف الباطلة ، فقال في معرض حديثه المزعوم عن التغيير الذي أحدثه النبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) في المدينة: "إن مركز محمد باعتباره رئيس دولة، ودوره كمشرع، وحاكم غيّر بالطبع لدرجة كبيرة موضوعات الوحي، قوته الشعرية كانت تتناقص مع تقدمه في السن،...وتحول الرسول...بعض الشيء إلى مشرع لمجموعة بشرية كادت

---

[1] المرجع السابق، إدوارد سعيد، (الاستشراق)، ص: 296.

[2] المرجع السابق، ينظر: لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر) ، ص: 268.

أن تبلغ أهمية عالمية...وتغيرت طرقه بتغير مسؤولياته...ومن أجل حماية الإسلام كان القتل والإجبار والخداع و...طرقا مشروعة"[1]. من الواضح تماما أن كل هذه التهم والتشنيعات البذيئة على النبي المختار محمد(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**)، ليست إلا خلاصة لعصارة من الحقد والبغض كانت في قلب فون غرونباوم، فلا يوجد أي دليل من النقل أو العقل يتثبت صحة ماقاله هذا المستشرق عن الإسلام ونبيه،بل يوجد ما يؤكد عكس ما قاله تماما، فالإسلام دين انتشر بالدعوة وتبليغ الرسالة عن طريق الحوار والسلام .

يحاول هؤلاء المستشرقون المنتمون لهذه الطبقة ،أن يكشروا عن أنيابهم من خلال مؤلفاتهم لتشويه صورة نبي الإسلام محمد(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**)، وما هؤلاء الذين تم ذكرهم في هذا المبحث إلا قطرة من مستنقع عكر مليء بالأوساخ والأوحال، رغم أني تجاهلت الكثير من الأقوال والأوصاف التي لا تخطر على عاقل، والتي لو ذكرت يندى لها الجبين، واقشعرت الأبدان، وجمدت منها العقول، ذُكرت تشنيعا لرسولنا (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) ولأزواجه ولأصحابه (**رضوان الله عليهم أجمعين**)، ولكني ارتأيت ألا أذكرها وذلك:

أولاً: تنزيها وتعظيما لنبينا محمد (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وديننا الإسلام الذي لا دين بعده.

ثانياً: لفضاعة وسفالة ما قيل عنه (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**).وعليه، فإننا نلاحظ أن معظم المستشرقين حاولوا رد شريعة الإسلام وهدي نبينا(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) إلى البيئة الاجتماعية وإلى الدوافع السياسية والاقتصادية ،وهذا هو منطق منكري الأديان ومنطق الذين يريدون النيل من الإسلام خاصة بنزع قداسة الوحي عنه، وجعل القرآن الكريم بشري المولد. حتى أنه أصابني الضجر والملل وأنا أتنقل بين أقوال المستشرقين حول ما قيل عن الإسلام، وذلك لما كان من تشابه في هذه الأقوال، فمعظم مستشرقي هذه الطبقة أجمعوا على أن النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) كان حالماً متخيلا لم يوح إليه شيء، بل تصَنَع هذا القرآن، كما أنه كان يطمح إلى تكوين دولة كبيرة

[1] المرجع السابق، لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص: 269.

لأغراض اقتصادية وسياسية تهدف إلى قتل وإبادة كل من هو عدو لها. – فسبحان الله عما يقولون وعما يشركون. قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة-128-129]

لعلنا نخلص مما سبق من هذا الفصل بقولنا: إن خلط السم بالدسم بالثناء على الحضارة العربية ولغتها وآدابها وأنها تستحق الثناء عليها والإشادة بها، لا يغطي المكر والطعن في القرآن الكريم أو الرسول (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) أو الدين الإسلامي كافة، لأنه في حالة الوعي الكامل سيرفض القارئ الشتم، ولكن إذا قيل له: إنك إنسان نبيل ونابغة ومهذب ولا ينقصك إلا كذا – وهذا (الكذا) يفقد قيمته– هذا هو المنهج المتبع في معظم الدراسات الاستشراقية في القرن العشرين، فهي لا تتجه إلى الأساليب المباشرة، وإنما تتجه إلى تغليف الكلام.ولو تنبهنا قليلا ورجعنا إلى المائة والخمسين سنة الماضية، لوجدنا أنه يصدر في أوروبا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، هذه الإحصائية التي ننتهي إليها عندما نعرف أن ستين ألف كتاب قد صدرت بين 1800- 1950م – أي عبر قرن ونصف– فلماذا كل هذا الاهتمام بالإسلام، وبالشرق، وبالعرب، وبالقضايا التي تتصل بمناطق بعيدة عنهم؟"[1].

قد يُجيبنا غير عاقل أنهم يحبون الإسلام والمسلمين ولا يكرهون أحدا، إنهم أناس يحبون السلم والسلام للعالم وأنهم متحضرون ومثقفون، ويتميزون علينا بالتربية والثقافة والعلوم وتطبيق القانون، ووصلت ببعض السفهاء أنهم يقولون عنهم اليوم: "لا تنقصهم إلا كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله". فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**):

---

[1] قاسم جواد الجيزاني، (موقف المستشرقين من السيرة النبوية – تطابق المظهر واختلاف المضمون–)، مجلة العميد، الجامعة المستنصرية ، العدد: 2، 1434هـ/2013م، ص: 280.

قال الله تعالى: "قال موسى: يارب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى لا إله إلا الله. قال كل عبادك يقولون ذلك. قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري وأرضين السبع وضعت في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله"[1]. لو عدنا إلى المستشرقين لما خفي على أحد أنهم هم الذين صوروا الشرق أمام الغرب، هم الذين قالوا: من هم المسلمون وما هو دينهم وما هي ثقافتهم؟ وما هي أعرافهم وتقاليدهم؟ وأي شيء دفعهم للإسلام، وإلى أي مدى هم متمسكون به؟ وإلى أي مدى هم ابتعدوا عنه؟ وفي نفس الوقت توضع من قبلهم الخطط العسكرية والمناهج السياسية والاقتصادية وغيرها ،لجعل الشرق دائما تابع للغرب في كل شيئ .

عندئذ صار من مهام المستشرقين أن يُسخروا عددا كبيرا من الباحثين ليكتبوا عن الإسلام والمسلمين باللغات الأوروبية، إذا الخطاب لم يكن موجها ابتداءً لناطقي العربية أو اللغات الشرقية وإلا لكانت الكتابة باللغة العربية، بل كان موجها لأوروبا، إن هذه هي صورة الإسلام ورسولهم (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) فلا تتحولوا إليه[2]. فهم يقولون لبعضهم بعضا إذا كانت هذه هي صورة المسلمين فلا تلومونا إذا احتللنا بلدانهم واقتحمنا ديارهم، ولا تلومونا إذا استنزفنا خيراتهم، ولا تلومونا إذا استبحنا دمائهم واستحيينا نساءهم،ولا تلومونا إذا تعصبنا ضدهم، لأن هؤلاء قوم يتسمون بخصائص عقلية وجنسية وثقافية لا تمكنهم من النهوض بأنفسهم وتطوير حضارتهم.ومن بين أهدافهم للقضاء على مقومات المسلمين :

أولا : محاولة التشكيك في الإسلام ،ويرتبط مفهوم الاستشراق للإسلام بمفاهيم العلمانية والمادية الإلحادية،وأن الإسلام ماهو إلا عصارة للحضارات السابقة، وهو حسب رأيهم صورة طبق الأصل نتج عن اليهودية والنصرانية.

ثانيا : محاولة التشكيك في النبوة والرسالة وإخضاعها للمناهج العلمية الحديثة النفسية والاجتماعية التي تليق بأبحاثهم، والتي لا تتناسب في معظمها مع حياة النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**).

---

[1] أبو الفضل عمر بن مسعود بن عمرالحدوشي، كيف تفهم عقيدتك بدون معلم ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط2،دت،ص:388.

[2] المرجع السابق، قاسم جواد الجيزاني، (موقف المستشرقين من السيرة النبوية – تطابق المظهر واختلاف المضمون-)، مجلة العميد، الجامعة المستنصرية ، العدد: 2، 1434هـ/2013م، ص: 281/280.

5. مكسيم رودنسون(Maxime Rodinsone) [1]:

اهتمّ رودنسون بالتاريخ الإسلامي وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم،وأراد كغيره من المفكرين الغربيين تزييف الحقائق عن حقيقة الوحي، فجعل القرآن الكريم هو تخيل ووحي نفسي، وكل مافيه يوكل للديانات التي سبقته. يقول "رودنسون Rodinsone " : "...من المحتمل أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد سمع ورأى كائنات غير عادية وصفها له اليهود والنصارى، وربما يكون قد انقدح في ذهنه كلام كانت عناصره مكونة من تجاربه الحقيقية، وطريقة تفكيره وأحلامه، وذكريات مناقشاته، قد تبدت له مفككة ومركبة، متحولة ببرهان ويقين وشعور حقيقي تلبسه كشهادة لنشاط خارجي موضوعي لا يفهم كنهه الآخرون ".[2]

يرى "رودنسون" أنه من خلال دراسته رسائل محمد صلى الله عليه وسلم الأولى، والأزمات التي انتابته إبان نزول الوحي عليه، ومن خلال الشك ثم اليأس والقنوط الذي ينتابه في بعض اللحظات للسوداء التي تمر به، فإن الأمر لا يركن ولا يطمئن إلى تلك الآراء التي تحلل الرسالة المحمدية باعتبارها خطة مدبرة محسوبة حسابا دقيقا ومعدة سلفا إعدادا جيدا لتحقيق طموحات فردية أو تطلعات إنسانية.يصف هذا المستشرق النّبيّ صلى الله عليه وسلم بأنه كان صوفيا ولكن أي تصوف يتكلم عنه رودنسون ،ويدعي أنّ طبيعة محمد صلى الله عليه وسلم وخصاله تجسد منذ البداية الشروط المطلوبة ليصبح صوفيا، فظروف طفولته ومراهقته وشبابه وقعت إلى هذا الاتجاه، قد بدأ تطبيق مبادئ الزهد الذي يعتبر لدى كل المتصوفين المرحلة الأولى للوصول إلى الحلول في الذات الإلهية".[3]

---

[1] مكسيم رودينسون كاتب فرنسي معني بعلم الاجتماع وتاريخ المجتمعات والصراعات السياسية وهو يهودي الأصل ولد في باريس عام 1915م درس في جامعة السربون وتخصص في الدراسات الشرقية من أهم كتبه الإسلام والرأسمالية و كتاب جاذبية الإسلام .ينظر:محمد أبو ليلة محمد بين الحقيقة والافتراء دار النشر للجامعات ،القاهرة مصر،د.ط، 1999م ،ص30.

[2] ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي ،دار المدار الإسلامي عمان الأردن، ط1، 2002،ص:ج2/ 109 .

[3] المصدر نفسه ص:ج2/ 109،110.

إن فكرة الحلولية –وهي أن تحل الذات الإلهية بالشخص المتصوف– هي عقيدة منحرفة وباطلة ودخيلة على الإسلام ولا علاقة للنبي صلى الله عليه وسلم بها لامن قريب أو بعيد، إنها فكرة ومعتقد فاسد،لا يمكن للعقل أن يتقبلها ولا المنطق.يصف "رودنسون" المراحل التي يمر بها المتصوف إلى حين الاتحاد بالله،ويستنتج أن محمد صلى الله عليه وسلم قد مر بمعظم هذه المراحل، وخاصة مرحلة الجذب المعروفة لدى المتصوفة، إنه كان يشعر دوما بأنه كان متميزا ومبتعدا عن الله الذي يوحي إليه ويعلمه ويرشده، ويشجعه ويملي عليه الأوامر".[1] يتخبط هذا المستشرق في وصفه للقرآن الكريم فتارة يرجعه إلى أنه إيحاء نفسي محمدي، وتارة يرجعه إلى أصوله اليهودية، وتارة إلى جعله يشبه سجع الكهان أو هو أقرب من ذلك.يقول "رودسون" إن ما سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم وتلقاه من وحي كان يشبه سجع الكهان من حيث الشكل ، فالجمل متقطعة لاهثة، والنغم متتابع مسجوع... فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت بجديد من حيث الشكل، ولكن المحتوى كان شيئا آخر."[2]

6/لويس ماسينيون (Louis Massignon)[3]:

لا يشك أحد من الدارسين لحقل الاستشراق في أن المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون هو أحد أشهر الباحثين الغربيين الدارسين لحياة النبي(صلىٰ الله عليه وسلم) وللإسلام.ويرجع ذلك إلى كثرة أبحاثه وحضوره الدائم في جميع النشاطات والمؤتمرات الاستشراقية منذ مؤتمر 1905م[4]. ورغم هذا فإن شهرته لا تعود إلى هذين العنصرين الذين يشاركه فيهما جملة من زملائه، بل إلى التوجهات العامة وامتزاج إبداعه بحياته الخاصة، إضافة إلى إحساسه الخاص بقيمة الإسلام بالنسبة لذويه وللغرباء عنه، وتطوره الكبير لعلاقاته الشكلية مع المسلمين سياسيا وإنسانيا حتى أصبح دليلا حيا على حجم

---

[1] المرجع السابق، ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي ،ص:ج2/ 110بتصرف .

[2] نفس المصدر ص:ج2/ 111.

[3] لويس ماسينيون(1883–1962) مستشرق فرنسي التحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية زار كثير من البلدان العربية العراق الجزائر القدس...حصل على دكتوراه من السربون بعنوان آلام الحلاج 1922 م ينظر: ماسنيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ،ط1، 1984م، ص 9/8.

[4] المرجع السابق، لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص: 223.

التطور الحاصل في حقل الاستشراق وبالنسبة لهذا العنصر الأخير فإن ماسينيون قد ابتدأ حياته استعماريا، وظل كذلك مدة طويلة نسبيا، فقد عمل ضابطا مساعدا في مفوضية فرنسا العليا لفلسطين وسوريا بين سنتين (1917-1919م)، ونستطيع أن نضع رحلاته الأولى إلى الجزائر والمغرب وتركيا وسوريا ولبنان على حساب هذا التوجه، خصوصا أننا نعلم أنه كلف من حكومة بلاده بمهمة استقصاء عن الدستور السوري عام 1919م، كما قام ببحث عن الطوائف في المغرب بين سنتي (1923-1924م)[1].

لكن هل معنى ما ذكرناه أن ماسينيون ظل محافظا على رؤيته المبدئية لعلاقات الغرب، وخصوصا الاستعمار الفرنسي مع المسلمين ،وخاصة كونه عمل مستشارا في الخارجية الفرنسية بالجزائر وقام بزيارة العديد من البلدان العربية .

يمتزج هذا العنصر امتزاجا شديدا عند ماسينيون بقناعته الدينية المبدئية، حيث كان كاثوليكيا بالميلاد وظل كذلك طوال حياته، ومن هذا المنطلق فقد ظل ينمي طوال سنوات حقدا كبيرا على العالم الإسلامي ورغب شديدة في التنصير بين أهله. وعلاقته الخاصة براهب شارل دوفوكو (Charles Dufoucoux) تجعل الأمر غير خاف على أحد خصوصا وقد كانت متينة ومستمرة، إضافة إلى وضوح منه حيث قدم ماسينيون لهذا الراهب النصراني الاستعماري دراسة عن المغرب عام 1906م، ودعاه إلى العمل على غزوه"[2]. يقول: "حتى أنا، وقد كنت في ذلك العهد استعماريا فإنني كاتبته – أي دوفوكو- حول آمالي في غزو قريب للمغرب بسلاح، وقد رد عليَّ مؤيدا"[3].

يقول الدكتور لخضر شايب: "إننا نعتقد بناء على دراسة فكر الرجل أن مرجعياته ظلت ثابتة طيلة هذه المدة، ولكنه سعى عبر السنوات إلى تغيير بعض مواقفه الدينية والتاريخية تجاه المسلمين. ومن هذا إننا نراه يؤسس سنة 1947م الجمعية الفرنسية الإسلامية مما يدل على سبقه للكثيرين في

---

[1] المرجع السابق، لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص: 223.

[2] المرجع نفسه، ص: 224.

[3] سالم حميش، (الاستشراق في أفق انسداده) ، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، (الرباط- المغرب)، ط1، 1991م، ص: 29 .

الإحساس بضرورة التأسيس لنوع جديد من العلاقات بينهما"[1].وبالنسبة لموقف ماسينيون من النبي(**صلىٰ الله عليه وسلم**) ومن الإسلام فإننا نراه لا يركز على فكرة تأليف وضع النبي(**صلىٰ الله عليه وسلم**) له، رغم أن هذه هي عقيدته في الأساس، ولكنه يؤسس لفكره النصراني بناء على وجود الإسلام بعده تاريخيا، أي باعتباره شكلا من أشكال التدين الذي يؤمن به الملايين. وعلى هذا الأساس فإنه قد اعتبره ثالث الأديان، وبنى فكره على أساس تأخره من حيث الزمان عن اليهودية والنصرانية[2] .

لا يسعنا في هذا السياق إلا أن نورد تفسير الحافظ بن كثير لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران-19]. أخبر الله عباده أن الدين عنده هو الإسلام، وهو اتّباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد (**صلىٰ الله عليه وسلم**) الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد (**صلىٰ الله عليه وسلم**)...ثم أخبر تعالى أن الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة، بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم [3] .

من يقرأ كتاب"**العفن**" لمالك بن نبي يفهم جيدا من هو ماسنيون فقد تم فضح أساليبه المختلفة في تزييف الحقائق والترويج للمسيحية والطعن في الإسلام بين شباب المستعمرات الفرنسية الدارسين بالمدراس الفرنسية آنذاك، وكان مالك بن نبي أثناء دراسته بفرنسا خصما عنيدا له يدافع عن أمته الإسلامية الواقعة تحت وطأة الاستعمار، ويدافع عن هوية الشعب الجزائري الذي تسعى فرنسا بكل ما أوتيت من قوة لسلخه منها.

---

[1] المرجع السابق، لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص: 224.

[2] المرجع نفسه، ص: 226.بتصرف

[3] أحمد شاكر، (عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير) ، سورة آل عمران،دار الوفاء،المنصورة،ط2،2005، ج1/362،361.

الملاحظ – أيضا– أن ظاهرة الذاتية في دراسات ماسينيون عن النبي(**صلىٰ الله عليه وسلم**) – أي عدم ارتباطه بإطار معرفي يستند إلى مصادر– قد جعلته يلفق للإسلام كثيرا من الأمور التي لا توجد في أي مصدر من مصادره، ومن ذلك حصره العلاقة بين النبي(**صلىٰ الله عليه وسلم**) وبين الله تعالىٰ، التي لم يعطها ماسينيون أي اعتبار وذلك لتجلي هذه العلاقة في الوحي ذاته، وفي القربات البالغة التي اختص به النبي(**صلىٰ الله عليه وسلم**) ،والتي كان هدفها سعيه الحثيث إلى بلوغ رضوان الله عز وجل.إضافة إلى تأويله للكثير من آيات الذكر الحديث حسب معتقده النصراني وحسب هواه مع رده للأحاديث التي تفسر هذه الآيات. من ذلك تأويله لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد– 27]. إذ إن الآية عنده تعني أن الرهبانية بمعناها النصراني أصل في الإسلام. وهذا الرأي فاسد والدليل على فساده أن القرآن بين فساد هذه الرهبانية وأنها بدعة ليست من الدين قي شيء. قال الحافظ "ابن كثير" في تفسير الآية: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ أي ابتدعها أمة النصارى. ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي ما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم"[1].

هناك بعض المفكرين العرب من يثني على جهود وأعمال لويس ماسنيون خاصة فيما يتعلق بالتصوف، لكن هل هو التصوف الإسلامي الذي شرعه الإسلام وأقر به أم أنه نوع من التصوف الذي يخدم معتقدات النصرانية،وولاننسى أن هذا الرجل خدمات جليلة لدولته في احتلالها للبلدان العربية وعلى رأسها الجزائر،وقدّم تقارير مهمة لوزارة الخارجية سهلت للمستعمر الكثير من الأمور المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة.

[1] المرجع السابق، أحمد شاكر، (عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير) ، سورة الحديد، ج462/3.

7/ ريجيس بلاشير (Regis Blacher)[1]:

اهتمّ ريجيس بلاشير بمسائل عديدة تتعلق بالثقافة العربيّة الإسلاميّة وخاصة في الأدب العربي القديم والحديث، وقد اختص بلاشير أيضا بعلوم القرآن الكريم ترجمةً ودراسةً، كما بحث في السيرة النبوية.ومن المعلوم أن مرجعية بلاشير في البحث كانت نصرانية، ولذلك لا تمر مناسبة إلا وأشار فيها إلى المخالفة الموجودة بين الإسلام ومعتقداته والنصرانية ومعتقداتها، ويحاول دائما توجيه القارئ الغربي إلى فكرة السمو العقائدي النصاراني.

طرح بلاشير أفكاراً لا تختلف كثيراً عمّا طرحه بعض المستشرقين بخصوص مسألة التأثير ، وهو أن محمد (**صلىٰ الله عليه وسلم**) لم يكن إلا رجلا متأثرا بالمصادر اليهودية والنصرانية، والتي تعلم أصولها في صباه، واستلهمهما بعد ذلك في تأسيس دعوته .

رغم أن هناك الكثير من آراء "بلاشير" حول النبي(**صلىٰ الله عليه وسلم**) وحول الإسلام،إلا أننا حاولنا حصرها في محاولته الإيحاء بتدني دور العامل الديني في بناء الإسلام، وتقديم العوامل الاقتصادية وخصوصا السياسية في التأسيس له وانتشاره، ولم يكن هذا الأمر ليفوته أبدا؛ ولذلك نراه كثير الترديد له، ومن ذلك ما ذكره عن تدوين القرآن في العهد العثماني [(عهد عثمان ابن عفان رضي الله عنه)] في كتابيه (مدخل إلى القرآن) و(تاريخ الأدب العربي)، كما أنه لم يخرج في التنظير لمسائله وتفسير الروايات والأحداث عن فكرته الأساسية – الذاتية- أي كون الإسلام مجرد نقل لأفكار وقصص أهل الكتاب[2].

قد أصر "بلاشيرBlacher " في مواضع عديدة على إبراز دور الصراع السياسي –كما أسماه- في عهد تدوين القرآن الكريم، يقول: "وأي هدف كانت تسعى إليه هذه الجماعة...فعبر تشكيل المصحف كان الهدف هو القضاء على الاختلافات...ولم يكن في اختيار عثمان لنص أبي بكر [رضي الله عنهما] صدفة...فقد أحس بأن اعتماد النص الذي دُون في عهد أبي بكر ولقي موافقة

---

[1] ريجيس بلاشير (1900- 1973م): أستاذ اللغة العربية في جامعة باريس، من مؤلفاته: (تاريخ الأدب العربي)، (ترجمة القرآن). ينظر: نجيب العقيقي، (المستشرقون) ، ص: ج309/1.

[2] المرجع السابق، لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر) ، ص: 230.

عمر [رضي الله عنهما] يعطي الضمانات للقضاء على جميع النصوص ذات المصادر المتواضعة"[1].رغم أن المشكلة لم تكن مشكلة النصوص القرآنية المتنوعة، وهذا الأمر معلوم عند جمهور المستشرقين والباحثين ومنهم بلاشير نفسه، الذي كانت نتيجة أبحاثه في كتابه (مدخل إلى القرآن) هي تقرير أن الاختلاف بين هذه المصاحف كان محصورا في ترتيب السور واختلاف بعض القراءات، وأن النص القرآني سليم تماما من التحريف.رغم هذا إلا أنه أغمض عينيه عن الحقيقة البسيطة التالية، وهي أن تدوين أبي بكر تم بشكل رسمي، وقد شارك فيه جمهور الصحابة (رضوان الله عليهم) مما جعله متميزا عن أي مصحف وجد عند آحادهم، وهذا سبب في غاية الصحة والوجاهة ،ويكفي لبيان سبب اختيار عثمان (رضي الله عنه) لصحف أبي بكر (رضي الله عنه) لتكون أصلا لتدوينه اللاحق[2].

بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد موت كثير من الصحابة القراء عمد أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– بجمع القرآن الكريم،ولما توسعت الخلافة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه– وانتشرت ظاهرة اللحن في القرآن الكريم،أمر عثمان بن عفان أمراء الأمصار بأن يجمعوا المصحف على حرف واحد.

يبدو لنا واضحا لا تزال الشوكة مغروسة في صدور هؤلاء المستشرقين ومنهم بلاشير،والمتمثلة في نزاهة القرآن من التحريف أو الزيادة أو النقصان، وهذا ما لم يجده في توراته وإنجيله الذي كان موجودا بين يديه، كما أنه كان يعرف جيدا أن القرآن الكريم حفظه رب العالمين، عكس الكتب السماوية الأخرى التي حفظت من طرف القساوسة والرهبان فكانت عرضة للتحريف والتغيير. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر– 9] أي القرآن الكريم.رغم الجهود التي قدمها **"بلاشير"** في ترجمته للقرآن الكريم، سجلت بعض مغالطات عليه خاصة وأنه ترك تأثيراً سلبيا في الدراسات القرآنية لدى المتخصصين في علم الإسلاميات وفي مقدمتهم "محمد أركون".

---

[1] المرجع السابق، لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص: 231.

2 المرجع نفسه، ص: 231.

المبحث الثالث: المستشرقون الغربيون المتعاطفون مع النَّبي (صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم)

شهد العصر الحديث والمعاصر اهتماما بالغا من قبل المستشرقين الباحثين في الدراسات الإسلامية عامة والسيرة النبوية خاصة، فقد ترجموا سيرة ابن هشام، وألفوا عن الرسول (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) كتبا حول حياته،وانقسموا في بحثهم عن سيرة النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلى فريقين،فريق ابتعد في معالجته لموضوع السيرة النبوية عن الحياد وعن النزاهة العلمية.وفريق آخر تجاوز فيها النظرة التقليدية وقام بدراستها دراسة موضوعية صادقة .

إن اختلاف المستشرقين في نظرتهم إلى الإسلام ،وتعدد أرائهم حول النبي صلى الله عليه وسلم يرجع إلى المرجعية التي ينتمي إليها كل مستشرق ،وإلى المدارسة الفكرية والدينية المرتبط بها ،ويرجع أيضا إلى الاختلاف في دوافع وأهداف كل مستشرق،فانقسموا إلى قسمين قسم كاره للإسلام وحاقد على النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) هدفهم هو التشكيك في السيرة النبوية وإبطالها .

ونجد قسما آخر من المستشرقين المتعاطفين المعتدلين ممن تأثروا بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم واعتنقوا الإسلام،وأعطوا للغرب صورة حسنة عن النبي محمد (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وصححوا للعالم صورة الإسلام،وهذا على غرار الرسام الفرنسي العالمي "نصر الدين دينيه" – أو كما سُميَّ قبل إسلامه– بـ: "ألفونس إيتيان دينيه (AlphonseEtienne Denier) "صاحب كتاب (محمد رسول الله)، أو النمساوي "محمد أسد" – "ليوبولد فايس (Leopold Weiss)"– صاحب كتاب (الطريق إلى مكة)، أو الفرنسي" عبد الواحد يحي غينون" وغيرهم.

في هذا القسم نجد زمرة من المستشرقين المحايدين لم يسعفهم الحظ لاعتناق الإسلام ولاسيما المعاصرين منهم،درسو الإسلام واطلعوا على حقيقته فكان موقفهم الانبهار والإعجاب الكبير بالرسالة السامية ،والإشادة بشخصية رسولنا محمد (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وأخلاقه،ومن هؤلاء المستشرقين مثلا نجد:

1.لورا فيشيا فاغليري (Laura Vecia Vaglieri)[1]:

تعتبر المستشرقة الإيطالية من أوائل المستشرقين الذين دافعوا عن الإسلام وأبدو إعجابهم به،فقامت بدراسة تاريخ الإسلام بروح متفتحة وحب شديد للأخلاق الإسلامية، وبينت موقفها المعتدل تجاه النبي صلى الله عليه وسلم ،وفي نفس الوقت حاولت الرد على آراء وأقوال المستشرقين والتي كانت تنطلق من مواقف عاطفية تمتلئ في معظمها بالحقد الدفين والتعصب المتعمد لحقيقة الإسلام وحقيقة النبوة المحمدية.وتبعا لذلك عمدت لورا فاغليري إلى التأليف عن الإسلام ،فكتبت مؤلفها الشهير: (دفاع عن الإسلام) الذي يدل عنوانه بوضوح عن موقفها الثابت والصريح من هذا الدين.

قد بدأت لورا فاغليري كتابها بنقد الآراء الرائجة في زمانها،والتي تفسر نجاحات الإسلام بالظروف المادية المحيطة به، وراحت تعترف بنبوة محمد(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) تقول: "وأزعج هذا التحول السياسي والديني العميق طائفة من الناس...ولكن كثيرا منهم كانوا عمياً، أو كانوا يغمضون أعينهم عمداً...إنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الإلهية وحدها كان في ميسورها أن تقدم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة.إنهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالة محمد، آخر الأنبياء الكبار حملة الشرائع، والذي ختم سلسلتهم إلى الأبد"[2].

قامت لورا فاغليري أستاذة اللغة العربية بنابولي الإيطالية في كتابها "دفاع عن الإسلام" بدراسة الإسلام دراسة موضوعية بحثة لا دخل للهوى فيه،ويعد هذا الكتاب من المؤلفات الاستشراقية الأكثر إنصافا للرسول صلى الله عليه وسلم ،وعلى العكس ما روج له من طرف العديد من المستشرقين المتعصبين،فوصفته بالعدالة والرحمة والعفو والكرم والحلم.

---

[1] لورا فيشيا فاغليري (Laura Vecia Vaglieri) 1893-1989: مستشرقة إيطالية مختصة في العربية وآدابها، من مؤلفاتها: دفاع عن الإسلام و قواعد العربية. ينظر: يحي مراد، معجم أ سماء المستشرقين،دد،دط، دت، ص:1134.

[2] لورا فيشيا فاغليري، (دفاع عن الإسلام)، تر: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت- لبنان)، ط5، 1981م، ص:28.

درست لورا فاغليري شخصية النبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وعمدت في تحقيق ذلك إلى المصادر الإسلامية فاستخلصت منها صورة النبوة الحقيقية، وسارت على منهجها العلمي الحقيقي ففسرت أحداثه تفسيرا يتناسب مع توجهات المصادر التي اعتمدت عليها، وتكفلت بالرد على اتهامات المستشرقين الباطلة، ومن ذلك رد تهمة القسوة عنه صلى الله عليه وسلم، قالت: "أما محمد المبشر بدين الله فكان لطيفا رحيما...لقد امتزجت في ذاته العدالة والرحمة، وليس من العسير تأييد هذا بكثير من الأمثلة المنثورة في سيرته"[1].يصدق قول هذه المستشرقة قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء-107] أي أنه أرسل رحمة إلى جميع الناس.

لم تترك "لورا فاغليري" موضوعا يُتّهم فيه النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) إلا وكانت له بالمرصاد وخصصت له ردا قويا تبدي فيه أفكارها الواضحة والمعتدلة ،وتنفي من خلالها كل الصور المغلوطة والأكاذيب الشنيعة عن النبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**).ومن بين هذه الصور تقول: "لقد أصرّ أعداء الإسلام على تصوير محمد شخصية شهوانية...محاولين أن يجدوا في زواجه المتعدد شخصية ضعيفة غير متناغمة مع رسالته،وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلا إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا امرأة واحدة ليس غير هي خديجة [رضوان الله عليها]،ولم يتزوج ثانية إلا بعد أن توفيت،وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره،ذلك أنه قصد تكريم الزوجات المتصفات بالتقوى"[2].

من يدرس كتاب لورا فاغليري (دفاع عن الإسلام) يلاحظ فيه شيئين اثنين:

الأول: وهو أن إعجابها بالإسلام قد دفعها إلى اتخاذ منهج أصيل في الدفاع عنه، وهو الالتجاء إلى مصادره ذاتها، وفهم أحداث السيرة فهماً تخلص من سوء النية.

الثاني: أن لورا فاغليري اعترفت بالنبوة محمد (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وأنه آخر الأنبياء والرسل **(عليهم الصلاة والسلام)**[3].

---

[1] المرجع السابق، لورا فيشيا فاغليري، (دفاع عن الإسلام)، ص: 39/38.

[2] نفس المصدر ، ص: 99/ 100 .

[3] المرجع السابق، ينظر: لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)،م.س، ص: 208/206.

رغم تصنيف هذه المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري في طبقة المتعاطفين والمعجبين بالإسلام،إلا أننا قد نلمح عندها بعض الأخطاء في أقوالها وأحكامها، من ذلك تفسيرها لأمر النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) بقتل بعض الأشخاص، وهو الأمر الذي رأت فيه نوعا من القسوة، وفسرت هذا السلوك النبوي بضرورات تسيير أمور الدولة وخصوصية عصره (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**). والحقيقة على عكس ذلك تماما، فإن النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) لم يأمر بقتل أحد من الناس إلا بعد أن تثبت عداوته الشديدة للإسلام، وعمل على تقويض أركانه.

2. مارسيل بوازار (Marcel Bouzar) [1]:

اهتم المستشرق السويسري مارسيل بوازار بالإسلام اهتماما بالغا،وواجه الأوروبيين بأفكارهم المنحرفة عن القيم الإسلامية، فقام بتأليف كتاب "إنسانية الإسلام" والذي يعود عليهم بالنفع أولا،وتحقيق مصلحة الغرب ثانيا، يقول: "وإذا كان لهذه الدراسة من طموح فإنما إلى أن يستفيد منها الغرب بالدرجة الأولى"[2]

إن الإسلام دين جعله الله لكل البشر،ولم يأت خاصا بالعرب وحدهم.ولكن الغرب سعى إلى الإبانة عن الأسباب النفسية الكامنة من العالم الثالث شعورا بالخوف والازدراء في آن معا، فهناك من جهة دلّ عن شموخ قومي متأصل، ومن جهة أخرى خوف تذكية القوة العددية لهذا الجزء من البشرية"[3] .

جاء النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن الكريم الخالدة والتي تحدى فيها بلغاء العرب وفصحائهم، وتحدي فيها الجن والإنس بأن يأتوا بمثله حتى ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا،قام مارسيل بوازار خلالها بوصف القرآن وصفا دقيقا يليق بمقامه فقال:"إنه كتاب منزل أزلي غير مخلوق،ونموذج رفيع للأدب العربي تستحيل محاكاته، إنه لا يمثل النموذج المحتذى للعمل الأدبي الأمثل

---

[1] مارسيل بوازار، مفكر سويسري وقانوني معاصر، أولى اهتماما بالغا بمسألة حقوق الإنسان والعلاقات الدولية. له كتاب مشهور اسمه (إنسانية الإسلام) ينظر المرجع السابق: يحي مراد معجم أ سماء المستشرقين،ص:1135.

[2] مارسيل بوازار، (إنسانية الإسلام)، تر: عفيف دمشقية، دار الآداب، (بيروت- لبنان)، ط1، 1980م، ص: 9/8.

[3] المرجع نفسه، ص: 9.

وحسب،بل يمثل كذلك المصدر للأدب العربي والإسلامي الذي أبدعه"[1]. قد خصص بوازار في كتابه قسما لخص فيه موقف الغربيين من الحضارة الإسلامية ،ورصد فيه الموقف الغربي من المسلمين، وفسره بالعامل العام الذي سبق ذكره، وخصوصا التاريخ الحافل بالصراع بين المسلمين والنصارى. وعمل على فضح الموقف الغربي المتعصب وبيان تهافته .فقال: "والمؤلفون الذين لا ينسبون إلى المسيحية معظم التنظيمات الدولية للخلق الدولي يرجعون في بحوثهم أولا إلى الحضارات القديمة ولاسيما الحضارة الإغريقية، ليقفزوا بعد ذلك من غير تدرج إلى الأزمنة الحديثة، مُسَلِّمِين بأن ظلام العصور الوسطى المزعوم كان يلف العالم بأكمله...ومع ذلك فإن الموضوعية التاريخية، بل مجرد العدل يدفع إلى التذكير بأن الحضارة التي تعهدت الثقافة المتوسطية خلال القرون السبعة التي تتألف منها القرون الوسطى كانت الحضارة الإسلامية"[2].والملاحظ أن بوازار يلتقي مع أقطاب المستشرقين المعجبين بالإسلام في تقرير قدرته على الاستمرار، ولذلك فقد اعتبره أحد التيارات الكبرى التي ساهمت في صناعة الضمير العالمي، إضافة على قدرته بأن يقوم بهذا الدور في العالم المعاصر، ولذلك قال: "ويبدو أن حواراً أكثر إخاء قد قام منذ ماض قريب...ولقد باشرنا بحثنا من خلال هذا المنظور...أما نحن فنرجو أن نبين مدى إسهام الإسلام في الماضي، وإمكان مشاركته في المستقبل"[3].

أما فيما يخص موقف هذا المستشرق السويسري عن موضوع صورة النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) مع قومه، فقد رصد لنا آراء المستشرقين في النبوة الإسلامية، وعمل على تحطيم فكرة تدخل العناصر المادية في الدعوة الإسلامية وانتشارها، وأثبت طابعها الديني، وبيّن قضية الصراع الذي نشب بين الرسول(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وقومه آنذاك. فقال مارسيل بوازار:"ولا ينحصر دافع معارضة أعيان مكة للدعوة الجديدة في الاعتبارات الاقتصادية،ولا في الخوف من ضياع هيبتهم المعنوية،كما يزعم بعض المؤلفين الغربيين،فليس في القرآن،ولا في الواقع،ما يسمح بمثل هذا التفكير،كما أن العرب

---

1 مارسيل بوازار ،كلمة حق سطرها التاريخ ،موقع قناة حلب اليوم على اليوتيوب انظر الموقع:
https://www.youtube.com/watch?v=4Y1yIRrwynYتاريخالمراجعة:2019/05/02،التوقيت:17:00.

2 المرجع السابق، مارسيل بوازار، (إنسانية الإسلام)، ص: 11، 12.

3 المصدر نفسه، ص: 82.

الذين كانوا يومذاك جاحدين ضالين عبروا عن عدائهم بألفاظ دينية وسياسية بدرجة الأولى. ومن شأن وثنية ذات طابع قومي، حتى وإن لم يكن أصحابها شديدي التمسك بها ألا تغفر التخلي عنها حين يؤدي ذلك إلى قطع الرابطة الدينية التي تشد أعضاء المجتمع"[1].

قام بوازار ببحث بعض النقاط التي كان ولع المستشرقين المتعصبين والحاقدين بها كبيرا، ومنها موضوع الاختلاف بين المرحلتين المكية والمدنية في الدعوة الإسلامية، وما يتعلق بها من زعمهم تطور الإسلام نحو العالمية بفعل المحيط الجديد، قال: "غير أن المسلم يعلل الوقائع بشكل مغاير فليس للتنزيل في نظره مظهران، مظهر ديني وآخر اجتماعي سياسي، بل هو يتمثله على العكس من ذلك كلا مقدما بشكله الإجمالي. وقد اعتمد الإسلام في أوله الأناة والإقناع، وما كان للمرحلة التشريعية أن تتحقق إلا حين تكون جنين مجتمع تضامني...ولا يقلل هذا التسلسل الزمني للأحداث الذي يرسم مسار ولادة المجتمع الإسلامي من طابع الدين الشمولي، بل هو على العكس يعظم من شأنه"[2] .

قد أكد بوازار الفهم الصحيح للإسلامي بنفسه، وركز على بيان بروز الطابع الديني في عمل النبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) في مرحلة قيام الدولة، وقد أثبت بذلك عدم الانفصال المزعوم بين دائرتي النبوة والسياسة في شخصية النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**)،وفي التوفيق بين كونه رجل دولة وتأديته الرسالة الإلهية على أكمل وجه فوصفه بنبي ورع وتقي، فلم يكن محمدٌ (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) على الصعيد التاريخي مبشِّرًا بدين وحسب، بل كان كذلك مؤسِّسَ دولة غيَّرت مجرى التاريخ وساعدت في انتشار الإسلام وتوسعه ،فقال مارسيل بوزار:"ومنذ أن استقر النبي محمد **صَلى الله عَلَيْهِ و وَسَلَم**في المدينة غدت حياته جزءا لا ينفصل من التاريخ الإسلامي...ولم يُنس محمد قط...وهو يؤدي دور رجل الدولة رسالته السماوية: نبيا ومبشرا، كما لم يتوان لحظة عن إظهار ورعه وتقاه"[3].

---

[1] المرجع السابق، مارسيل بوازار، (إنسانية الإسلام)، ص: 43

[2] المصدر نفسه، ص: 46/45.

[3] المصدر نفسه، ص: 46 بتصرف.

يخلص لخضر شايب في كتابه (نبوة محمد **صلى الله عليه وسلم** في الفكر الاستشراقي المعاصر)، إلى أن بوازار بحث في شخصية النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) بحثا دينيا، وانتهى إلى تقرير أنها تكونت في جانب كبير منها من ثلاثة عناصر، هي: الورع حيث كان مؤمنا شديد اليقين بما كان يقوله ويفعله، والقتالية التي تبدو في نضاله المتواصل في مكة والمدينة من أجل رفع راية دين الإسلام، والعفو الذي يبدو في تسامحه الظاهر إلا فيما يخص أعداء الدين[1].

3.موريس بوكاي (Maurice Bockay) [2]:

عاش المستشرق الفرنسي موريس بوكاي مرحلة طويلة في بلاد الإسلام ،وكما هو معروف عنه أنه أستاذ فرنسي في الطب تفرغ لدراسة الأديان السماوية وبعد أن فرغ من دراساته عن الإنجيل والتوراة أراد أن يدرس القرآن باللغة العربية .كما كانت هذه الدراسة كافية في تخليصه إلى حد كبير من آثار الثقافة الكتابية والاستعمارية التي ظلت ملازمة للتكوين الاستشراقي حتى يومنا هذا. هذا إضافة إلى أنه كان له الوقت الكافي لدراسة المصادر الإسلامية دراسة علمية واعية، سواء من حيث الشكل أم من حيث موضوعاتها، ثم مقارنة بما أثبته أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في العهدين القديم والجديد .

يمكن حصر دراسة المستشرق الفرنسي موريس بوكاي Maurice Bockay حول المجتمع الإسلامي في أمرين اثنين:

الأول: أنه كان المستشرق الوحيد الذي اعتمد على منهج مقارنة الأديان عند بحثه للأديان الثلاثة: الإسلام واليهودية والنصرانية، وذلك من أجل هدف واضح ومحدد منذ البدء، وهو معرفة أي الكتب

---

[1] المرجع السابق، مارسيل بوازار، (إنسانية الإسلام)، ص: 46.

[2] طبيبٌ فَرَنسي، رئيس قسم الجراحة في جامعة باريس، اعتنق الإسلام عام 1982م، ويُعتبَر كتابه التوراة والقرآن والعلم، من أهم الكتب التي درَست الكتب المقدَّسة على ضوءِ المعارف الحديثة، وله كتاب القرآن الكريم والعلم العصري منحتْه الأكاديمية الفَرَنسية عام 1988م جائزةً في التاريخ. بقلم أنور محمود الزناتي،عنوان المقال مستشرقون منصفون، شبكة الألوكة الثقافية:https://www.alukah.net/web/anwar-zanaty/12075 تاريخ المراجعة: 2019/03/22 التوقيت:8.00.

هذه الديانات تنقل الوحي الإلهي حقيقة. أما مجمل المقارنات التي قام بها جمهور المستشرقين القدامى والمحدثين فلم تكن إلا عملية تمثيل أراد بها أصحابها الإيحاء لقرائهم بأن النبي(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) استلهم المصادر الكتابية في تكوين الوحي القرآني – والله المستعان- والواضح أن أحد منهم –كما سيأتي لاحقا- لم يحاول القيام بدراسة دينية حقيقية يقارن فيها بين الوحي الإسلامي والوحي الكتابي، وهذا ما تميز به عمل بوكاي الذي ذهب إلى بحث أصل المشكلة[1].

الثاني: أنه أُعجب أشد الإعجاب بالإسلام، ولذلك لم يكتف بدراسته المقارنة، بل راح ينتقد الدراسات الاستشراقية،ومواقف الغربيين من النبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم** ومن الإسلام والمسلمين،ورغم أن عمله في كتابه المسمى (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) كان عملا علميا، حيث طبق المنهج نفسه على الكتابين التوراة والإنجيل [المحرفين] والقرآن العظيم وكذلك الحديث النبوي الشريف، ولولا تخلصه من عقدة الرجل الغربي المتعصب اتجاه الإسلام لما استطاع أن يرى أسرار صحة الوحي الإسلامي وتميزه وتفوقه.

يقرّ بوكاي بأنه لا مفر من الاعتراف بأن التقاليد العالقة حول االحضارة الإسلامية لازالت سلبية وغير واضحة في البلدان الغربية.يقول: "وقد يتعجب البعض من هذا، ولكن سرعان ما يزول إذا ذكرنا الطريقة التي لقن بها العديد من الأجيال قضايا الإنسانية الدينية، والجهالة التي تركوا فيها تجاه كل ما يخص الإسلام.أليس هدف إطلاق التسميات (الدين المحمدي) و(المحمديين) حتى في أيامنا هذه غرس الاعتقاد الخاطئ في الأذهان عن حقيقة الإسلام[2].

رغم الحملات الشرسة والرواسب الاستشراقية العالقة في الأذهان دافع موريس بوكاي عن الإسلام في الغرب،وموريس بوكاي له معرفة عميقة بالكتب المقدسة اليهودية والمسيحية والقرآن،جعلته يواجه ويناظر بمسلك الحكمة للدفاع عن ماهية الوحي القرآني وسيرة محمد (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وكل ماله علاقة بمسألة الأديان .

---

[1] ينظر: لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، مكتبة العبيكان،دم،دط،دت، ص: 214.

2 المرجع نفسه: ص214.

ألقى موريس بوكاي خطابا مباشرا في إحدى القنوات العراقية بيّن فيه عظمة القرآن الكريم وأنه وحي إلهي لا دخل للبشر فيه فقال:"...فيما يتعلق بالمعارف في عهد الرسول محمد :عندما ننظر إلى تصريحات كثيرة في القرآن مرتبطة بالعلم فإنه من المستحيل أن يكون كلام إنسان"[1].يصف موريس بوكاي الطريقة التي نزل بها الفرقان على أنه نص الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من سيد الملائكة جبريل ،لأنه قد كتب في الحال ثم حفظه المؤمنون عن ظهر قلب ..."[2]

لقد عرف موريس بوكاي حقيقة الدين حق المعرفة،فاتبعه وآمن بالرسول(**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**)، ويصدق في هذا الرجل قوله الله تعالى سبحانه:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[المائدة:82/83/84].

إن هؤلاء المستشرقون صدقو مع الله ومع أنفسهم ،فبيّن الله لهم طريق الحق وعلى العكس تماما من هؤلاء المستشرقين الذين تقطّعت بهم السبل وتفرقت بهم الأهواء، فألفوا صورة سيئة عن الإسلام وعن الرسول (صلى الله عليه وسلم)،وصنعوا نظريات وآراء مشبوهة والتي لم تكن شبه معقولة في معظمها أو قريبة إلى التصديق، واليوم يحذر كثير من علمائنا إلى خطورة تغير الخطاب الاستشراق، وشبهوها بسم في العسل،لأنه أصبح أكثر دهاء ومكرا،ولكن هيهات ثم هيهات فالله متم نوره، أحب من أحب وكره من كره.

---

[1] موريس بوكاي – القرآن والعلم الحديث متوافقان بشكل مذهل،موقع قناة العراق الآن على اليوتيوب انظر الموقع https://www.youtube.com/watch?v=bI35RNM3OkA تاريخ المراجعة: 2019/06/13 التوقيت:15:30.

[2] موريس بوكاي،(التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، تر: حسن خالد، المكتب الإسلامي، (بيروت– لبنان)، ، ط3، 1990م ص: 18.

4.ألفونس دي لامارتين(Alphonse de Lamartine) [1]:

يعد الشاعر الفرنسي الكبير ألفونس دي لامارتين من المستشرقين المنصفين للنبي صلى الله عليه وسلم والمحبين له يقول: "إن حياة محمد صلى الله عليه وسلم، وقوة تأمله، وتفكيره وجهاده والقضاء على خرافات أمته، وجاهلية شعبه وخزعبلات قبيلته، وثباته ثلاثة عشر عاما يدعو دعوته وسط أعدائه، وتقبله سخرية الساخرين والهازئين وحميته في نشر دينه،وتطلعه إلى إعلاء كلمة الله "[2].وكتب الشاعر لامارتين أيضا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:" أترون محمدا كان أخ خداعا وكذابا؟ كلا لم يكن خادعا ولا كاذبا بعدما عرفنا تاريخه ودرسنا حياته"[3].

ينقل لنا لامارتين صورة واضحة المعالم عن النبي صلى الله عليه وسلم في مشهد تاريخ حقيقي فيقول: " إن ثبات محمد و بقاءه ثلاثة عشر عاما يدعو دعوته في وسط أعدائه في قلب مكة و نواحيها، و مجامع أهلها، و إن شهامته و جرأته و صبره فيما لقيه من عبدة الأوثان،وإن حميته في نشر رسالته، و إن حروبه التي كان جيشه فيما أقل من جيش عدوه، و تأسيس العقيدة الصحيحة لا إلى فتح الدولة و إنشاء الإمبراطورية، كل ذلك أدلة على أن محمدا كان وراءه يقين في قلبه و عقيدة صادقة تحرر الإنسانية من الظلم و الهوان "[4].لقد وصف لامارتين النبي صلى الله عليه وسلم بأوصاف حميدة كالصدق والأمانة فقال:"إن كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعا، أو يعيش على باطل فهو فيلسوف و خطيب،ورسول ومشرع وهادي الإنسان إلى العقل،وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن و اللب و مؤسس دين لا فرية فيه.و لا صورة ولا رقيات"[5].

---

[1] الفونس دي لامارتين (21 أكتوبر 1790 - 28 فبراير 1869)شاعر وسياسي فرنسي .من أشهر أعماله "تأملات شعرية" (1820)، و "جوسلين" (1836)، و "سقوط ملاك" (1838). و من أشهر قصائده قصيدة البحيرة .من موقع ويكيبيديا،ألفونس_دو_لامارتين https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ المراجعة: 2019/06/13 التوقيت:08:30.

[2] محمد الصالح الصديق، محمد صلى الله عليه وسلم في نظر المفكرين الغربيين، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية ،بن عكنون-الجزائر،ط1، 2005، ص15.

[3] المصدر نفسه ص133.

[4] محمد السقا عيد ،عظمة النبي في عيون المنصفين و العقلاء الغربيين،من موقع شبكة الألوكة:
https://www.alukah.net/library/0/60532 / تاريخ المراجعة: 2019/06/14 التوقيت:09:30.

[5] زكريا هاشم ، المستشرقون و الإسلام، ص272.

5.الفيلسوف الكبير تولستوي (Tolstoy) [1]:

أعجب الروائي الروسي و الفيلسوف الكبير تولستوي بالإسلام و تعاليمه والأخلاق التي فيه،وانبهر بشخصية النبي صلى الله عليه و سلم وظهر ذلك واضحا في أقواله، فيقول في مقالة له بعنوان (من هو محمد ؟): " إن محمدا هو مؤسس و رسول، كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، و يكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة و السلام، و تؤثر عيشة الزهد و منعها من سفك الدماء و تقديم ضحايا بشرية وفتح لها طريق الرقي و المدنية و هو عمل عظيم لا يقدم علية إلا شخص أوتي قوة، و رجل مثله جدير بالاحترام و الإجلال"[2] .

يعد المستشرق تولستوي من الباحثين الذين طابت سريرته لمعرفة الحق والإدلاء به أمام الجميع يقول:"يكفي محمدا فخرا أنه خلص أمة ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة، و فتح على وجوههم طريق الرقى و التقدم،وأن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل و الحكمة"[3]

لقد نطق هذا المستشرق بكلمة الحق و برر الغاية من مجيئ الإسلام ،وبيّن الغاية من خلق الإنسان وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له، ليؤجر على ذلك أجرا حسنا في الدار الآخرة يقول :"خلاصة هذه الديانة التي نادى بها محمد هي أن الله واحد لا إله إلا هو، ولذلك لا يجوز عبادة أرباب كثيرة و أن الله رحيم عادل ،و أن مصير الإنسان النهائي متوقف على الإنسان نفسه، فإذا سار حسب شريعة الله و أتم أوامره، و اجتنب نواهيه، فإنه في الحياة الأخرى يؤجر أجرا حسنا، و إذا خالف شريعة الله ، و سار على هواه فإنه يعاقب في الحياة الأخرى عقابا شديدا "[4].

---

[1] الفيلسوف الكبير تولستوي(1910/1828)روائي وكاتب روسي ومصلح اجتماعي ورجل سلام تطرق في كتبه إلى مواضع أخلاقية ودينية واجتماعية للمزيد انظر: إلى الأديب تولستوي، حكم النبي محمد ،دراسة وتعليق محمود النجيري مكتبة النافذة ،الجيزة،مصر،ط1،2008،ص 03.

[2] محمد السقا عيد ،عظمة النبي في عيون المنصفين و العقلاء الغربيين،من موقع شبكة الألوكة:

https://www.alukah.net/library/0/60532 / تاريخ المراجعة: 2019/06/14 التوقيت:10:30.

[3] المصدر نفسه، تاريخ المراجعة: 2019/06/15 التوقيت:09:00.

[4] تولستوي ، حكم النبي محمد ، الأديب تولستوي ،دراسة وتعليق محمود النجيري مكتبة النافذة ،الجيزة،مصر،ط1،2008،ص:42.

6.إتيان دينيه (ET.DIENT)[1]:

يعد إتيان دينيه من كبار أهل الفن والرسم ورجال التصوير، وكان أيضا صاحب طبيعة دينية وبعد أن هداه الله للإسلام،استقر بمدينة بوسعادة بالجزائر وحج بيت الله الحرام ،صار يدافع عن الحق ويواجه أهل الضلال.قال :" إن الشخصية التي حملها محمد (صلى الله عليه و سلم) بين برديه كانت خارقة للعادة و كانت ذات أثر عظيم جدا حتى أنها طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع و أعطاها صفة الشيء الجديد "[2]"..إن سنة الرسول الغراء (صلى الله عليه و سلم) باقية إلى يومنا هذا يجلوها أعظم إخلاص ديني تفيض به نفوس مئات الملايين من أتباع سنته منتشرين على سطح الكرة "[3].

يصور إتيان دينيه بعض ملامح النبي(صلى الله عليه و سلم) الحسنة فيقول:" كان يعتني بنفسه عناية تامة، إلى حد أن عرف له نمط في التأنق وفي غاية من البساطة، و لكن على جانب كبير من الذوق و الجمال، و كان ينظر نفسه في المرآة ليتمشط أو ليسوي طيات عمامته، و هو في كل ذلك يريد من حسن منظره البشري أن يروق الخالق سبحانه و تعالى.."[4] لقد اتجه إتيان دينيه للدفاع عن الإسلام وأركانه نحو رجال الدين المتعصبين، وأصبح مناصر للنبي(صلى الله عليه و سلم) مدافعا عنه يقول:"حقا إنه ليدهشني أن يرى بعض المستشرقين أن محمدا قد انتهز الفرصة فروى و رتب عمله للمستقبل، بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فوسوس بأن محمدا (صلى الله عليه و سلم) ألف في تلك الفترة القرآن كله!"[5].

---

[1] اتيين دينيه(1861-1929) فرنسي: ألف " محمد رسول الله" و دافع فيه عن تعدد الزوجات، و ذكر أنه أمر شائع في سائر أرجاء العالم. و أنه النظام الأمثل . كما دافع عن الإسلام في رسالة أخرى سماها " أشعة خاصة بنور الإسلام" و انتهى به الأمر إلى اعتناق الإسلام انظر:عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية و أوهام المستشرقين، مكتبة وهبة, 14 شارع الجمهورية- عائدين – القاهرة ،مصر،ط1،دت، ص47.

[2] محمد السقا عيد ،عظمة النبي في عيون المنصفين و العقلاء الغربيين،من موقع شبكة الألوكة:

https://www.alukah.net/library/0/60532 / تاريخ المراجعة: 2019/06/15 التوقيت:11:00.

[3] المرجع نفسه تاريخ المراجعة: 2019/06/15 التوقيت:11:10.

[4] المرجع نفسه تاريخ المراجعة: 2019/06/15 التوقيت:11:20.

[5] المرجع نفسه تاريخ المراجعة: 2019/06/15 التوقيت:11:50.

ظل إتيان دينيه منذ إسلامه حتى آخر حياته يدافع عن الإسلام والمسلمين، وعمل على تصحيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم عند الغرب،أظهر المكائد المدبرة و الهجومات الشرسة على الإسلام بالحجة والمنطق وسداد الرأي ليتغلب في النهاية على خصومه ،وحاول جاهدا تحسين صورة الدين من خلال المقالات والمحاضرات والرسائل والكتب،منها كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام)، و(الشرق كما يراه الغرب) و(الحج إلى بيت الله الحرام).وراح الشبان و العبيد يصيحون في كل حي و في أرجاء المدينة :" جاء محمد ، جاء محمد،نزل الرسول بمدينتنا " ومنذ ذلك اليوم المشهود و يثرب تعرف بمدينة النبي أو المدينة المنورة اختصارا"[1].

عرف اليهود بشدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم حسدا وبغضا من عند أنفسهم .قال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾. [البقرة: 109].فضلا عن أنهم لم ينظروا بعين الرضا إلى انتصارات العرب المسلمين ،بل خافوا من الوقوع تحت سيطرة المسلمين،لذا كان كل انتصار جديد لجند المسلمين يزيد في غيرتهم و يدفعهم إلى الغدر حتى صار عداؤهم للإسلام علنيا .فاقتضى ذالك من أتباع الدين الجديد سلسلة طويلة من الغزوات"[2].

تسلط اليهود على المسلمين في المدينة المنورة وأظهروا لهم العداوة،فذات يوم جلست امرأة عربية إلى صائغ من بني قينقاع:إذ عمد يهودي إلى ذيل ثوبها ،فعقده إلى ظهرها دون إثارة انتباهها فلما اعتدلت واقفة انكشفت سوأتها.أمام يهود الحانوت ،الذي انتفضوا ضاحكين على أقبح الصور،و غضب أحد العرب الحاضرين فضرب المستهتر بعصاه ضربة ألقته صريعا و ثارت حمية أهل اليهودي ،فانقضوا على العربي وأردوه قتيلا.وهرع العرب إلى المكان يطلبون ثأر أخيهم ."[3].

---

[1] إيتيان دينية سليمان بن ابراهيم محمد رسول الله – ترجمة دكتور عبد الحليم محمود – و دكتور محمد عبد الحليم ،دار المعارف، القاهرة مصر،ط3،دت، ص 181 .

[2] المصدر نفسه، ص253.

[3] المصدر نفسه، ص253.

7.زيجرد هونكة الألمانية(Ziegard Honeke) [1]:

لم تغفل الدكتورة ريجرد هونكة الألمانية دور الإسلام في تطور الغرب وازدهاره وأن محمدا صلى الله عليه وسلم شمس الله أشعة نورا على الغرب،وتشير في كتاباتها إلى عظمة النبي صلى الله عليه وسلم.فتقول:"فإن من واجب العالم كله – و لا محيص لهم عن ذلك – أن يجعل عظمة محمد صلى الله عليه و سلم في الخلق جميعا فوق كل عظمة، و فضله فوق كل فضل، و تقديره أكبر من كل تقدير، و لو لم يكن له صلى الله عليه و سلم من مؤيدات نبوته و أدلة رسالته إلا سيرته المطهرة و تشريعه الخالد لكانا كافيين، لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد"[2].تعد المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكة "من أشهر المدافعين عن الإسلام في الغرب، فهي أول باحثة أوروبية تلغي الأحكام المغلوطة والتهم الملفقة التي ألصقها الغرب بالعرب والمسلمين.

زيغريد هونكة من المستشرقين المنصفين الذين درسوا الحضارة العربية والإسلامية، وفهموا الإسلام، وأشادوا به كدين عالمي صالح لكل زمان ومكان، وقد أصدرت عام 1960م كتابها الشهير "شمس الإسلام تسطع على الغرب"، دفاعا عن الحضارة الإسلامية، وبيانا لتأثيره في العالم الغربي، وترجم هذا الكتاب إلى سبعة عشر لغة، وبيعت منه مليون نسخة، ثم نشرت كتابا آخر بعنوان" ليس الله كما يزعمون "دفاعا عن العرب والمسلمين، كشفت فيه عن كل الأحكام المسبقة والمغلوطة، التي روجت فى الغرب ضد الإسلام وأهله، وجاء كتابها الثالث "التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم"، ليبرز دور الحضارة العربية الإسلامية في نهضة أوربا التي عاشت قرونا طويلة في ظلمات من الجهل والتخلف،كانت فيها الحضارة الإسلامية في أوج تقدمها وازدهارها."[3]

---

[1] زيجرد هونكة الألمانية(Ziegard Honeke)ولدت سنة 1999 م مستشرقة ألمانية زارت مجموعة من الدول العربية من أهم مؤلفاتها أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية وشمس العرب تطلع على الغرب توفيت في سنة 1913م . يحي مراد معجم أسماء المستشرقين، ص1134/1133.

[2] محمد السقا عيد ،عظمة النبي في عيون المنصفين و العقلاء الغربيين،من موقع شبكة الألوكة:

https://www.alukah.net/library/0/60532 / تاريخ المراجعة: 2019/06/15 التوقيت:11:30.

[3] نعيمة عبد الفتاح ناصف ،أشهر المدافعين عن الإسلام في الغرب، من موقع الألوكة:https://www.alukah.net/sharia/0/996 / تاريخ المراجعة:2019/03/02 التوقيت:09:00.

8.روجيه جارودي Roger Garoudi) [1]:

لطالما أصبح جارودي يبحث عن دين يقتنع به ،ويجد فيه ضالته فبعد سنين طويلة من البحث والتحري في المذاهب والأديان وجد الإسلام هو الدين الصحيح والكامل "ففي عام 1981م أصدر جارودي كتابه:(وعود الإسلام) أو (ما يعد به الإسلام)، الذي أبرز فيه العناصر الإيجابية في الإسلام وهو الاختيار الوحيد أمام البشرية للخروج من المأزق، و النجاة من الهلاك المحقق؛ حيث تأكد لجارودي قوة الإسلام في حل المشاكل التي يعيش فيها عالمنا اليوم.وبهذا الكتاب (وعود الإسلام) تهيأ جارودي للإسلام، حيث أعلن إسلامه في عام 1982م بجنيف"[2]

يقال أن سبب إسلام جارودي كان في أحد المعتقلات النازية في الصحراء الجزائرية 1941م ولم يكن إسلام جارودي بمحض الصدفة، بل كان اعتناقه للإسلام عن قناعة وبحث عميق في الإسلام.صرح في كتابه لماذا أسلمت؟ بقوله: أحب أن أقول إن انتمائي للإسلام لم يأت بمحض الصدفة، بل جاء بعد رحلة عناء وبحث، و رحلة طويلة تخللتها منعطفات كثيرة، حتى وصلت إلى مرحلة اليقين الكامل، و الخلود إلى العقيدة أو الديانة التي تمثل الاستقرار، و الإسلام في نظري هو الاستقرار"[3]

لطالما بحث جارودي عن حقيقة الأديان فوجد ضالته في الإسلام،وأقر بأنه دين المستقبل وهوأكثر الأديان انفتاحا على الشعوب، وقد وجد الإسلام يحل هموم ومشاكل الناس.يقول : " بدا لي الإسلام مثل حامل إجابة على أسئلة حياتي، بالنسبة للوعي النقدي لهذا العصر:

1- أن الوحي لا يتعارض مع العلم ولا يتعارض مع الحكمة.

---

[1] روجيه جارودي (1913 /2012) هو فيلسوف وكاتب فرنسي ولد في فرنسا، لأم كاثوليكية وأب ملحد. اعتنق البروتستانتية وهو في سن الرابعة عشرة، درس في كل من جامعة مرسيليا وجامعة إيكس أون بروفانس في 2 يوليو 1982 .أشهر جارودي إسلامه، في المركز الإسلامي في جنيف. من موقع ويكيبيديا، روجيه جارودي https://ar.wikipedia.org/wiki. تاريخ المراجعة:2019/05/20. التوقيت:20:00

[2] روجيه جارودي، لماذا أسلمت .؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة،دراسة محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للطبع و النشر و التوزيع القاهرة،مصر،ط1،دت، ص69.

[3] المصدر نفسه ، ص70.

2- لم يزعم النبي محمد صلى الله عليه و سلم أبدا أنه اختلق ديانة جديدة، لكنه يدعونا إلى العقيدة الجوهرية التي قد دعا إليها الرسل قبله"[1].

صور الغرب الإسلام بالهمجية والتخلف، وقد استمرت أوروبا في تجاهلها لحضارة الإسلام عبر قرون عديدة، ولم تر فيه سوى عدو لدود، في حين أنه: " ليس من الإنصاف في شيء أن يعتبر الإسلام كفرا كما كان الحال في عصر الحروب الصليبية – أو إرهابيا مثلما كان يوصف به إبان حرب التحرير الجزائرية، فلم يعد هذا الدين قطعة من متحف يقوم بفحصه مستشرق يبدي حوله أحكاما مسبقة و تعسفية"[2].

إن تقسيم المستشرقين الذي قام به الأستاذ نذير حمدان وخاصة المعتدلين هو الأقرب للحقيقية وهذا ما يظهره في قوله هذا" ما يكتبه مثلا (أتين دينيه) ET.DIENT الذي أسلم و تسمى ب (ناصر الدين) ، و (رينيه جنيو) الذي أسلم أيضا و تسمى ب (عبد الواحد يحي) و (ليبولد فايس) الذي تسمى ب (محمد أسد) و غيرهم لا يمكن أن يكون بمثل الجرأة و الصراحة و الصدق و التفصيل التي كتب بها سائر المستشرقين المعتدلين من أمثال: (توماس كارليل ، و تولستوي ، واللورد هيدلي) و غيرهم مع تحفظنا من الأغلاط و العثرات التي قد وقع فيها هؤلاء و أولئك أحيانا"[3].

هناك الكثير من علماء ومفكري العالم من أنصف النبي صلى الله عليه و سلم ،وبين حقيقة الإسلام يقول العالم الهندي "ت.ل.فسواني" قال: تأملت أمر محمد صلى الله عليه و سلم فتعجبت من هذا الرجل العظيم الذي نشأ بين هؤلاء القوم مختلي النظام.الفاسدي الأخلاق العابدي الأحجار. هذا الرجل محمد صلى الله عليه و سلم وقف تقريبا وحده شجاعا متحديا غير هياب و لا وجل في وجه التوعد بالقتل فمن أعطاه القوة التي قام بها ؟"[4].

---

[1] المرجع السابق،روجيه جارودي، لماذا أسلمت .؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، ص70 بتصرف.

[2] المصدر نفسه، ص72.

[3] المرجع السابق، الأستاذ نذير حمدان ، الرسول في كتابات المستشرقين ، ص32.

[4] المرجع السابق،زكريا هاشم ، المستشرقون و الإسلام، ص281.

اعترف كثير من المستشرقين بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم وأخلاقه، فلم يظهروا له تعصبا ولا حقدا بل عرفوا قدره ومكانته،فمنهم من آمن به وصدقه ومنهم من أنصفه حتى وإن لم يدخل الإسلام ،فصوروا النبي صلى الله عليه و سلم تصويرا دقيقة لاتشوبه شائبة يقول الأستاذ "كارادي فو" في كتابه "المحمدية" : أن محمدا أتم طفولته في الهدوء ، و لما بلغ سن الشباب اشتهر باسم الشاب الذكي الوديع المحمود و قد عاش هادئا في سلام حتى بلغ الأربعين من عمره وكان بشوشا تقيا لطيف المعاشرة و قال أيضا : أن محمدا كان هو النبي و الملهم و المؤسس ولم يستطع أحد أن ينازع المكانة العليا .و مع ذلك فلم ينظر إلى نفسه كرجل من عنصر آخر أو من طبقة أخرى غير طبقات بقية المسلمين ، إن شعور المساواة و الإخاء الذي أسسه بين أعضاء الجمعية الإسلامية كان يطبق تطبيقا عمليا حتى على النبي نفسه"[1] .

كانت هذه بعض آراء المستشرقين المعجبين – إن صحت تسميتهم- بشخصية النبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) ودين الإسلام، فمنهم من كان ينظر إلى الأمور أحيانا بروح علمية خالصة بعيدة عن التعصب العرقي والمذهبي، ومنهم من كان ينظر إليها بشكل عقلي منطقي، ومنهم من كان ينظر إليه – الإسلام- على أنه واقع حقيقة لا مفر منه. ورغم هذه الآراء المتعاطفة مع النبي (صلى الله عليه وسلم) فإنه لايزيد ولا ينقص من قيمته شيئا، لأنه رسول فضله الله على سائر العالمين.

ويجب التنبُّه إلى أنَّنا نقلنا أقوال المنصفين من غير المسلمين بألفاظِهم وعباراتِهم التي خرَجت بما يتناسَب مع موروثِهم الثقافي والدِّيني والفِكري، وإن كنَّا نرفُض بعض التعبيرات والألفاظ أو التحفظ عليها في بعض الأحيان.

---

[1] المرجع السابق،زكريا هاشم ، المستشرقون و الإسلام، ص283.

الفصل الثالث:

صورة النّبي صلى الله عليه وسلم من خلال كتابات المستشرقين البريطانيين.

المبحث الأول: المدرسة البريطانية نشأتها خصائصها وأعلامها.

المبحث الثاني: المستشرقون البريطانيون الحاقدون على النبي (صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم).

المبحث الثالث: المستشرقون البريطانيون المتعاطفون مع النَّبي (صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم).

المبحث الأول المدرسة البريطانية:

1- نبذة عن تطور الاستشراق البريطاني:

بدأت الدراسات الاستشراقية في بريطانيا منذ زمن طويل، وكان هناك عدد كبير من علماء القرون الوسطى الذين اهتموا بدراسة اللغة العربية وآدابها بالدرجة الأولى،وذلك لفهم وترجمة القرآن الكريم،ثم تفرعت لتشمل جميع النواحي المختلفة الحضارية،والسياسية، والفلسفية،والدينية،والاقتصادية وغيرها؛ولكن كل مدرسة استشراقية كانت تتميز عن غيرها في دراستها للتراث العربي الإسلامي.

ولو عدنا إلى المدرسة البريطانية التي ينتمي إليها صاحب هذه الدراسة (مونتجمري وات)، فإننا نجدها تتميز بالفهم العميق والتحليل الواسع والدقة الواضحة،وهي أكثر المدارس صلة بالشرق؛وبخاصة الشرق الأوسط والشرق الأقصى، وكانت صلات بريطانيا بالشرق قوية أكثر عن طريق الاتصالات الثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية، وكانت المدرسة الإنجليزية وثيقة الصلة بمنطقة الخليج والعراق وفلسطين ومصر، بالإضافة إلى صلاتها الوطيدة بالهند، والإسلام في المنطقة الهندية له تراث عريق، ولا يمكن إغفال تلك البلاد الهندية في إغناء الفكر الإسلامي.[1]

لا يختلف اهتمام المدرسة البريطانية عن باقي المدارس الاستشرقية الأخرى، فكانت دراسات البريطانيين للإسلام منذ وقت مبكر وخاصة في **القرون الوسطى**،وقاموا خلالها بترجمة علوم اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية وإلى اللاتنية، وكان الهدف من وراء ذلك هو فهم الدين الإسلامي من جهة ،ونقل التراث العربي والإسلامي من جهة أخرى إلى أوروبا. يقول محمد فاروق النبهان :"قام "روبرت أوف تشستر Robert of Chester " بالتعاون مع شخص آخر،بأول ترجمة للقرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللاتينية سنة 1143"[2].

---

[1] محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، مفهومه، مدارسه، آثاره)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، (الرباط- المملكة المغربية)، ط1،1433هـ/2012م، ص: 26.

[2] ميشال جحا، (الدراسات العربية و الإسلامية في أوربا)، مراجعة يحي حمود الصادر عن مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، بيروت- لبنان ،العدد 31 مارس 1983 ، ص 183.

كان أول اهتمام الاستشراق البريطاني دراسة اللغة العربية وفهمها، ثم تطور هذا الاهتمام ليشمل نواحي أخرى منها احتلال واستغلال المناطق العربية.يشار إلى المدرسة الإنجليزية بالواقعية الليبرالية أو بالمدرسة الاجتماعية الدولية أو المؤسساتية الإنجليزية ،ولأجل هذا الغرض بدأ الاهتمام بالدراسات الشرقية الأكاديمية في بريطانيا باكرًا؛ وذلك عندما أسَّس السير" توماس آدمز " كرسيَّ الدراسات العربية في كمبريدج عام 1632م،وأسَّس كرسيًّا آخر في أكسفورد عام 1636م. زاد الاهتمام البريطاني بشبه الجزيرة الهندية – بعد حرب السنوات السبع (1756 – 1763) – وأفولِ النفوذ الفرنسي هناك، وزيادةِ الاهتمام بالمنطقة العربية، وبالتالي الدراسات العربية، فمع انجلاءِ موقع الهند كتاجِ المستعمرات البريطانية. أصبح هدفُ لندن الإستراتيجي هو الحفاظَ على خطوط الاتصالات مع ذلك التاج والطرق المؤدية إليه ساخنة وأمينة وغير متقطعة وتحديدًا طريقي البحر الأحمر والخليج، ومن هنا فإن بريطانيا انخرطت بشكل أكبر في المنطقة العربية وبكل المجالات، ذلك أن تلك المنطقة هي المعبَر الطبيعي للهند، وكان أن سيطر الأسطول البريطاني على الخليج العربي،وكذا عدن كمحطات له؛ وتدخَّل في الشؤون الداخلية للمشيخات هناك، على حساب النفوذ الفرنسي الآفل؛ لضمان خطوط الاتصالات مع الهند[1].

إن إنشاء كراسٍ للغة العربية في الجامعات البريطانية في القرون الوسطى لخير دليل على أن المملكة المتحدة لم تكن بمنأى عن دراسة الشرق.يقول أحد الباحثين:"لقد بدأت الدراسات الاستشراقية في بريطانيا منذ وقت مبكر،فكان هناك عدد كبير من علماء القرون الوسطى الذين اهتموا بدراسة اللغة العربية و آدابها "[2]. ومن المستشرقين الذين اهتموا بدراسة اللغة العربية وآدابها فيما بعد نجد (أدورد أوف باث Edward of Bath)،الذي قام بتأسيس أول كرسي للدراسات العربية في جامعة كمبردج عام 1623م، وأول كرسي للدراسات العربية في جامعة وأكسفورد سنة 1626م"[3].

[1] أنور محمود زناتي، مدارس الاستشراق، المدرسة البريطانية ،شبكة الألوكة. انظر الموقع:
https://www.alukah.net/web/anwar-zanaty/12057/48814 / تاريخ المراجعة:2019/05/04.، التوقيت:10:30.

[2] محسن راشد طرم، (الجوانب المظلمة في كتابات المستشرقين البريطانيين في السيرة النبوية)، جامعة ذي قار كلية التربية، قسم التاريخ، العدد 2،المجلد:4، أيلول 2008، ص 115.

[3] سعدون محمود الساموك، الوجيز في علم الإستشراق ،دار المناهج، عمان الأردن، ط1، 2003م ،ص: 135.

لقد تقاسمت فرنسا وبريطانيا فيما بينهم مناطق الشرق،فكان اهتمام فرنسا بشمال إفريقيا وغربها،أما بريطانيا فركزت على الخليج العربي و الهند وأجزاء من آسيا ،وكانت هناك تقاسمات ومصالح مشتركة بينهما لعبت أدوار مختلفة في احتلال البلدان العربية مثل فلسطين ومصر. يقول محمد فاروق النبهان: "وإذا كانت المدرسة الفرنسية تجد في إفريقيا الشمالية ساحة رحبة لاهتماماتها، وتدرس الحضارة الإسلامية من خلال تاريخ هذه المنطقة، فإن المدرسة الإنجليزية تبحث عن الحضارة الإسلامية في المنطقة الإسلامية من آسيا في الهند والصين والعراق وفلسطين"[1].

لعب المستشرقون دورا هاما في احتلال البلدان العربية وذلك من خلال المعلومات التي كانوا يقدمونها لبلدانهم،والمعروف أن بريطانيا احتلت عمليًّا مناطقَ من الخليج وعدن، ثم لاحقًا مصر (1881 - 1882)؛ للسيطرة على قناة السويس والعراق أيضًا، تحت ذرائع الوصول الآمن إلى الهند،وأثناء كل هذا النشاط العسكري والسياسي الذي لا يهدأُ؛ تطوَّرت أجيالٌ من المستشرقين البريطانيين الذين انخرطوا في جهد الإمبراطورية الاستعماري في المنطقة بشكل أو بآخر"[2] .

لقد عَمِل بعض هؤلاء المستشرقين يدًا بيدٍ مع أجهزة الاستخبارات البريطانية؛ لتحقيق مهمات سياسية وأمنية تسهل لهم الطريق في فهم الشرق من جميع النواحي، الدينية واللغوية والأدبية والثقافية وغيرها، ومن الأمثلة على ذلك؛ بروفيسور اللغة العربية واللغات الآسيوية في (كامبريدج بالمر)، الذي أتقن العربية البدوية، والفارسية، والهندوسية، وهو في العشرينيات من عمره، وقد أرسله رئيس الوزراء البريطاني آنذاك (جلادستون) في مهمة إلى بدو مصر، من أجلِ قطع عَلاقاتهم مع العناصر الوطنية وحركة عرابي باشا، وكان يعمل مع قائدِ الجيش البريطاني في مصرَ، لكن كانت نهايتُه على يدِ البدو المصريين أنفسِهم الذين قتلوه، ومعه زمرة من العسكريين البريطانيين سنة 1882"[3] .

---

[1] المرجع السابق،محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، مفهومه، مدارسه، آثاره)، ص: 27.

[2] أنور محمود زناتي، مدارس الاستشراق، المدرسة البريطانية ،شبكة الألوكة. انظر الموقع:
https://www.alukah.net/web/anwar-zanaty/12057/48814 / تاريخ المراجعة:2019/05/04.، التوقيت:10:30.

[3] المرجع نفسه ،تاريخ المراجعة:2019/05/04.، التوقيت:10:00.

لقد تطورت المدارس الاستشراقية في أوروبا بعد عصر النهضة فازدهرتِ الدراسات الاستشراقية، لا سيما بعد حملة نابليون على مصر عام 1798م؛ حيث تلا ذلك اهتمامُ الإنجليز بمَيْدان الاستشراق نتيجةَ طابعِ المنافسة التي اتَّسم بها العصر بين الدولتين آنذاك،وقد تناول الاستشراق البريطاني سائرَ مناحي المعرفة الشرقية وتخصص فيها؛ من لغات، وآداب، وعلوم، وفنون، وتاريخ، وآثار، وكان على رأس المهتمِّين بالدراسات العربية "سيمون أوكلي "الذي تولَّى مهمَّة تدريس اللغة العربية في جامعة كمبريدج 1711، وألَّف كتابه الشهير(تاريخ المسلمين)، الذي تناول التاريخ الثقافي والسياسي للإسلام[1].

بعدما تطورت الجامعات الانجليزية أخذت تنشئ أقساما خاصةً للدراسات الشرقية،ومعظم الجامعات الإنجليزية اليوم تدرس اللغات والدراسات الشرقية، وأصبحت هذه الجامعات تتوسع وتنشئ معاهد وكليات تابعة لها في إفريقيا،وفي معظم البلدان العربية والإسلامية.

في مطلع القرن الثامن عشر برز"جورج سيل George Sell "(1697م - 1736م)،ووضع أشهر ترجمة لمعاني القرآن الكريم ظهرت سنة 1734.ولعبت أعماله دورا هاما في خلق فكرة واضحة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم و عن العرب"[2].

وأصبحت ترجمتُه المرجعَ الأساسيَّ للترجَمات الواردة بعده لسنوات،كما خلفت هذه الترجمة حركة واسعة للتعرُّف على الثقافة الإسلامية، وبيان خصائصها الإيجابية،والتعرف بصورة مختلفة على نبي الإسلام، والجدير بالذكر أن هذه الدراسات كانت مَشُوبة بالخيال والأسطورة حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. [3]

---

[1] المرجع السابق ،محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، مفهومه، مدارسه، آثاره)، ص: 28.

[2] ميشال جحا، الدراسات العربية و الاسلامية في أوربا ، مراجعة يحي حمود، الصادر عن مجلة الانماء العربي للعلوم الانسانية ،بيروت- لبنان ،العدد :31 ،يناير مارس 1983 ، ص 183 بتصرف.

[3] أنور محمود زناتي، مدارس الاستشراق، المدرسة البريطانية ،شبكة الألوكة. انظر الموقع:
https://www.alukah.net/web/anwar- zanaty/12057/48814 /تاريخ المراجعة:2019/05/04.،التوقيت: 11:00 بتصرف.

في القرن التاسع عشر ميلادي بدأت تظهر على كتابات المستشرقين البريطانيين سمات مغايرة نسبيا عن القرون السابقة، فحدث حينها تطور لدى هؤلاء المستشرقين،وبدءوا بالتعامل مع التاريخ الإسلامي بشيء من الواقعية والإنصاف لدى عدد كبير منهم.[1] على الرغم من ذلك لم تخل كتابات المستشرقين البريطانيين من التعرض السيئ للتاريخ الإسلامي، وإن تغير البعض منهم، من التهجم الواضح إلى الدس و التشكيك و التخيل البعيد عن الواقع عند تحدثهم عن التاريخ الإسلامي.[2]

وفي هذاالقرن انتشرت حركة الاستعمار العالمي وأصبحت بريطانيا أكبر قوة استعمارية في العالم،ووقعت أجزاء كبيرة من الشرق و من العالم الإسلامي تحت الاستعمار البريطاني. ومع استمرار الدوافع الدينية و الاقتصادية للاستشراق، تميز القرنان التاسع عشر و العشرون بالدافع الاستعماري. فأسست" جمعية البنغال الأسيوية" ثم بعد ذلك " الجمعية الملكية الآسيوية" التي اهتمت بجمع المخطوطات الشرقية [3] .

ازداد نشاط المستشرقين البريطانيين في القرن التاسع عشر ميلادي ازديادا ملحوظا،برز هذا الاهتمام في إصدار المعاجم وتأليف الكتب بشكل لافت للنظر في مراكز ومؤسسات أُنشِأت خصيصا لفهم الإسلام ودراسة اللغة العربية ومفرداتها، ومن هؤلاء المستشرقين نجد:

- "مرجوليوث" (1858-1940) أستاذ اللغة العربية في جامعة إكسفورد ، من أبرز ما قدمه نشره لكتاب " معجم الأدباء" لياقوت الحموي .
- " رينولد ألن نكلسن (1868-1945) يعد حجة في التصوف الإسلامي. من مؤلفاته "متصوفو الإسلام ".[4]

---

[1] محسن راشد طريم، الجوانب المظلمة في كتابات المستشرقين البريطانيين في السيرة النبوية، جامعة ذي قار كلية التربية، قسم التاريخ، العدد 2، المجلد 4، أيلول 2008، ص:116.

[2] المرجع نفسه، ص:116.

[3] المرجع السابق ،مازن المطبقاني،الاستشراق، ص: 30.

[4] المرجع السابق ،ميشال جحا، الدراسات العربية و الاسلامية في أوربا ، ص: 183.

ومما ساعد على نموِّ الدراسات الاستشراقية وازدهارها في بريطانيا: تكوينُ الجمعيات والمجلات المتخصصة، وظهورُ عددٍ من المتخصصين في الدراسات الاستشراقية؛ مثل" إدوارد وليم لين (1801 1876) صاحب كتاب: (في أخلاق وعادات المصريين الحديثين) ، وهو من أهم مستشرقي إنجلترا وأوروبا في القرن التاسع عشر، وقد ترجم أيضًا: ألف ليلة وليلة إلى الإنجليزية بدقَّة"[1].

ومن بعده جاء" إدوارد هنري بالمر(1882 - 1840) "، الذي عكف على دراسة اللغة العربية، وكان يقول عنها: إنها أحبُّ اللغات إلى نفسه، ومن العلماء البارزين في حقل الدراسات العربية" :وليم رايت(1889 - 1830) "، الذي درس اللغة العربية، وعَمِل مدة في مدينة ليدن Leiden الهولندية مع المستشرق الهولندي الشهير دوزي، وعيِّن أستاذًا للغة"[2].

ثم تطورت الدراسات الأدبية في المدرسة البريطانية بقدوم "هاملتون جيبHamilton pocket " الذي ولد بالإسكندرية عام 1895م، الذي قام بالاهتمام بتاريخ الثقافة العربية، وأشرف على الدراسات العربية في جامعتي لندن وأكسفورد، وكتب عن الاتجاهات الحديثة في الإسلام، وعن التفكير الديني في الإسلام، وعن الحضارة الإسلامية، وعن فتوحات المسلمين في آسيا الوسطى وعن الحملات الصليبية، وعن النظرية الإسلامية عند ابن خلدون[3].

تبرز في كتابات هاملتون روح التعصب،فهو يمثل شخصية المستشرق الذي يوجه أداته في البحث لتحقيق أحكام مسبقة، وكان دائما يحرص على انتقاص أثر العرب في بناء حضارتهم،والتقليل من دورهم في تطور الذي حصل للغرب،والإشادة بأثر الترجمة عن اليونان في نهضة العرب العلمية.

وبلغتِ الدراسات العربية عند البريطانيين في السنوات الأولى من القرن العشرين مرحلةً متقدِّمة، وأنشِئتْ في جامعة لندن كليةٌ جديدة، خصِّصت لدراسة اللغات الشرقية ، وتبوَّأ السير توماس أرنولد

---

[1] أنور محمود زناتي، مدارس الاستشراق، المدرسة البريطانية ،شبكة الألوكة. أنظر الموقع:
https://www.alukah.net/web/anwar-zanaty/12057/48814 / تاريخ المراجعة:2019/05/04.، التوقيت:10:30.

[2] المرجع نفسه، تاريخ المراجعة:2019/05/04.، التوقيت:13:30.

[3] المرجع نفسه، تاريخ المراجعة:2019/05/04.، التوقيت:12:30 بتصرف.

Sir Thomas Walker Arnold (1864م – 1930م) أول كرسي للأستاذية في قسم الدراسات العربية والإسلامية، وبدأ" أرنولد "حياته العلمية في جامعة كامبريدج؛ حيث أظهر حُبَّه للغات فتعلَّم العربية، وانتقل للعمل باحثًا في جامعة "علي أكرا " في الهند؛ حيث أمضى هناك عشر سنوات، ألَّف خلالها كتابه المشهور :(الدعوة إلى الإسلام)، ثم عمل أستاذًا للفلسفة في جامعة لاهور، وفي عام 1904م عاد إلى لندن ليصبح أمينًا مساعدًا لمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وعمل في الوقت نفسه أستاذًا غير متفرِّغ في جامعة لندن، واختير عام 1909م ليكونَ مشرفًا عامًّا على الطلاب الهنود في بريطانيا"[1] .

من المهامِّ العلمية التي شارك فيها عضويةُ هيئة تحرير الموسوعة الإسلامية التي صدرت في ليدن Leiden بهولندا في طبعتها الأولى، والتحق بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن بعد تأسيسها عام 1916م، وعمل أستاذًا زائرًا في الجامعة المصرية عام 1930م، له عدة مؤلفات بجانب كتابه: الدعوة إلى الإسلام، ومنها: (الخلافة)، وكتاب حول العقيدة الإسلامية،بالإضافة إلى العديد من البحوث في الفنون الإسلامية"[2].

تصاعدت أهمية المستعربين البريطانيين في الربع الأول من القرن العشرين؛ توازيًا مع زيادة أهمية النفوذ البريطاني الاستعماري في الشرق الأوسط؛ فقد احتاجتِ الإمبراطورية إلى التعرف على المنطقة التي صارت تنخرط في كل زواياها، فجندت خبراء في كلِّ المجالات لدراسة المنطقة وتقديم المشورة الضرورية، لكن الجهد الرسمي لم يبدأ من الصفر وبعد الحرب العالمية الثانية تضافرت الجهود بين الأمريكان والبريطانيين في إنشاء تحالفات قوية للسيطرة على الشرق الأوسط من خلال السيطرة على القدس وذلك بوضع جسم غريب فيها أقصد بذلك احتلال اليهود لفلسطين وبعض الدول العربية وللأسف الفضل يعود لتلك الدول الغربية المتحالفة وإلى الدراسات الاستراجية" [3].

---

[1] أنور محمود زناتي، مدارس الاستشراق، المدرسة البريطانية ،شبكة الألوكة. انظر الموقع:
https://www.alukah.net/web/anwar-zanaty/12057/48814 / تاريخ المراجعة:2019/05/04.، التوقيت:14:00.

[2] المرجع نفسه تاريخ المراجعة:2019/05/04.، التوقيت:14:30. .

3 المرجع نفسه تاريخ المراجعة:2019/05/04.، التوقيت:15:00. بتصرف.

صدر تقرير حكومي بريطاني بأن جامعة كمبردج و أكسفورد ولندن ساهمت في الاهتمام بالمستعمرات البريطانية السابقة وساعدت على إنشاء مدارس خاصة بها،وقد حدد هذا التقرير بعد ذلك على المجالات التي يجب أن تهتم بها هذه الدراسات الاستشراقية وهي:

- الترجمة :حيث لا يزال كثير من الكتابات في اللغات العربية و الهندية تحتاج إلى الترجمة .
- الاهتمام بالتاريخ : تساعد الدراسات التاريخية في فهم الأحداث في الدول الأجنبية،وتمنع تعرض الجمهور للصدمات و المفاجآت ،و كذلك يستطيع المسؤولون التعامل معها.
- الاهتمام باللغة و المعاجم.
- العلوم الاجتماعية :و قد أسس لهذا الغرض "المجلس الاستعماري لبحوث العلوم الاجتماعية" من قبل مكتب المستعمرات لمراجعة الاحتياجات و الأموال اللازمة للبحوث.
- العلوم البحتة : بالإضافة إلى الاهتمام بالأعمال العلمية في روسيا و الصين فمازالت الحاجة قائمة لمعرفة أكثر عمقا بالإنجازات العلمية للعلماء الشرقيين القدامى.

وقد تم تعيين أساتذة من هذه الدول ليقدموا معلومات حديثة عن بلادهم ولغتهم[1]. وكان في مقدمتهم:

1- المستشرق وليم موير " William Muir "(1819-1905م):

مستشرق بريطاني اسكتلندي الأصل، ولد في جلاسجو.إن هذا المستشرق كان من كبار الموظفين في حكومة الهند الشرقية وعلى الصعيد الفكري، أنجز هذا المستشرق كتب عدة منها حياة محمد و تاريخ الإسلام "The life of mohamet and History of Islam" في لندن عام 1856-1861"[2].

اتهم المستشرق موير من قبل بعض الباحثين العرب بتعصبه الديني في حين برأه آخرون من

[1] مازن صلاح مطبقاني ، الاستشراق و الاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،السعودية، ط1،1416هـ ،ص 34/33.

[2] فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى الاستشراق المعاصر و علم الحديث، الدراسات الإسلامية المعاصرة، الرياض – السعودية،دط،1433هـ ، ص 129.

هذه التّهم وهذا الخلاف ربما يعود للأخطاء التي وقع فيها من خلال كتابته عن الإسلام.

وتعد مؤلفاته عن الرسول صلى الله عليه و سلم و عن التاريخ الإسلامي من المراجع التي يرجع إليها في الجامعات الإنجليزية والهندية"[1].

2- المستشرق غوتييه جوينبول " Gautier. H. A. Juynboll" (1935- 2010):

مستشرق هولندي معاصر من أشهر المستشرقين المعاصرين المهتمين بدراسة الإسلام عامة، و علم الحديث خاصة، بعد جولدتسيهر و شاخت. حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة ليدن، عام 1960 م، و عمل في جامعة ليدن في هولندا، وجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، و جامعة إكستر في بريطانيا ،نشر عددا من المقالات في دائرة المعارف الإسلامية، و من أشهر جهوده في علم الحديث ما يأتي:

- كتاب أصالة الحديث: مناقشات في مصر الحديثة.
- كتاب الأحاديث النبوية: دراسات في تاريخ السنة و بواكير التأليف في الحديث.
- ترجمة مقدمة شرح صحيح مسلم.
- كتاب: دراسة في نشأة الحديث الإسلامي و استعمالاته.
- موسوعة الأحاديث النبوية "Encyclopedia of the Canonical Hadit " [2].

3- المستشرق ألفرد جليوم "Alfred Guillaume "(1888م- 1965م):

يعد المستشرق الإنجليزي ألفرد جليوم من أبرز مستشرقي هذه المدرسة وأحد رموزها ،عرف البريطاني ألفريد جيوم بتعصبه وعدائه الكبير ضد الإسلام تخرج من جامعة إكسفورد، حيث درس اللاهوت و اللغات الشرقية، كان أشتاد اللغة العربية في معهد الدراسات العربية و الإفريقية في جامعة لندن.

[1] فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى الاستشراق المعاصر و علم الحديث، الدراسات الإسلامية المعاصرة، الرياض – السعودية، دط،1433 هـ، ص 130 .

[2] المرجع نفسه، ص 152-153 .

من آثاره: كتاب الحديث في الإسلام الذي نشره باللغة الإنجليزية في أكسفورد. و أثر اليهودية في الإسلام (1927م)، و كتاب الإسلام "Islam " الذي طبع عام 1950م، و كتاب حياة محمد."[1]

4- المستشرق جيمس روبسون "James Robson "(1890-1981م):

مستشرق بريطاني إسكتلندي من مدينة جلاسكو في بريطانيا، عُين محاضرا للغة العربية في جامعة جلاسكو عام 1928-1948م.لهذا المستشرق عناية خاصة بعلم الحديث، فقد عمل على تحقيق كتاب المدخل إلى علم الحديث، و هو كاتب مقالة " حديث"و غيره من المقالات المتخصصة في علم الحديث في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية.قد نشر هذا المستشرق الكثير من المؤلفات بلغت ثمانية عشر بحثا متخصصا في علم الحديث باللغة الإنجليزية"[2].

6- المستشرق جون بيرتون "John Burton ":

مستشرق بريطاني اسكتلندي معاصر، كان أستاذ الدراسات الإسلامية و العربية، في جامعة إدنبره في اسكتلندا،له عدد كبير من الكتب حول الشرق و من مؤلفاته:جمع القرآن الذي نشرته جامعة كمبردج، ومقدمة في علم الحديث الذي نشرته جامعة إدنبرة في 240 صفحة، عام 1995م.[3]

بعد **القرن العشرين** توسعت دائرة المدرسة البريطانية في شتى العالم؛ فأخذت الجامعات الإنجليزية تنشئ أقساما متخصصة للدراسات الشرقية ،ومعظم الجامعات الإنجليزية اليوم تدرس اللغات

[1] المرجع السابق، فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني، (مدخل إلى الاستشراق المعاصر و علم الحديث)، ص: 137.
[2] المرجع نفسه، ص 142/141.
[3] المرجع نفسه، ص154

والدراسات الشرقية،ثم أخذت الجامعات تنشئ مدارس وكليات تابعة لها في إفريقيا والبلاد العربية والإسلامية والتي من بينها مصر وتركيا والهند وباكستان"[1].

من الطبيعي أن المدرسة الإنجليزية كانت تبدي اهتمامها بالمناطق الجغرافية التي كانت تسيطر عليها،وحاولت جاهدة فهم التنوع الديني والإيديولوجي لكل منطقة،وسعت عبر جهود مضنية إلى الجمع والتحقيق في تراث مستعمراتها.

لو أردنا معرفة التطور الكبير التي شهدته هذه المدرسة البريطانية عبر العصور نجدها:

أ- تناولت شتى مناحي لمعرفة الشرق في لغاته وآدابه وعلومه وفنونه وعقائده وتاريخه وآثاره.

ب- ارتبط الاستشراق البريطاني أكثر من غيره بالدوافع الاستعمارية .

ت- كثرة الجمعيات و المجلات التي تهتم بالشرق.

ث- إنشاء مدراس استشراقية في البلدان العربية ،خاصة في الشرق الأوسط.

ومن أشهر أعلامها:

وليم بدويل "William Bedwell"(1561م – 1632م)، توماس كارليل"Thomas Carlyle " (1795م – 1881م) اللورد كتشنر"Lord Kitchener "(1850م- 1916م)، السير جيمس وليم "Sir James William" (1811م – 1892م)، مرجليوث "Marglyouth "أستاذ طه حسين(1858م – 1940م).توماس أرنولد "Thomas Arnold" (1864م – 1930م).مونتجمري وات "Montgomery Wat" (14مارس 1909 - 24 أكتوبر 2006). ومن مؤلفاته :"محمد في مكة" و"محمد في المدينة" و"محمد نبي ورجل دولة"،وكتاب الفلسفة الإسلامية والعقيدة،وكتاب الفكر السياسي الإسلامي، وكتاب تأثير الإسلام في أوروبا القرون الوسطى ،وكتاب الأصولية الإسلامية والتحديث ،وكتاب العلاقات الإسلامية النصرانية.

[1] المرجع السابق،محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، مفهومه، مدارسه، آثاره)، ص: 28.

2- خصائص المدرسة البريطانية الاستشراقية:

1- ارتبط الاستشراق البريطاني بالحركة الاستعمارية، وحاول ترسيخ السياسات الاستعمارية الإنجليزية في الشرق.

2- الاهتمام باللغة العربية؛ نظرًا لمصالح بريطانيا الاقتصادية والسياسية التي تربطها بالعالم العربي.

3- تتصف هذه المدرسة بالتعدُّد والشمول في سائر الدراسات الشرقية" آداب - تاريخ - فلسفة - علوم - فنون وعمارة وآثار."

4- اتسمت أيضًا بالتخصصية الدقيقة، فكلُّ مستشرقٍ له تخصُّصه الدقيق في أحد مجالات المعرفة الشرقية"[1].

ما نميزه في الاستشراق البريطاني أنه كان ذو طابع استعماري للدول العربية والإسلامية ،ولا يزال النفوذ البريطاني موجودا لحد آن،يتحكم في قرارات دول الشرق الأوسط،بل ومازالو يصممون ويخططون لمستقبل البلدان العربية،وكل الفضل يعود إلى الدراسات الاستشراقية،محاولة منهم الإلمام بشتى الجوانب التاريخية والحضارية لتلك البلدان.

ما تتميز به بريطانيا اليوم هو إحكام السيطرة على الشرق الأوسط،والمساهمة في التخطيط لجغرافية الدول ورسم حدودها،وبث الصراع بين الدول ونشر الفتن بين الأقليات،وقد تحالفت المملكة المتحدة مع دول أخرى على قيام دولة الكيان الصهيوني مكان دولة فلسطين،وسيطرة هذا الورم الخبيث على أجزاء من أراضي البلدان العربية مثل سوريا ولبنان،وتشارك اليوم مع دول الكبرى وبعض دول المنطقة في تدمير بعض الدول العربية وتقسيمها إلى أقاليم ومقاطعات،لتحل محلها في الشرق الأوسط سايكس بيكو الجديدة.

كل هذا التغيير يعود للدراسات الاستشراقية البريطانية التي خدمت مصالح المملكة المتحدة

---

[1] أنور محمود زناتي، مدارس الاستشراق، المدرسة البريطانية ،شبكة الألوكة. أنظر الموقع:
https://www.alukah.net/web/anwar-zanaty/12057/48814 /تاريخالمراجعة:2019/05/04، التوقيت:10:30بتصرف.

وكان اهتمامها بالتبشير أولا، فالاستشراق البريطاني يعتبر أداة كبيرة في يد الاستعمار، لأن المستشرقين الإنجليز كانوا يعملون في كل القطاعات التي تقدم خدمت الاستعمار البريطاني، فقد أدت الشركة الهند الشرقية البريطانية دورا كبيرا في استثمار المستشرقين الذين كانوا يقدمون لها البحوث الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على المنطقة العربية "[1].

قامت بريطانيا في وقت مبكر بدراسة اللغة العربية من خلال إنشاء معاهد وأقسام ومراكز دراسات تعنى باللغة العربية والتعرف على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ،والبحث العميق في الإسلام، وهذا لأجل غاية واحدة وهو السيطرة على الشعوب العربية الإسلامية خاصة في الشرق الأوسط، وقد تلقت هذه الدراسات دعما حكوميا واسعا،لأن تلك الأبحاث تعود عليها بالنفع الكبير في مختلف المجالات،فقد تزايد تورط بريطانيا في البلاد العربية بسبب مصالحها الاقتصادية والسياسية والإستراتجية في شرق البحر الأبيض المتوسط والمناطق الغنية بالنفط ،فمن نتائج ذلك التورط زيادة اهتمام الأوساط الحكومية والأكاديمية بدراسة اللغة العربية، وكذلك مثلا تأسيس "كلية الدراسات الشرقية والإفريقية" في جامعة لندن سنة (1917) وتأسيس "مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية" على يد الحكومة البريطانية..."[2].

3- أهم الجامعات البريطانية التي تهتم بالدراسات الاستشراقية:

تخصصت كل جامعة من الجامعات البريطانية في درساتها الشرقية،وتفرعت أبحاثها الاستشراقية فنجد مثلا:

1- جامعة "أكسفورد" وفيها كلية الدراسات الشرقية ومركز الشرق الأوسط ،وتعتني بتدريس مواضيع حديثة حول الشرق الأوسط والأدب العربي الحديث.

2- جامعة "كمبردج" وتحوي مركز الشرق الأوسط،تعتني بالدراسات العربية المعاصرة.

---

[1] سعدون محمود الساموك، الوجيز في علم الإستشراق ،دار المناهج، عمان الأردن، ط1، 2003م ،ص: 35 بتصرف.

[2] المصدر نفسه، ص: 35.

3- جامعة "أدنبرة" وتعتني باللغات السامية،والفن الإسلامي وتاريخ العرب.

4- جامعة "دورهام" تركز هذه الجامعة على اللغة العربية الحديثة والأدب العربي الحديث.

5- جامعة "لندن" وفيها معهد الدراسات الشرقية الإفريقية.

6- جامعة "مانشستر" تهتم بتدريس اللغة العربية والأدب العربي المعاصر.[1]

4- دائرة المعارف البريطانية British Knowledge Service:

دائرة المعارف البريطانية (Department of British Knowledge) أو ما يعرف بالموسوعة البريطانية (Britannica Encyclopaedia) موسوعة عامة باللغة الإنجليزية،يشرف عليها مجموعة من المستشرقين تهتم كثيرا بالتراث الإسلامي بدأ صدورها عام 1768م ،وتعدّ الموسوعة البريطانية أكبر الموسوعات المكتوبة بالإنجليزية وأوفرها شهرة.إذ حرصت منذ بدايتها الأولى على جذب أشهر العلماء،وكتب فيها عدد ممن حصلوا على جائزة نوبل بفروعها المختلفة.إضافة إلى آلاف الصور والوسائط المتعددة،وكانت قد طبعت لأول مرة في إدنبرة بأسكتلندا في ثلاثة أجزاء تتألف من 2659 صفحة، صدرت كاملة عام 1771 م، ثم طبعت بعد ذلك خمس عشرة طبعة صدرت الطبعة ما قبل الأخيرة من شيكاغو بأمريكا بعدما نقلت ملكيتها إلى وليام بنتون عام1941 وصدرت الطبعة الخامسة عشرة والأخيرة عام 1952 م روجعت عام 1985 م"[2]. اختلفت الآراء والتوجهات في دائرة المعارف حول الإسلام ونبيه،وذلك راجع إلى طبيعة كل مستشرق مشارك فيها. جاء في الطبعة الحادية عشرة،في دائرة المعارف البريطانية أن محمدا أظهر الشخصيات الدينية العظيمة،وأكثرها نجاحا و توفيقا. ظهر النبي في وقت كان العرب فيه في الحضيض، فما كانت لهم تقاليد دينية محترمة، و لا قوانين مدنية أو سياسية أو اجتماعية، ولم يكن لهم ما يفاخرون به من الفن و العلوم، و ما كانوا على اتصال بالعالم الخارجي، و كانوا مفككين لا رابطة بينهم.كل قبيلة وحدة مستقلة. وكل منها في قتال مع الأخرى، حاول اليهود أن يهدوهم فما استطاعوا و باءت محاولات المسيحية بالخيبة كما خابت

---

[1] المرجع السابق،سعدون الساموك، ص: 158-159.

[2] ينظر:وليد بن بلهيش العمري السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف،المدينة المنورة،السعودية ،دط،دت،ص:03.

جميع المحاولات السابقة للإصلاح، ولكن ظهر محمد صلى الله عليه و سلم الذي أرسل هدى للعالمين، فاستطاع في سنوات معدودة أن يقتلع العادات الفاسدة من جزيرة العرب، و أن يرفعها من الوثنية المنحطة إلى التوحيد، و حول أبناء العرب الذين كانوا أنصاف برابرة إلى طريق الهدى والفرقان،فأصبحوا دعاة هدى و رشاد"[1].

ذكرت دائرة المعارف البريطانية مجموعة من الخصائص والمميزات عن الرسول صلى الله عليه وسلم، نجملها فيما يلي :

1- أنه أرسل إلى العالم كافة، بينما كانت الرسالات الاخرى الى أقوام مُعيَّنين.

2- لقد كان هدف الرسالات السابقة السمو بطبيعة من طبائع البشر المتعددة ،فكان لكل نبي من الأنبياء آية في صفحة واحدة من الصفحات، لكن النبي محمد صلى الله عليه و سلم كان آية في كل السجايا.

3- إن ميزة النبي العظمى هي وضع أساس السلم العالمي، فهو لم يضع الأسس التي يعيش الأفراد بمقتضاها في سلام جنبا إلى جنب فحسب،بل علمهم كيف تعيش القبائل و الشعوب في سلام و وئام[2].

أشادت دائرة المعارف البريطانية في طبعتها الحادية عشرة ،بالفتح العظيم الذي أحدثه النبي صلى الله عليه وسلم في العالم والمتمثلة في نشر رسالة الإسلام،وأشارت إلى المكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها بين قومه،والفتوحات التي حققها في وقت كان العرب في صراعات دائمة مع بعضهم ومع غيرهم،أصبحوا أسيادا ودعاة للهدى والرشاد .

---

[1] محمد موسى ،تنزيل مقاصد الشرع وتعميق محبة الرسول صلى الله عليه و سلم ،المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية ،مركز البحوث والدراسات الاستشراقية،الخرطوم –السودان ،الكتاب الخامس، 2013، ص:282.

[2] المصدر نفسه،ص:283.

المبحث الثاني: المستشرقون البريطانيون الحاقدون على النبي (صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم)

هناك مستشرقون عدّوا الدين الإسلامي مزيجاً من ديانات سابقةٍ، محاولين التشكيك في أصالة المصادر الإسلامية،والحط من قيمة النبي صلى الله عليه وسلم،وإنكار لنبوته وفضله على البشرية،فبعض المستشرقين يتهمونه بالكذب،ومنهم من ينعته بالجنون،ومنهم من يصوره برجل شهواني محب للنساء ،ومنهم من وصفه بالمتعصب وسفك الدماء،دون استناد لأي دليل واضح أومنهج علمي صحيح.ولو عدنا إلى طبقة المستشرقين البريطانيين الحاقدين، فلعلنا نجد أبرزهم:

1.ألفريد جيوم (A.Geom)[1]:

عرف البريطاني "ألفريد جيوم" بتعصبه وعدائه الكبير ضد الإسلام،وهو نموذج للاستشراق البريطاني الحاقد،وله نشاط متعصب ضد الإسلام والمسلمين.ولعل ذلك يظهر في مطالبته لزميله مونتجمري وات مؤلف كتاب (محمد في مكة) أن يكون موضوعيا، وأن يعتمد المنهجيه العلمية ولا يخرج عنها"[2].

لقد تعامل ألفريد جيوم مع الإسلام وسيرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتاريخه بمنهج لا يختلف عن سابقيه،ولم يخرج في ذلك عن الخط التقليدي للمستشرقين في التجني والافتراء وتزييف الحقائق.وعندما ألف مواطنه هاملتون جيب كتابه (المحمدية) أثار ذلك بعض الهيئات اليهودية،فلجأت تلك الهيئات إلى ألفريد جيوم فأخرج كتابه (الإسلام) ونشرته دار نشر يهودية، وبيع الكتاب بثمن زهيد لغرض الزيادة في سرعة انتشاره[3].

---

[1] ألفريد جيوم (A.Geom): ولد عام 1306هـ/1888م، درس وتخرج من جامعة أكسفورد، عمل في فرنسا ومصر خلال الحرب العالمية الأولى عام 1333هـ/1914م، تم تعينه محاضرا للغة العربية في المعهد الملكي بلندن، وأستاذا للغات الشرقية في جامعة درهام عام 1339هـ/. ينظر: نجيب العقيقي، (المستشرقون)، دار المعارف ،القاهرة، ط5، 2006 ، ج2،ص: 117/2، 118.

[2] نذير حمدان، (مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون)،مكتبة الصديق، (الطائف–المملكة العربية السعودية)،ط1، 1408هـ/1988م، ص: 231.

[3] أمل بنت عواض عبيد الثبيتي، (السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين –دراسة نقدية مقارنة، ماجستير)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (مكة– المملكة العربية السعودية)، 1424هـ، ص:64.

إن هدف "ألفريد جيوم" في بحثه لم يكن علميا أو حتى تجاريا ،بل كان واضحا وهو تشويه صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام في الوسط الغربي.ولا يقتصر على ذلك، بل إن تعصب ألفريد جيوم ضد الإسلام وميله الشديد لليهودية ظهر في غالب مؤلفاته إن لم نقل كلها، فقد ألف كتابا بعنوان: "(أثر اليهودية في الإسلام)، وآخر بعنوان: (اليهود والعرب)"[1].ومما يدعو للأسف أنه قد تتلمذ على يد جيوم عدد من طلاب البعثات المصرية حتى تخرجوا بإشرافه، بل إنه كان يحاضر في جامعات بيروت وتركيا[2].

كل هذه المؤلفات التي ذكرتها سابقا هي مصنفات خطيرة ومعادية للإسلام؛ ولكن أخطرها هو كتاب: (الإسلام) الذي يزعم فيه "جيوم" أن الرسول صلى الله عليه وسلم اقتبس الإسلام من التوراة والإنجيل، وهذا ما ردّده المستشرقون بعده على مرّ العصور، فليس "ألفريد جيوم" وأقرانه من المستشرقين إلا امتدادا لصورة نمطية وحقد متأصل في نفوس اليهود والنصارى على الإسلام والمسلمين،وخاصة على سيد الخلق وسراج الأمة محمد صلى الله عليه وسلم.وقاموا أيضا بإصدار مؤلفات طمست حقيقة الإسلام ،وذلك خوفا من تأثر المجتمع الغربي به.

قد تمت ترجمة كتاب: (الإسلام) إلى اللغة العربية على يد محمد مصطفى هدارة، وشوقي السكري (1375هـ/1955م)[3]. كان أول ما بدأ به "جيوم" افتراءاته على المصطفى صلى الله عليه وسلم هو التشكيك في صحة مصادر السيرة النبوية الشريفة،ويرى أن المصادر الإسلامية للسيرة وكتب الأحاديث النبوية لا تخلو من عنصر التهويل، فيقول: "لا يشك باحث لا يميل مع الهوى في أن عنصر التهويل كان بارزا في المصادر الإسلامية للسيرة والأحاديث، أحيانا كما يتمثل الكتاب، لا كما

---

[1] المرجع السابق،نذير حمدان، (مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون)، ص: 231

[2] المرجع السابق،أمل بنت عواض عبيد الثبيتي،(السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين –دراسة نقدية مقارنة، ماجستير)، 1424هـ، ص:64.

[3] المرجع نفسه، 1424هـ، ص:66/65.

كان بل كما يحبون أن يكون"[1].ومن افتراءاته كذلك التشكيك في القرآن الكريم، من ذلك ما قاله عن قصة أصحاب الفيل التي وصفها بالأسطورة كان الغرض منها هو أن مكة حيث الكعبة التي رفع قواعدها إبراهيم – [عليه الصلاة والسلام]- هي بيت الله، وأنه –جلا وعلا- قد أنقدها من الدمار"[2].ولا أظن في هذا السياق أن أيّ عاقل سيستغرب من قول جيوم- أقصد التشكيك في القرآن الكريم- كما أنه ليس من الغريب أن نجده سبق ذلك بتشكيكه في بقية مصادر السيرة النبوية.فالقرآن الكريم هو كلام الله غير مخلوق المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم بالوحي، وهو الذي تكفل بحفظه سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر-9]،وهو أول مصادر السيرة النبوية وأعظمها، إذ ذُكر وفي أكثر من سورة بعض أحداث سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، كولادته عيه الصلاة والسلام يتيما، وبداية الوحي، وحادثة الإسراء والمعراج، وأخلاقه عليه الصلاة وسلام، وفضائله، ومعجزاته، وهجرته، وبعض غزواته"[3].

كما تطرق "جيوم" للسنين الأولى من حياة النبي صلى الله عليه وسلم، إذ إنه لم يعتد بما جاءت به الروايات الإسلامية، وما أورده المحدثون في كتبهم، بل إنه لم ير بها أي صحة، ثم جاء بقصة واحدة وأقر بصدقها وصحتها بعد أن حرفها واعتبرها القصة الوحيدة الصحيحة عن السنوات الأولى لحياة رسولنا صلى الله عليه وسلم وهي موجودة في سيرة ابن إسحاق وغيرها إلا أن "جيوم" قام بتحويرها لخدمة أهدافه ومزاعمه المفتراة، ولقد ورد في مخطوطة سيرة "ابن اسحاق "كما يدعي "جيوم"، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنه أول من لامني على عبادة الأوثان ونهاني عن عبادة الأصنام. وكنت قد قدمت من الطائف مع زيد بن حارثة حين مررنا بزيد بن عمرو الذي كان

---

[1] المرجع السابق،أمل بنت عواض عبيد الثبيتي،(السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين –دراسة نقدية مقارنة، ماجستير)، ص: 133.

[2] المرجع نفسه، ص: 133.

[3] المرجع نفسه، ص: 134.

يعيش في مرتفعات مكة، والذي جعلت منه قريش عبرة لكل من تحدثه نفسه بترك دينهم. ثم إني قد جلست معه وقد كانت معي مزودة من لحم كنا سنقدمه قربانا لأصنامنا، وكان زيد بن حارثه هو الذي يحملها فأخذتها وقدمتها لزيد بن عمرو وقلت عليك بشيء من هذا الطعام يا عمي فأجاب: أليس ذلك جزءا من القرابين التي يتقربون بها إلى أصنامهم؟ فأجبته:نعم، فقال: يا ابن أخي، لو أنك سألت بنات عبد المطلب لذكرن لك أنني لا أقرب لحوم القرابين ليس لي رغبة في ذلك. ثم لامني على عبادة الأوثان، وأنحى باللائمة على أؤلئك الذين يعبدونها ويقدمون إليها القرابين.وقد استدل بها جيوم على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك عبادة الأوثان بعد تأثره بزيد بن عمرو بن فيل أحد الموحدين،الذي تأثر باليهودية والنصرانية على حد سواء"[1] جعل "جيوم" من هذه الحادثة الكاذبة دليلا يستدل به على عبادة الرسول الله صلى الله عليه وسلم للأوثان.

إن الافتراء الذي جاء به"جيوم" لم يعترف به أحد من عقلاء المستشرقين سواء من كانوا قبله أو من عاصروه ، لأن حتى الحاقدون من المستشرقين البريطانيين وغير البريطانيين أقروا ببراءة النبي صلى الله عليه وسلم من عبادة الأصنام.ونقول أيضا أن هذه الرواية التي اعتمد عليها "ألفريد جيوم" هي رواية محرفة ومصنوعة من نسج الخيال ولا يمكن للعقل أن يتقبلها.فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعبد وثنا ولم يسجد لصنم قط، وكان قبل البعثة مؤمنا موحدا لله سبحانه،وعندما كلفه الله بالرسالة قام بتحطيم الأصنام.

يتطلب على كل باحث في مقتضيات البحث العلمي الجاد التدقيق وفحص الروايات الأخرى المتعلقة بنفس الموضوع"[2]. اتفقت كل كتب الصحاح وكتب السيرة النبوية على أن رسول الله صلى

---

[1] المرجع السابق،أمل بنت عواض عبيد الثبيتي، (السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين –دراسة نقدية مقارنة، ماجستير)، ص: 136.

[2] عزيه طه، (من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد)، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، رمضان،جامعة الكويت،العدد 13،1409/1989م، ص: 55 بتصرف.

الله عليه وسلم لم يقر يوما في حياته عبادة الأصنام، ولم يتقرب لأي منها ولو بذبابة صغيرة، فلا حول ولا قوة إلا بالله من افتراءات هؤلاء المستشرقين. والملاحظ من خلال ما سبق من سلسلة هذه المزاعم التي أوردها جيوم حول صورة النبي صلى الله عليه وسلم ،أنها تعود إلى تلك النظرة العالقة المتبقية من الأحقاد الدينية ،طُبعت في قلوبهم وتملكتهم فأعمت بصائرهم عن رؤية الحق وتصديقه.

من العجب العجاب أن تجد هؤلاء المستشرقين أمثال "ألفريد جيوم" يستدلون بآيات من القرآن الكريم، فإن كانوا كذلك لماذا لا يستدلون بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف- 6،7،8،9]وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران – 144] وقوله تعالى:﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ

بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ [النساء- 163، 166].إن ما يثبت عكس مايدّعيه "ألفريد جيوم"حول عبادة الأصنام،هو أحد أبناء جلدته ومن كان على ملته قبل أن يدخل الإسلام المستشرق تولستوي في كتابه "حكم النّبيّ محمد" بقوله:"إن العرب المعاصرين له عبدوا أربابا كثيرة و بالغوا في التقرب إليها واسترضائها.فأقاموا لها أنواع التعبد،وقدموا لها الضحايا المختلفة،ومنها الضحايا البشرية.ومع تقدم محمد في السن كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب وأن ديانة قومه ديانة كاذبة،وأن هناك إلها واحدا حقيقيا لجميع الشعوب"[1].الأكثر من ذلك وفي سنوات معدودة استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم،أن يقضي على تلك الأصنام ويقتلع عبادة الأوثان من جميع الجزيرة العربية،وقام بتوجيه أمته إلى عبادة الله وحده لاشريك له.

أما فيما يخص الحديث النبوي فقد زعم"الفريد جيوم" في كتابه الإسلام بأن العلماء اهتموا بالسند ا دون المتن فقال :" لقد بلغ من إجلال المسلمين للرسول أن المسلم العادي كان إذا سمع اسمه يتلفظ به مقرونا بسلسلة الرواة التي تتصل بالصحابة و التابعين و تنتهي إلى الرسول نفسه، امتنع ذلك المسلم من رفض الحديث خشية أن يتهم بعدم الاحترام لمرشده الأكبر. و مع ذلك فقد نشأت مدرسة نقدية لها أصول ثابتة في النقد إلا أنه لسوء الحظ لم تبذل عناية كبيرة بالنقد الداخلي (المتن) فيما تحتمله الأحاديث. كما بذلت من عنايتها إلى شخصية الرواة بالبحث عن ظروف حياتهم"[2] .

إن هذا التصور في الحقيقة الأمر لم يُبْنَ على أسس علمية،لأن علماء الحديث اهتموا بالسّند منذ أوّل حديث ألقاه النّبيّ صلى الله عليه وسلم على مسامع الصحابة رضوان الله عليهم،واستنبطت منه علوم مختلفة كعلم الجرح والتعديل،وفي نفس الوقت لا يمكن لأيّ شخص إنكار القواعد الأساسية التى يجب توفرها في المتن.

---

[1] تولستوي ، حكم النبي محمد، دراسة و تقديم و تعليق محمود النجيري ، مكتبة النافذة ،الجيزة،مصر،ط1،2008 ، ص41.

[2] عبد الوهاب حمودة،رسالة الإسلام، مجلة إسلامية عالمية تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة، السنة العاشرة ،1958م،العدد39،ص311-312.

2. برنار لويس (Bernard Lewis)[1]:

إن الموضوعية التي يدعيها لويس لنفسه قد ناقضها في معظم كتاباته،ومن أمثلة ذلك أنه أهمل كل الجهود التي بذلها العلماء المسلمون في الحفاظ على نقل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا، ليزعم هو أن النقد الحديث أثبت عدم موثوقيته. والملاحظ أن برنار لويس لم يخرج عن نطاق أقوال سابقيه (هاملتون جب، وجيوم) مِمّن زعموا أن رسولنا الأعظم (**صلىٰ الله عليه وسلم**) بُعث إلى العرب وحدهم، والله تعالىٰ يقول في كتابه العزيز:﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف- 158]وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان- 1]. يقول في هذا الصدد محمد حسين هيكل "...بهذا الاسم الكريم تنطق ملايين الشفاه و القلوب به و له تهتز ملايين القلوب كل يوم مرات، و هذه الشفاه و القلوب به تنطق و له تهتز منذ أربعمائة و ألف سنة إلا خمسين. وبهذا الاسم الكريم ستنطق ملايين الشفاه وتهتز ملايين القلوب إلى يوم الدين"[2] .

يدّعي برنارد لويس أن الإسلام أرسل للعرب وأختص بهم فقط دون غيرهم مثله مثل الرسالات السابقة فيقول:" ...إلى أن القرشيين نظروا في بداية الدعوة على أنها غير ضارة،ولذلك لم يعترضوا عليها،وفي تلك المرحلة من المحتمل أن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يكن لديه فكرة عن تأسيس دين جديد، ولكن كل ما في الأمر أنه أراد أن يأتي بوحي عربي (كتاب منزل بالعربية) كما أنزل

---

[1] برنار لويس (Bernard Lewis): (1916م-2018): إنجليزي، أستاذ دراسات الشرق الأدنى ببرنستون، من مؤلفاته: (العرب في التاريخ). ينظر: نجيب العقيقي، (المستشرقون)، دار المعارف القاهرة ،ط5، 2006 ،ص: ج144/143/2.

[2] المرجع السابق،محمد حسين ، هيكل حياة محمد ، ص 23.

على الشعوب السابقة كتب في لغاتها"[1].صحيح أن جميع الرسالات السابقة أرسلت إلى مجموعة معينة من الناس،ولكن لما كان الإسلام آخر الديانات،والقرآن الكريم آخر الكتب،أرسل النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء إلى البشرية جمعاء ،فالإسلام إذن لم يكن خاصا بالعرب وحدهم ،والدليل أنه لم تمض خمسون و مائة سنة من بعد ذلك حتى كان علم الإسلام خفاقا من الأندلس في غرب أوربا إلى الهند و إلى التركستان و إلى الصين في شرق آسيا"[2].

أما فيما يخص ولادة الرسول صلى الله عليه و سلم ونسبه،فنجد "برنارد لويس" متأثر بآراء أستاذه "هاملتون جب" الذي اعتبر المعلومات الأكيدة حول حياة محمد صلى الله عليه وسلم وظروفه المبكرة قليلة جدا وغامضة،ويضيف بأن كل ما قيل عن نسبه النبي صلى الله عليه و سلم أو حياته الأولى لا يشير إلى عظمته فيما بعد"[3].

يعتبر نسب الرسول صلى الله عليه وسلم من أشرف الأنساب على وجه الأرض،فهو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ، وَاسْمُ هَاشِمٍ: عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَاسْمُ عَبْدِ مَنَافٍ: الْمُغِيرَةُ بْنُ قُصَيٍّ، (وَاسْمُ قُصَيٍّ: زَيْدُ) بْنُ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ابْن كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ، وَاسْمُ مُدْرِكَةَ:عَامِرُ بْنُ إلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ (أُدٍّ، وَيُقَالُ):أُدَدُ بْنُ مُقَوِّمِ بْنِ نَاحُورَ بْنِ تَيْرَحَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ نَابِتِ بْنِ إسْمَاعِيلَ بْنِ إبْرَاهِيمَ- خَلِيلِ الرَّحْمَنِ،إلى أن يصل نسبه إلى آدم عليه السلام"[4].

ولد النبي صلى الله عليه وسلم يتيم الأب وماتت أمه وهو صغير،قام جده بالتكفّل به إلى غاية ريعان شبابه ،ثم تزوج من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها،وفي عمر الأربعين جاءه الوحي وكان حينها بداية الدعوة لدين الإسلام.

---

[1] المرجع السابق،مازن صلاح مطبقاني ، الاستشراق و الاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ، ص 263.

[2] المرجع السابق،محمد حسين ، هيكل حياة محمد، ص 23 بتصرف.

[3] المرجع السابق،مازن صلاح مطبقاني ، الإستشراق و الاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ، ص 260.

[4] المرجع السابق، عبد المالك ابن هشام بن أيوب الحميري، (السيرة النبوية)، ص:2/1.

إنه ليصيبك الضجر والملل وأنت تقرأ لهؤلاء المستشرقين حول ما قيل عن نبيّ الإسلام،وذلك لما فيه من تشابه في الكلام وتناقض في الأقوال،فمعظم هذه الطبقة أجمعوا واتفقوا على أن النبي صلى الله عليه و سلم كان حالماً متخيلا لم يوح إليه شيء قط، بل تصَنّع القرآن بنفسه في غار حراء،واتّهموه بأنه كان يطمح إلى تكوين إمبراطورية عظيمة تهدف إلى القتل والإبادة. – فسبحان الله عما يقولون وعما يشركون لقد نزّهه الله من ذلك كله بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة-128]. وصف الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفا يحنّ إليه قلوب المؤمنين،وتلك هي الصورة الحقيقية للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)،تتمثل في مشاعره الحلوة الرقيقة التي تنساب بالحنان والعاطفة على الناس من حوله.

اعتمد بعض المستشرقين في دراساتهم عن الشريعة الإسلامية على إدخال الذاتية،ومن المفروض على كل باحث محايد أن يتجرد عن كل هوى وميل شخصي فيما يريد البحث عنه :"ولكن أغلب هؤلاء المستشرقين يضعون في أذهانهم فكرة معينة يريدون تصيد الأدلة لإثباتها، وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهمهم صحتها بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية، وكثيراً ما يستنبطون الأمر الكلي من حادثة جزئية[1].

ينتمي برنارد لويس إلى نخبة من المفكرين والباحثين التاريخيين في بريطانيا،وقادة الفكر الإستراتيجي في الولايات المتحدة.له قدرة عجيبة وشبه فريدة في الفهم الأحداث،لقد كشف عن موسوعيةٍ هائلة في البحث وجمع مواد التاريخ والإجتماع في العالمين العربي والإسلامي،اشتهر برنارد لويس أيضاً بمناظراته العامة مع إدوارد سعيد، اتهم فيها برنارد لويس والمستشرقين الآخرين بتشويه صورة الإسلام وخدمة مقاصد الهيمنة الاستعمارية،فردّ عليه لويس على أن الاستشراق أحد أوجه المظاهر الإنسانية،واتّهم إدوارد سعيد بتسييس الموضوع.

[1] المرجع السابق،مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص43.

3. وليام موير "William Muir "[1] :

يعد "وليم موير" من أشهر المستشرقين الذين ظهروا في القرن التاسع عشر،وجاءت شهرته من خلال بحثه في التاريخ الإسلامي.إن هذا المستشرق كان من كبار الموظفين في حكومة الهند الشرقية،تميز المستشرق "موير" بالتعصب الشديد ضد الإسلام وضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

زعم هذا المستشرق أن محمد صلى الله عليه وآله وسلم حاول الانتحار،وانتحل كذبا وزورا على أن رسالته كانت غامضة، يقول "موير" "ولكن مفهوم رسالته لم تكن واضحة مند البداية في ذهنه،ومن هنا كان ذلك الشك فيها حتى حاول الانتحار،وحتى أصابه مرض عصبي من جراء ذلك"[2].[2]

رمى "موير" النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون فقال:"...في أكثر من مقام ذكر الجن ومدى تأثيره في العقلية العربية في ذلك الزمان ،حتى خشي محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون ما حصل له من الوحي هو عبارة عن ضرب من الجنون أو بفعل الجن والأرواح الشريرة الأخرى".[33]

لعل أهم ما ذكره وليام موير"Williaam Muir "في هذه الفترة من السيرة النبوية،محاولا إرجاع الأصول الإسلامية كعادة أمثاله من المستشرقين إلى عوامل خارجية وداخلية، وأن العديد من الأفكار المحمدية وبعض السور القرآنية المبكرة لم تحفظ، لأنه لم يفهم منها ظاهريا على أنها موحاة إليه من الله، ولكنها ربما تكون قد سجلت من قبل "ورقة" أو "علي"، وهو لا يزال صبيا، أو زوجته خديجة أو من بعض أقاربها الذين قال عنهم بأنهم كانوا من الباحثين عن الدين الحقيقي ولهم علاقة بمعنى أو بآخر باليهودية والمسيحية"[4].[1لقلق4]

---

[1] المستشرق وليم موير " William Muir "(1819-1905م):مستشرق بريطاني إسكوتلندي الأصل، ولد في جلاسجو. من كتبه حياة محمد و تاريخ الإسلام "The life of mohamet and History of Islam" في لندن عام 1856-1861 و تعد مؤلفاته عن الرسول صلى الله عليه و سلم و عن التاريخ الإسلامي من المراجع التي يرجع إليها في الجامعات الإنجليزية والهندية انظر: فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى الاستشراق المعاصر و علم الحديث،ص 129.

[2] ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي ، دار المدار الإسلامي، عمان -الأردن ، ط1،2002 ،ص: 119/2 .

[3] المصدر نفسه ،ص، ج120/2 .

[4] المصدر نفسه ، ص، ج120/2.

شكّك وليام موير أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان هدفه هداية قومه إلى دينه الجديد،ولكنه فشل فشلا ذريعا في مشروعه ،ولم يبلغ في هذه الفترة أكثر من أربعين شخصا، وقد أصيب بخيبة أمل شديدة، وجوبه بمقاومة عنيفة من قبل زعماء مكة المبجلين. وكان المستقبل مظلما أمامه وأصبح يائسا، حزينا فحاول الاقتراب من قومه والتودد إليهم والمصالحة معهم"[1]. 52 ويورد "موير" قصة غريبة وغير صحيحة حول مسألة الغرانيق، وملخصها أن زعماء قريش كانوا مجتمعين بجوار الكعبة يناقشون قضايا مدينتهم قدم محمد صلى الله عليه وسلم وجلس في ناد من تلك الأندية وتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فينفروا منه. فأنزل الله عليه: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ [النجم:1-2]. فقرأها حتى إذا بلغ.﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠ ﴾[النجم:19-20]. ألقى عليه الشيطان كلمتين: "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى" فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها، فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته، فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود، فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيبا، فنحن معك، فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام وعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتريت على الله، وقلت على الله ما لم يقل فأوحى الله إليه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ۝٧٣ ﴾[الإسراء:73]."[2]. 6

يتحدث "موير" عن هجرة المسلمين إلى الحبشة مطولا ويرجع سبب عودتهم إلى مكة، وهو الصلح الذي وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش يتمثل هذا الصلح –حسب زعمه–في الإقرار بالآيات الشيطانية،ويخلص إلى نتيجة مفادها أنها لم تنتقض ثلاثة أشهر على هجرة أولئك

[1] ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي ، دار المدار الإسلامي، عمان –الأردن ، ط1،2002 ،ص :2/ 132-133.

[2] المصدر نفسه ، ج2/ص 133 .

النفر من المسلمين إلى الحبشة ،حتى عادوا إلى الظهور من جديد في مكة،وذلك بسبب ما تناهي لهم من إسلام قريش طبقا لنتائج الآيات الشيطانية...ويرى أن هؤلاء المهاجرين عندما اقتربوا من مكة وجدوا النزاع على أشده بين محمد صلى الله عليه وسلم وقريش ،وذلك بعد انسحابه من التسوية التي أقرها معهم،والتي كانت من نتيجتها زيادة اضطهاد قريش للمسلمين وبعد أن تشاور هؤلاء النفر مع بعضهم ،قرروا الدخول إلى مكة وزيارة بيوتهم، فإذا تعرضوا في سوء عادوا من جديد إلى الحبشة، وهكذا دخلوا جميعا مكة تحت حماية أقاربهم وأصدقائهم"[11].

هذه الرواية (قصة الغرانيق) حتى ولو ذكرت في كتب التراجم والسير، لاتصح عند علماء التفسير،لأنها تنافي ماجاء به القرآن، وهي من أخبار الإسرائليات فيجب علينا أن نكذبها.ثم كيف يعقل أن نصدق هذه القصة،والإسلام جاء من أجل غاية واحدة،وهي توحيد الله عز وجل والقضاء على عبادة الاصنام.

[7] لقد تعرض "موير" للأعمال العسكرية التي وجهها الرسول صلى الله عليه وسلم ضد أعدائه القريشيين قبل معركة بدر الكبرى أشار كأن الأعمال العدائية–حسب وصفه– "ازدادت تدريجيا بعد استقرار الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ،والذي لم يترك فرصة مناسبة لتهديد القوافل التجارية القريشية المسافرة إلى الشام والعائدة منها إلا واستغلها، وقد أباح الإسلام لأتباعه القتال في الأشهر الحرم"[2].قال سبحانه:﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾[التوبة:36].نهى الله تعالى عن المقاتلة في الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب،لأنها أشهر عظيمة عند الله تعالى،لكن قد يكون القتال فيها مباحا لدفع عدوان أو ردّ ظلم. قال عز وجل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ

[1] ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي ، دار المدار الإسلامي، عمان –الأردن ، ط1،2002 ،ص:2/ 139 .

[2] المرجع نفسه،ص:180/2.

وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾.[البقرة:217].

4.جورج سيل George Seale [1]:

قام"جورج سيل" بترجمة القرآن الكريم وكان ذلك في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي،ويزعم من خلال ترجمته أن محمدا مخاتل اخترع الإسلام اختراعا،واتّهم النبي صلى الله عليه وسلم أيضا بالوثنية،ووصفه بأبشع الصور.يتساءل"جورج سيل" كيف استطاع مثل هذا المجرم ؟ مثل هذا المخاتل الكبير؟ أن يخلق ديانة يدين بها اليوم ثلاث مئة مليون مؤمن، و بدلا من أن تأخذ في الزوال كما هو حادث لكثير من ديانات العالم، فإنها اليوم أقوى مما كانت و يزداد معتنقوها يوما بعد يوم،إنه الحقد و الإثارة و التغريب"[2].

5.مرجليوت Marjellout [3]:

ألّف (مرجليوت)كتابا عن سيدنا محمد صلى الله علي وسلم، أتى فيها بصور غريبة يغلب عليها التعصب الأعمى والقول الباطل،ومن مزاعمه المضحكة مثلا: "أن محمدا صلى الله عليه و سلم سافر إلى مصر، لأن كلامه عن مصر يدل على معرفة تامة بها، ثم يذكر في مواضع أخرى أن رحلته كانت إلى الشام وحدها مع عمه و بتجارة للسيدة خديجة زوجته"[4].

---

[1] جورج سيل(1697-1736م) مستشرق انجليزي تعلم العربية وحصل على مجموعة وافرة من مخطوطتها وعني بتاريخ الإسلام ترجمة القرآن إلى الإنجليزية .انظر :خير الدين الزركلي ،الأعلام ،دار العلم للملايين، بيروت- لبنان ،ط15 ،2006 ص:2/ 145.

[2] المرجع السابق،الأستاذ نذير حمدان، الرسول صلى الله عليه و سلم في كتابات المستشرقين، ص168.

[3] مرجليوت(1858-1940) ولد وتوفي في لندن تخرج من معهد اللغات الشرقية بجامعة أكسفورد من أهم كتبه الإسلام ينظر : نجيب العقيقي، (المستشرقون)، دار المعارف، القاهرة، ط5 ،2006، ص: 518/2.

[4] المرجع السابق،الأستاذ نذير حمدان، الرسول صلى الله عليه و سلم في كتابات المستشرقين، ص157.

يطلق معظم المستشرقين وأقصد بذلك الذين ينصبون العداء للإسلام أحكاما تعسفية لا تستند إلى دليل قوي،ويحاولون قدر الإمكان إثبات أمور لا وجود فيها للعقل والمنطق، المهم عندهم هو تشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم بشتى الطرق والوسائل الممكنة.صنفه مصطفى السباعي في كتابه "الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم" كأخطر رجل عرف بتحامله الشديد على الإسلام، ويظهر ذلك في جل كتبه منها: التطورات المبكرة في الإسلام صدر سنة 1913م، وكتاب محمد ومطلع الإسلام سنة 1905م.

يتحدث الأستاذ زكريا هاشم عن طبيعة معظم المستشرقين:" إن المستشرقين يقدمون إلينا صورا خيالية،وهي أبعد ما تكون عن الحقيقة. إنها أبعد عن الحقيقة من أشخاص القصص التاريخية التي يؤلفها أمثال " ولتر سكوت Walter Scott " و"اسكندر ديماس Iskander Dimas ".وذلك لأن هؤلاء يصورون أشخاصا من أبناء قومهم،فليس عليهم إلا أن يحسبوا حساب اختلاف الأزمنة . أما المستشرقون فلم يمكنهم أن يلبسو الصورة الحقيقية لأشخاص السيرة، فصورهم حسب منطقهم الغربي و خيالهم العصري. وأن الدكتور " منوك هيرفيرنجه The Herfringe Monarch " ليقول في نهاية نقده لكتاب المستشرق " جريم Grimm ":إننا نرى الأستاذ " جريم " لو اقتصر على درس السيرة النبوية القديمة و بحثها في عمل لكان أفضل. التي حاول أن يطبع محمدا بطابع الروح الاشتراكي ، وفي جعل محمد اشتراكيا، و في أن تقود الاشتراكية نفسها محمدا إلى وضع الدين الذي أتى به"[1].

بذل هؤلاء المستشرقين جهودا أفنوا فيها أعمارهم في إشاعة الكذب وتضليل الناس وخداعهم،بتهم زائفة على الإسلام وصور مصطنعة ويائسة على النبي صلى الله عليه وسلم،ومن هؤلاء المستشرقين نجد: هاملتون جب Hamilton Geb،وجورج سيل George Sell ،والمستشرق مرجوليوث Margolioth ،مونتجمري وات Montgomery Wat ،وغيرهم من الفلاسفة والملاحدة.

[1] المرجع السابق،عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية و أوهام المستشرقين، ص51.

المبحث الثالث: المستشرقون البريطانيون المتعاطفون مع النَّبي (صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم)

لعل من أبرز المستشرقين الذين توسعوا في الدراسات والبحوث حول سيد الخلق محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)،هم المستشرقون البريطانيون الذين اهتموا كثيرا بالسيرة النبوية.وارتأيت في هذا المبحث أن أتعرض للمستشرقين البريطانيين المسلمين وغير المسلمين؛ ويعود سبب ذلك إلى أن الكثير من دراساتهم ومباحثهم اشتركت في مصب واحد وفكرة واحدة.فانقسموا بدورهم بين معجبٍ متعاطف مع الإسلام،وبين مؤمن بالرسالة مدافع عنها. ولما كان الرسول صلى االله عليه وسلم شخصية عظيمة لا يضاهيه أحد والإسلام عقيدة شاملة ينبثق منه نظام حياتي شامل، تقوم على أساسه أمة عالمية متوازنة وعادلة،كل هذا جعل شخصية النَّبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) تلقى الاحترام والتقدير من قبل بعض المستشرقين في العصر الحديث من هؤلاء مثلا:

1. أرنولد توينبي (Arnold Toynbee) [1]:

من الإعجابات التي قُدمت عن الإسلام ورسولنا االعظيم صلى الله عليه وسلم، ما قاله **أرنولد توينبي** دفاعا عن هذا الدين: "إن قيام دين يقال عنه: إنه دين اضطهاد وباطل،...إنه ادعاء باطل يناقض في صميمه طبيعة العقيدة الدينية؛ لأن الدين الحق إذ يلجأ إلى سلاح الاضطهاد يضع نفسه في المكان الباطل...وثمة على الأقل حالة نابهة الذكر لهذا التسامح المنشود يفرضها نبي على أتباعه وهو في موضعه الجليل،فإن محمدا قد أمر أتباعه بالتسامح تجاه اليهود والمسيحين الذين خضعوا سياسيا للحكم الإسلامي...وليس أدل على روح التسامح التي بعثت الحياة في الإسلام منذ بدايته...أما فترة التسامح الديني التي ولجتها المسيحية الغربية منذ القرن السابع عشر فتستمد أصولها

[1] أرنولد توينبي (Arnold Toynbee)ولد سنة 1889 في عائلة عريقة مثقفة وتلقى تعليمه في مدارس الصفوة البريطانية وجامعتها له أكثر من خمسين مؤلف منها الحرب والحضارة والديمقراطية في عصر الذرة ينظر أرنولد توينبي توفي 1975 . أرنولد توينبي مختصر دراسة للتاريخ تر: فؤاد محمد شبل المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،مصر ،ط1،2011م ،ص: ج1/ 07 وما بعدها.

من مزاج يتسم بشراستها تجاه الأديان الأخرى، إذ لو تأملنا بواعثه لكان أحرى أن يوصف...بأنه تسامح لا ديني"[1].الإسلام دين المحبة والتسامح والتعايش بين الأمم التي تختلف عنا في العقيدة،دين ينبذ العصبية والكراهية ضد الآخرين،وكانت حياة النبي صلىٰ الله عليه وسلم كلها تقوم على التسامح،ضربوه قومه ونعتوه بأشياء كثيرة،ورغم العداء الشديد الذي لقيه من كفار قريش،قال لهم يوم فتح مكة اذهبوا فأنتم الطلقاء.

2. توماس كارليل (Thomas Carlyle) [2]:

توماس كارليل أحد أشهر كتاب ومؤرخي القرن الثامن عشر(عصر التنوير) في بريطانيا قدّم صورة حسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ،تختلف عن سابقيه فيقول في كتابه (محمد المثل الأعلى): "لقد أصبح من العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذاب وأن محمد خداع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول الكريم ما زالت السراج المنير ..."[3].

أذعن **توماس كارليل** للحقائق التاريخية التي تؤكد صدق الرسالة المحمدية،كما دعا إلى محاربةَ الاتهامات – التي أسماها بالسخيفة والمخجلة- التي وُجهت إلى الإسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.والأكثر من ذلك جعل أقوالهم عارا وحمقا عليهم "إذن، فلنضرب صفحا عن مذهب الجائرين، القائل بأن محمد كاذب ونعد مواقفهم عارا وسبّة، وسخافة وحمقا ." [4].

لتوماس كارليل كتاب اسمه"الأبطال" وفيه دراسة أدبية وتاريخية لبطولات الأشخاص،اختار كارليل لعرضها وتحليلها أرقى النماذج الإنسانية ،واختار البطل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) .

---

[1] أرنولد توينبي مختصر دراسة للتاريخ تر: فؤاد محمد شبل المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،مصر ،دط،2011م ،ص: ج2:42/41 بتصرف.

[2] توماس كارليل (1795-1881) مستشرق بريطاني من آثاره كتاب الأبطال وقد عقد فيه فصلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، المرجع السابق،نجيب العقيقي، (المستشرقون)، ص: 53/2.

[3] توماس كارليل، محمد المثل الأعلى ،تع محمد السباعي، مكتبة النافذة، دار طيبة للطباعة الجيزة ،مصر، ط1، 2008،ص: 37.

[4] المصدر نفسه،ص: 74.

وينفي توماس كارليل في هذا الكتاب أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يبحث عن الشهرة والسلطان فيقول:"يزعم المتعصبون من النصارى والملحدون أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية، ومفاخر الجاه والسلطان، كلا وايم الله! لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات،المتوقد المقلتين،العظيم النفس،المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة وحجى وإربة ونهى– أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه"[1]

3– برنارد شو الإنجليزي (Bernard Shaw) [2]:

وهذا (برنادشو) أكبر فلاسفة الإنجليز في العصر الحديث، وأحد الحكماء المعروفين في العالم كان روائيا بارعا في كتابته،وكان مسرحيا وناقدا موسيقيا وباحثا عصاميا،كتب عن الرسول (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**).فيقول: "إنني أعتقد أن رجلا كمحمد صلى الله عليه وسلم لو تسلم زمان الحكم في العالم كله لتم النجاح في حكمه، ولقاده إلى الخير وحل مشكلاته على وجه يكفل السلام والطمأنينة والسعادة المنشودة"[3].

جاء في كتابه "محمد"،والذي أحرقته السلطات البريطانية،لأنه كتاب ينطق بالحقيقة التي جاء من أجلها الإسلام:"إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة،وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة – يعني أوربا –إن رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصب قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة"[4].

---

[1] توماس كارليل ،الأبطال، تر محمد السباعي ، دار الكاتب العربي ،بيروت،لبنان، دط،دت،ص: 68.

[2] برنارد شو الإنجليزي ولد بدبلين ايرلندا سنة 1856م كان عصاميا بارعا في التأليف المسرحي عرف بالحكمة ،تأثر بالفكر الاشتراكي الذي دعا إليه كارل ماركس.سلامة موسى ،برنارد شو ، مؤسسة هنداوي، للتلعيم والثقافة، القاهرة ،مصر، ط1، 2014م ،ص 17 ومابعدها.

[3] المرجع السابق،محمد الصالح الصديق، محمد صلى الله عليه وسلم في نظر المفكرين الغربيين، ص 16.

[4] حامد شكري العاني أقوال الغربيين المنصفين بأهمية عودة الإسلام ،شبكة الألوكة ، انظر الموقع:
https://www.alukah.net/sharia/0/76797/ تاريخ المراجعة:2019/06/15.التوقيت 17:00.

يعتبر"برنارد شوBernard Shaw " من المستشرقين الأكثر صراحة واعتدالا في قضية تعامله مع الإسلام،لأنه أقر بأن هذا الدين جاء لجميع الأمم ويصلح لكل زمان ومكان، وأشاد من خلال أقواله بفضل النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعظمة أخلاقه،وحقيق على البشرية جمعاء أن تتبع خطاه،وتستلهم منه حكمة العيش.

يقر الفيلسوف و الكاتب الإنجليزي بأن أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبدأت تعيش دينه كما أنها ستقدم صورة حسنة عن الإسلام في المستقبل،خلافا لما قدمه رجال الدين في القرون الوسطى.ويتنبأ بقدرة النبي صلى الله عليه وسلم على أنه لو استلم قيادة العالم اليوم لكان العالم بأسره في أفضل حال.يقول برنارد شو :"و لذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول:إن بوادر العصر الإسلامي الأوروبي قريبة لا محالة وإني أعتقد أن رجلا كمحمد ،لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لتمّ له نجاحه في حكمه و لقاد العالم إلى الخير،وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام و السعادة المنشودة"[1].

الإسلام هو دين الفطرة ودين التوحيد،يعبدون إله واحد ويشهدون فيه أن محمد هو رسول الله،جعله الله آخر الديانات السماوية وأكملها،جاء ليسهل للناس حياتهم وليحل مشكلات البشر أين ما كانوا،يقول برنارد شو وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين السلام والتعاون، والعدالة ،في ظل شريعة ممتدة محكمة، لم تنس أمرا من الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطئ أبدا "[2].

يعتبر برنارد شو من المستشرقين الذين بحثوا في الإسلام بحثا موضوعيا خالصا،ليصل به إلى معرفة حقيقة الدين ومعرفة حياة النبي (**صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم**) وأخلاقه،ورغم مخالفتنا له في الدين والعقيدة ودون حقد أو تعصب أقرّ بفضل الإسلام .

---

[1] أبو عبد الرحمان جمال بن محمد بن محمود، أنس المقربين وأزهار الياسمين في التعريف بالنبي الأمين ،دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، د.ط، 1971 ،ص 90

[2] المرجع نفسه ص:90 بتصرف.

وصف الفيلسوف الكبير برنارد شو نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم برجل سلام وذو حكمة في قيادة البشرية عندما قال:" إني أعتقد أن رجلا كمحمد صلى الله عليه وسلم زمان الحكم في العالم بأجمعه لتم النجاح في حكمه ولقاده إلى الخير وحل مشكلاته على وجه يكفل السلام والطمأنينة"[1]. كل هذا لم يأت من فراغ فمن يدرس السيرة النبوية يجد النبي صلى الله عليه وسلم،كان قائدا عظيما وسياسيا محنكا، استطاع بحكمته وحلمه وصبره وعفوه أن يسعد البشرية التي أعطاها الله له كرسول للبشرية.

للفيلسوف "برنارد شو" مقال يقول فيه: "سيجيء يوم يعتنق فيه الغرب الإسلام. فإنه مضت قرون كاملة للغرب كتب و جرائد مملوءة من الافتراءات على دين الإسلام،ونبيه صلى الله عليه و سلم، أما اليوم فقد ترجمت معاني القرآن و بعض كتب الإسلام إلى لغات أوربا، ولا سيما الإنجليزية ففهم رجال الغرب أن الإسلام الحقيقي ليس الذي كانوا يقرؤونه و يعرفونه في الكتب والجرائد السابقة. و قال أيضا : إن الرجل العالم يميل بطبعه إلى الإسلام، لأنه الدين الوحيد الذي ينظر إلى أمور الدنيا و الآخرة سواء"[2].

لقد كان لنا في رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – أُسوة حسنة وقُدوة طيِّبة في تعامله مع الناس طاعة لله وعبادة له، وامتثالاً واستسلامًا لأمره وانقيادًا وخضوعًا لحُكمه،وكذا في عدله مع عباد ربِّه من المسلمين وغير المسلمين، فكان العدل عنده – صلى الله عليه وسلم – أمرًا مطلقًا، لا يتعلق بالمسلمين وحدهم ويتوقَّف عندهم،بل كان يعامل أصحاب الأديان والأجناس الأخرى بالرفق والمعاملة الحسنة،وكان يرفض تماما العصبيَّات القبيلية ويعدها من أمر الجاهلية.

لقد تنبَّأ "برنارد شو" بأن دين محمد صلى الله عليه وسلم ،سيكون مقبولاً في أوروبا الغد بسبب حيويته،وقد صدق في استشرافه لتلك الرؤيا، فأصبح فعلا الإسلام ينتشر يوما بعد يوم ليكتسح العالم

[1] المرجع السابق،محمد الصالح الصديق ،محمد صلى الله عليه وسلم في نظر المفكرين الغربيين، ص56.

[2] محمد موسى ،تنزيل مقاصد الشرع وتعميق محبة الرسول صلى الله عليه و سلم ،المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية ،مركز البحوث والدراسات الاستشراقية،الخرطوم –السودان ،الكتاب الخامس، 2013. ص 284/283.

وأوروبا.يقول: "قد وضعت في دين محمد صلى الله عليه و سلم موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته المدهشة ،فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز أهلية لأطوار الحياة المختلفة، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس، و قد تنبأت بأن دين محمد صلى الله عليه و سلم سيكون مقبولا لدى أوربا، و لقد بدأ كونه مقبولا لديهم اليوم"[1].

يقر برنارد شو على أن النظم الإسلامية هي قادرة على حل جميع مشاكلنا، وهي صالحة لكل زمان ومكان،ولقد تعدى "برنارد شو" الانكليزي هؤلاء في مدح محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام،حين ذهب إلى التنبؤ بأن الإمبراطورية المقبلة سوف تعتمد على النظم الإسلامية قبل نهاية هذا القرن،والأكثر من ذلك خلص إلى القول ب:" لو أن محمدا بعث في هذا القرن و كان له الأمر المطاع،لكان له كل التوفيق في حل جميع المشاكل"[2].

من مميزات هذا الفيلسوف الكبير "برنارد شو" أنه جريء إلى أبعد حد وصريح إلى أقصى الحدود.في أثناء سياحته في بومباي بالهند كتب رسالة حدد فيها رأيه في صلاحية محمد صلى الله عليه وسلم ووضح فيها أن هذا الدين لجميع الأمم دون استثناء،وأشاد بفضل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعظّم خلقه وقال: لقد وضعت دائما دين محمد صلى الله عليه وسلم موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته، فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز أهليه العيش لأطوار الحياة المختلفة، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل زمان ومكان"[3].

عرف عن هذا المفكر "برنارد شو" الحكمة وقول الحق،ولقد بحث في الإسلام طويلا وعرف حقيقته،وكانت نظرته له نظرة واقعية و ذلك من خلال آرائه المعتدلة والمنصفة لصاحب الرسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[1] المرجع السابق،محمد موسى، المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية تحت رعاية النائب الأول لرئيس الجمهورية،ص 284.

[2] محمد جميل بيهم، فلسفة تاريخ محمد صلى الله عليه و سلم ، الدار الجامعية للطباعة و النشر بيروت ،دط،1923، ص28.

[3] المرجع السابق، محمد الصالح الصديق ،محمد صلى الله عليه وسلم في نظر المفكرين الغربيين، ص53.

4.الليدي ايفيلين كوبولد (Lady Evelyn Kobold) [1]:

تعتقد هذه المستشرقة المتميزة بأن الإسلام دين فطرة ،ولا عجب في هذا إذا علمنا أن الإسلام دين الفطرة يشب عليه الطفل منذ الصغر،وقد صدق أحد علماء الغرب إذ يقول " الإسلام دين العقل و الفطرة " [2]. قالت المستشرقة: " إن جهل النساء في الإسلام أمر لا يتفق و أوامر الرسول الكريم . فقد أمر الرسول الله صلى الله عليه و سلم بطلب العلم و حظر الإسلام الجهل على المؤمنين به،وشدد في ذلك بما لا يدعو مجالا للشبهة و التأويل "[3].

لقد ذكرت الثمرات العظيمة التي أنجزها محمد صلى الله عليه و سلم و التي تبرهن على صدق الإسلام وفضله على الأمم كونه من عند الله ،فقالت :" كان العرب قبل محمد أمة لا شأن لها و لا أهمية لقبائلها ولا لجماعاتها . فلما جاء محمد بعث هذه الأمة بعثا جديدا يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات فغلبت العالم و حكمت فيه آجالا و آجالا " [4] .

عرف عن نبينا الكريم العدل والإخاء ،فلقد أصلح بين القبائل المتناحرة كالأوس والخزرج كما هو معروف في كتب التاريخ،وقبل مجيء الإسلام كانت العرب شعوبا متفرقة مستضعفة تحكمها الفرس والروم،فجعلها الله دولا قوية وأسيادا تحكم العالم.ولولا حكمة النبي صلى الله عليه وسلم آنذاك لما نهضت العرب من سباتها وتخلفها.وما نشهده اليوم من تناحر بين الشعوب العربية وتكالب الأعداء عليها ماهو إلا نتيجة بعدهم عن هذا الدين.

---

[1] هي نبيلة استقراطية اسكتلندية ولدت في ادنبره بانجلترا عام 1867م .وقد ارتبطت ايفلين بالعالم العربي و الاسلامي منذ نعومة أظافرها وأسرتها كثيرا ماكانت تقضي فصل الشتاء في الجزائر .وهناك تعلمت ايفيلين اللغة العربية منذ طفولتها و عاشت ولعبت مع الاطفال الجزائريين. قامت كوبلد بزيارات لمصر وسوريا و بدأت تقترب من الاسلام و ارتبطت بصداقات مع البريطانيين المسلمين تم أشهرت إسلامها عام 1920م . اختارت لنفسها اسم "زينب كوبلد" و بعد إسلامها وضعت كتابا هاما تحت عنوان "البحث عن الله ". أحمد أبوزيد الاستشراق النسائي قصة حضارة في عيون عربية منصفة – المنظمة الاسلامية للتربية و العلوم الثقافية –ايسيسكو – الرباط المملكة المغربية،دع،2017م ص: 146/145.

[2] المرجع السابق،أحمد أبوزيد الاستشراق النسائي قصة حضارة في عيون عربية منصفة ،ص: 146.

[3] نور الدين أبو لحية – قلوب مع محمد –دار الأنوار للنشر والتوزيع ،بيروت،لبنان ،ط2، 2015 م، ص93.

[4] المرجع نفسه،ص 89 .

عندما وقفت المستشرقة الليدي ايفيلين عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم شعرت نفحات إيمانية تملأ النفس ذهولا وروعة هذا النبي صلى الله عليه وسلم، فتقول:" لعمري ليجدن المرء في نفسه ما تقدم إلى قبر الرسول روعة ما يستطيع لها تفسير و هي روعة تملأ النفس اضطرابا و ذهولا و رجاء و خوفا وأملا و ذلك هو أمام نبي مرسل وعبقري عظيم لم تلد مثله البطون حتى اليوم ...إن العظمة و العبقرية يهزان القلوب و يثيران الأفئدة فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة ،وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية و خير البشرية "[1].

بيّنت المستشرقة الدور الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ الرسالة فقالت :" لقد استطاع النبي القيام بالمعجزات والعجائب لما تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام وقبول الوحدانية الإلهية ..لقد وفق إلى خلق العرب خلقا جديدا و نقلهم من الظلمات إلى النور" [2] .

ذكرت المستشرقة الليدي ايفيلين تأثرها بأسلوب القرآن في مواضع عديدة فقالت :" الواقع أن جمال القرآن و بديع أسلوبه أمر لا يستطيع له القلم وصفا و تعريفا و من المقرر أن تذهب الترجمة بجماله و روعته و ما ينعم به من موسيقى لفظية لست تجدها في غيره من الكتب" [3].قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: 185]. عندما يسمع المرء هذه الآيات وغيرها يحس فيها بالسكينة والطمأنينة والرحمة والنور،ويصيبه الخشوع.

[1] المرجع السابق،نور الدين أبو لحية ،قلوب مع محمد ،ص 89 .

[2] المصدر نفسه ،ص 89 .

[3] المصدر نفسه ،ص 87 .

5.الباحث الإنجليز لايتنر Lightner [1]:

لهذا المستشرق اطلاع واسع على جميع الأديان السماوية،فقد حصل هذا الرجل على أكثر من شهادة في الشريعة والفلسفة واللاهوت،وطاف في عدد من البلدان العربية والإسلامية والتقى بعلمائها. يعتبر من المسيحيين الصادقين في أبحاثهم،لأنه يقر بحقيقة الوحي القرآني،وصدق الرسالة المحمدية،ويكشف حقيقة النصرانية،و يقرّ بأن المسيحية حرفت من طرف بعض القساوسة والرهبان. يقول :" بقدر ما أعرف من ديني اليهود و النصارى أقول بأن ما علمه محمد صلى الله عليه و سلم – ليس اقتباسا بل قد (أوحي إليه به)،ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه جاءنا وحي من لدن عزيز عليم،وإني بكل احترام و خشوع أقول :إن الديانة النصرانية التي ود محمد (صلى الله عليه و سلم) إعادتها لأصلها النقي كما بشر بها المسيح (غليه السلام) تخالف التعاليم السرية التي أذاعها بولس و الأغلاط الفضيعة التي أدخلها عليها شيع النصارى .. و لقد كانت آمال محمد (صلى الله عليه و سلم) و أمانيه أن لا تخصص بركة دين إبراهيم (عليه السلام) لقومه خاصة ،بل تعم الناس جميعا، و لقد صار دينه الواسطة لإرشاد و تمدن الملايين من البشر، و لولا هذا الدين للبثوا غرقى في التوحش و الهمجية، و لما كان لهم هذا الإخاء المعمول به في دين الإسلام."[2]" ...مرة، أوحى الله تعالى إلى النبي (صلى الله عليه و سلم) وحيا شديد المؤاخذة لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى ليخاطب رجلا غنيا من ذوي النفوذ و لقد نشر ذلك الوحي، فلو كان صلى الله عليه وسلم كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذلك الوحي من وجود "[3].

إن مثل هؤلاء المستشرقين الصادقين ينطبق عليهم قوله تعالى :﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً

---

[1] لايتنرLightner باحث إنجليزي حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الفلسفة الشريعة واللاهوت، طاف بعدة بلدان إسلامية نور الدين أبو لحية قلوب مع محمد ، ص 485.

[2] محمد السقا عيد ،عظمة النبي في عيون المنصفين و العقلاء الغربيين،من موقع شبكة الألوكة:
https://www.alukah.net/library/0/60532 / تاريخ المراجعة: 2019/06/20 التوقيت:13:15.

[3] المصدر نفسه تاريخ المراجعة: 2019/06/20 التوقيت:13:30.

لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة: 82].

6.اللورد هدلي Lord Hadley [1]:

اللورد هدلي عمّ الملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا،أسلم هدلي وأحدث إسلامه ضجة كبيرة في المملكة المتحدة ،وبحكم سعة اطلاع اللورد هيدلي على الحضارة الإسلامية ،وفهمه العميق للقرآن الكريم فقد وجد أن مفهوم الألوهية –كما جاء في القرآن الكريم –يتوافق مع المنطق و الفطرة،ويتميز ببساطة شديدة،كما لمس في الدين الإسلامي سمة التسامح، و هي السمة التي لم ير لها وجودا بين الآلهة من النصارى الذين عرفوا بتعصبهم ضد الديانات الأخرى، بل ضد بعضهم بعضا،فالكاثوليك يتعصبون ضد البروتستانت، و هؤلاء بدورهم يتعصبون ضد الأرثوذكس"[2].

لم يكن بوسع اللورد هدلي إلا أن يميل للإسلام خاصة بعدما اطّلع على ترجمة معاني القرآن الكريم.وأعجب بأبطال الإسلام الأوائل،الذين استطاعوا أن يفتحوا العالم،وبقوة عقيدتهم أسسوا حضارة عظيمة ازدهرت لقرون طويلة.وجد اللورد هدلي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة التي يجب علينا اتّباعها. قال الله تعالى :﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: 2]وبالرغم اقتناع اللورد هدلي بالإسلام،فقد ظل قرابة عشرين عاما يكتم إسلامه لأسباب عائلية،حتى كتب الله له أن يعلنه على الملأ في حفل للجمعية الإسلامية في لندن"[3] .

---

[1] اللورد هدلي هذا الرجل سليل الأسرة الملكية في بريطانيا, و هو من أغنى البريطانيين ومن أرفعهم حسبا، درس الهندسة في كامبردج، و قد أسلم وأصدر مجلة (The islamic renew) و أصدر كتاب (إيقاظ العرب للإسلام) و كتاب (رجل غربي يصحو فيعتنق الإسلام)، و قد تسمى بعد إسلامه باسم (رحمة الله فاروق). نور الدين أبو لحية، قلوب مع محمد، ص82.

[2] المرجع السابق،نور الدين أبو لحية، قلوب مع محمد، ص83.

[3] المرجع نفسه، ص83.

يعترف الباحث (اللورد هدلي) برسالة النبي صلى الله عليه و سلم اعترافا جميلا فيقول: "... كان رسولا من الله وكان يريد أن يؤدي رسالته على أكمل وجه،أنه لم ينس في يوم من الأيام كيانه أو الغرض الذي بعث من أجله "[1].و قال فيه " من المحتمل أن بعض أصدقائي يتوهم أن المسلمين هم الذين أثروا فيَّ و لكن هذا الوهم لا حقيقة له، فإن اعتقاداتي الحاضرة ليست إلا نتيجة تفكير قضيتُ فيه عدة سنين... و لا حاجة بي إلى القول بأني ملئت سرورا حينما وجدت نظريتي و نتائجي متفقة تمام الاتفاق مع الدين الإسلامي"[2].

ولقد قام بالردّ على ما نشرته مجلة (إسلاميك رفيو) في تحقير شريعة الله فقال: "إن كل هذه المحاولات العقيمة و الوسائل الدنيئة التي يقوم بها المنَصرون لتحقير شريعة النبي العظيم صلى الله عليه و سلم، و بالبذاءة و بالسفاسف لا تمسه بأذى، و لا تغير عقيدة تابعيه قيد أنملة" وردّ على المبشرين قائلا: "لا عجب أن يكذب المنصِرُون و قد افتروا على الله كذبا، فكم تظاهر اللص بالأمانة والداعر بالاستقامة و الزنديق بالتدين و لكن لا عجَب، فقد غاض من وجههم ماء الحياء، و قد قال نبي الإسلام صلى الله عليه و سلم : (إذا لم تستح فاصنع ما شئت)... فلو كانوا يستحيون من أنفسهم – أو على الأقل من الناس- لما أقدموا على هذا الإدعاء الباطل"[3] .يوم اعتنق الاسلام عبّر عنه بأنه: " لا ريب إن أسعد أيام حياتي هو اليوم الذي هاجرت فيه على رؤوس الأشهاد بأنني اتخذت الإسلام دينا..."[4].

الإسلام جاء ببيانه وبحججه ليهدي الناس جميعا،وليتمكنوا من التفريق بين الحق والباطل. وهو امتداد للهدى الذي منحه الله تعالى للبشرية منذ خلق آدم عليه السلام.

---

[1] المرجع السابق، محمد الصالح الصديق،محمد صلى الله عليه وسلم في نظر المفكرين الغربيين، ص: 121.

[2] المرجع السابق،نور الدين أبو لحية، قلوب مع محمد، حقائق و رقائق، دار الأنوار للنشر و التوزيع،بيروت،لبنان،ط2، 1436هـ-2015م، ص85.

[3] المصدر نفسه، ص:85.

[4] المصدر نفسه،ص:85.

يقر اللورد هدلي أن الإسلام نور الله في الأرض و يقول أن الإسلام هو الدين الذي يعبد الله حقيقة مدى الحياة لا في أيام الآحاد فقط... أصبحت كرجل فر من سرداب مظلم إلى فسيح من الأراضي تنيره شمس النهار، و أخذ يستنشق هواء البحر النقي الخالص"[1].

7.آرثر أليوسArthur Alios :

أعلن البروفيسور البريطاني بعد إسلامه عن اسمه الجديد (عبد الله أليسون)، وأخذ يحدث الحضور عن قصته مع الإسلام فقال: "إنه من خلال اهتماماتي بعلم النفس، حيث كنت رئيسا لجمعية الدراسات النفسية و الروحية البريطانية لسنوات طويلة، أردت أن أتعرف على الأديان،فدرستها كعقائد، و من تلك العقائد عقيدة الإسلام، التي وجدته أكثر العقائد تمشيا مع العقل، مع أن هناك إلها واحدا مهيمنا ومسيطرا على هذا الوجود، ثم إن الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن الكريم و السنة النبوية و من قبل أربعة عشر قرنا أثبتها العلم الحديث الآن و بالتالي يؤكد أن ذلك لم يكن من عند البشر على الإطلاق، و أن النبي محمد صلى الله عليه و سلم هو رسول الله"[2].

قرر العالم المسلم البروفيسور (عبد الله أليسون) أن الحقائق العلمية في الإسلام هي أمثل وأفضل أسلوب للدعوة الإسلامية،ولاسيما للذين يحتجون بالعلم و العقل،وقد أعلن البروفيسور سيقوم بإنشاء معهد للدراسات النفسية الإسلامية في لندن على ضوء القرآن المجيد و السنة النبوية"[3].

لقد اصطفى الله نبيه بحسن الخلق وعلو المنزلة،وميّزه بالحكمة والرحمة وآتاه جوامع الكلم،بعثه الله حجة على الخلق ليكون آخر الأنبياء والرسل،جاء برسالة التوحيد وهي لاإله إلا الله محمد رسول الله ،أنزل عليه الوحي وهو في سن الأربعين،أتى بشرائع الإسلام تبين للناس الحلال والحرام،وتدعوهم إلى الخير والفلاح،فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون،ومن أعرض عنه فإنا له معيشة

---

[1] المرجع السابق، نور الدين أبو لحية، قلوب مع محمد، حقائق و رقائق، ص85.

[2] المصدر نفسه ،ص207.

[3] المصدر نفسه ، ص208.

ضنكا ويحشر يوم القيامة أعمى، قال الله تعالى :﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ الكهف: 110]، وقال سبحانه :﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾ [فصلت: 6].

كانت هذه بعض آراء المتعاطفين – إن صح التعبير– من المستشرقين البريطانين حول ما قالوه عن ديننا الإسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.والتي وقفت في دراستها موقف الباحث المحايد رغم أننا في غنىٰ عن هذه الدفاعات والأقوال،لأن أصدق الكتب كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

الفصل الرابع:

- نظرة المستشرق مونتجمري وات إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول: مناهج مونتجمري وات في دراسته للسيرة النبوية وتقويمها.

المبحث الثاني: صورة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة عند مونتجمري وات.

المبحث الثالث: صورة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة عند مونتجمري وات.

المبحث الأول: مناهج مونتجمري وات في دراسته للسيرة النبوية وتقويمها

يقدم "إتيان دينيه"[1] نصيحة عامة للمستشرقين المتعصبين على النبي صلى الله عليه وسلم،والذين لم يستطيعوا كبح عواطفهم أثناء كتابتهم عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛فيقول: "إذا شاء المستشرقون أن تكون جهودهم مثمرة، فلينصرفوا عن إضاعتها في محاربة المنقول الذي هو أسمى من أن يوازيه شيء، إلى شرح هذا المنقول وإحيائه بدرس نفسية العرب درسا علميا غير سطحي"[2].

ويبدو لنا من خلال المبحثين السابقين أن من هؤلاء المستشرقين الذين تحدث عنهم إتيان دينيه،والذين لم يلتزموا الحيادية في المنهج العلمي المستشرق" مونتجمرى وات "، مع أنه هو الذي قطع عهدًا على نفسه في مقدمة كتاب له عن السيرة النبوية بالتزام المنهج العلمي المحايد حين قال:ولقد حاولت المحافظة على الحياد في المسائل اللاهوتية (الدينية) التي يدور حولها النقاش بين المسيحية والإسلام ، فمثلا لتجنب الجزم بما إذا كان القران كلام الله أم لا ، فقد تحاشيت استخدام التعبير (يقول لله) أو (يقول محمد) واستخدمت التعبير يقول (القرآن)، ومع ذلك فإنني لا أتبنى المنظور المادي بحجة التزامي بالنزاهة التاريخية ، فأنا أكتب كمؤمن بالتوحيد"[3].

وحتى بعدما قال وات هذا الكلام - الذي يبدو موضوعيا – فإنّ القارئ بعد اطلاعه على مؤلفاته عن النبي صلى الله عليه وسلم، يلاحظ أنها مجرد ادعاءات وافتراءات. ومع العلم أن وات لم ينسب القرآن الكريم على أنه منزّل على محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الوقت ذاته لم يقل: قال الله تعالى؛ لأنه لا يؤمن – أساسا- بأن القرآن كلام الله تعالى.

---

[1] إتيان دينيه (Etienne Denier)، أو نصر الدين دينيه: ولد ألفونس أتين دينيه فى باريس سنة 1861م ، وعاش (رحمه الله) فنانا بطبعه، كان كثير التفكير، جم التأمل، له كتاب (محمد رسول الله). ينظر: إتيان دينيه، سليمان بن إبراهيم، (محمد رسول الله)، تر: عبد الحليم محمود، دار المعارف،(مصر)،ط3، د.ت، ص: 7حتى 9.

[2] المرجع السابق،إتيان دينيه، سليمان بن إبراهيم، (محمد رسول الله) ، ص: 57.

[3] المرجع السابق،مونتجمري وات، (محمد في مكة)، ص: 40.

إن السواد الأعظم من المستشرقين يرد معطيات السيرة النبوية إلى أصول يهودية ونصرانية؛ذلك أن معظمهم إما نصارى "من طبقة رجال الدين، أو من المتخرجين من كليات اللاهوت، وإنهم إن تطرقوا إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام ، حاولوا جهد إمكانهم ردّها إلى أصل نصراني، وإما يهود يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي وعربي إلى أصل يهودي ، وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء"[1].لا شك أن اليهودية والمسيحية أديان سماوية،والإسلام إنما جاء يكمل هذه الأديان، ولكن تلك الأديان السابقة – اليهودية والمسيحية– حرّفت عقيدتهم وبدّلت وغيّرت كتبهم من طرف القساوسة والأحبار وكذّبت رسلهم،فلم تبق أديان يعتمد عليها في العبادة،فأرسل الله لهم الإسلام جامعا ومانعا إلى أن يرث الله أرض ومن عليها.قال سبحانه وتعالى:﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[المائدة:46] إلى أن قال عز وجل:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:48].

من هنا ، فإنه يسهل استخراج" قواعد **منهج مونتجري وات وتقويمه** من خلال كتاباته في السيرة النبوية وتصوبها.ويتّسم منهج وات في دراسته للسيرة النبوية بعدة سمات (أو قواعد) ، منها:

1. **منهج التأثر.**
2. **منهج الشك.**
3. **منهج النفى.**
4. **منهج التفسير المادى**
5. **منهج الإسقاط.**
6. **منهج التحريف.**

[1] المرجع السابق،عماد الدين خليل،(مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية)،ص136/1.

7. منهج التناقض

8. منهج اعتماد الضعيف الشاذ.

9. منهج المنهج العلماني

10. منهج تقديم المصادر الاستشراقية على المصادر الإسلامية.

1- منهج التأثر وتقويمه (ونقده):

يحاول وات أن يثبت للنّبي صلى الله عليه وسلم أنه التقى بورقة بن نوفل وتأثر به فيقول: "إنّ محمدا كان على صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي، والأفكار الإسلامية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة... فإنّ ورقة كان على صلة وثيقة بمحمد، وكان معروفا بدراسته للأناجيل"[1].قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ [المائدة-48] .

زعم وات أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مدين بفكرة الوحي لورقة بن نوفل وهذا قول باطل. يشهد التاريخ أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يلتق ورقة بن نوفل إطلاقا،غير أن وات مصرّ على أن النّبي صلى الله عليه وسلم التقى ورقة بن نوفل مرات ومرات،وهذا إصرار فاسد وظن كاذب بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ١٠٣﴾ (النحل 103).يرد على هذا الافتراء محمود ماضي بحجج وأدلة تنفي ادعاءت وات:

---

[1] المرجع السابق،وليم مونتجمري وات (محمد في مكة)، ص 120.

أ- أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميّا لا يعرف القراءة والكتابة قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (العنكبوت48).

ب- إن العهد القديم لم يكن مترجما إلى اللغة العربية، وقد أشارت الموسوعة البريطانية إلى ذلك حتى أوائل العصر العباسي.

ج- لو أخذ محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من أهل الكتاب مع عداوتهم لأذاعوه[1].

يرى "وات" أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ساير اليهود في العديد من عباداتهم كالصلاة، والتوجه نحو بيت المقدس...ويورد "وات" العديد من الطقوس الإسلامية الأخرى المشابهة لليهود أيام هجرته الأولى كصيام يوم عاشوراء، وبناء مسجد الرسول على هيئة كنيسة يهودية ولكنه ينفي هذه الواقعة التي استند في روايتها إلى "نولدكه وبيكر" الألمانيين إلا أنّه يؤكّد أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم قبيل الهجرة وبعدها، كان يميل إلى صياغة دّيانته على شكل الدّيانة اليهودية وتشجيع أتباعه في المدينة على الاحتفاظ بالطقوس اليهودية التي تبنّوها"[2].ويرى "وات" أن محمدا قد دعا إلى دين جديد الذي كان يهدف إلى جعله مطابقا تماما للدين القديم ،رغبة في استمالة اليهود،وإظهار التماثل في الأصل بين الوحي الذي نزل عليه والوحي القديم "[3].

زعم كثير من المستشرقين على النّبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أنه قرأ عن الأوائل ونقل عنهم الكثير،وتأثر بما هو موجود في التوراة والإنجيل.ولقد ربط وات مثله مثل غيره من المستشرقين النّبوة بالإسرائيليات،وردّها إلى أصول يهودية ونصرانية،وجعل ذاك التطابق بين القرآن الكريم والعهد القديم إنما هو استمالة لليهود وهذا الكلام لا أساس له،والحقيقة أن هناك تشابها وتكاملا بين الأديان السامية،ولكن وات وأمثاله يحللون هذه المسائل وفق عقليتهم الكافرة، واتجاههم المنكر لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[1] محمود ماضي، الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده ،دار الدعوة ،المدينة المنورة، ط1 ،1996،ص: 148.

[2] المرجع السابق،وليم مونتجمري وات (محمد في المدينة) ، ص305.

[3] المصدر نفسه،ص 306.

يقول محمد فتح الله الزيادي "إذا كان الإسلام يتفق مع بقية الديانات التي سبقته في وحدة الأديان و مصدرها الإلهي، فإنه يختلف معها في كونه الدين النهائي الخاتم لجميع الأديان.كما أن نبيه محمد صلى الله عليه سلم هو الخاتم لجميع النبيين"[1].

2- منهج الشك وتقويمه :

إن هذا المنهج باختصار شديد يُفرِّغ الإسلام من إبداعه وذاتيته، ويرد معطياته إلى أصول يهودية ونصرانية ، وينفى ربانية المصدر القرآني. وقد عمل مونتجمري وات جاهدا من خلال كتاباته في السيرة النبوية على إظهار الشكوك في ظاهرة الوحي المحمدي فيقول: "فهناك الكثير مما هو غير مؤكد حول الظروف المحيطة بنزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم."[2] ووات مرتاب أيضا في هل كان النّبي صلى الله عليه وسلم يميز بين كلام الله (الوحي) وكلامه الذي ينتجه عقله الواعي فيجيب أن هذا أمر غير واضح تماما"[3].

تصف المستشرقة لورا فيشيا فاغليري القرآن الكريم بأنه معجزة الإسلام العظمى...إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته إن كلا من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو ليس بالطويل أكثر مما ينبغي وليس بالقصير، أما أسلوبه فأصيل فريد وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي الذي ينحدر إلينا من العصور التي سبقته".[4]

تضيف الباحثة أيضا: "إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة،وهو ينتقل من موضوع من غير أن يفقد قوته، إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معا، وهما صفتان لا تجتمعان عادة، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجزة من عمل محمد صلى الله عليه وسلم، وهو العربي الأمي..." [5].

كثيرا ما كان يستخدم مونتجمري وات ألفاظا تدل على الشك وهي قوله:"ويبدو أنها" وقوله:

---

[1] محمد فتح الله الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام و موقف بعض المستشرقين منها، طرابلس – ليبيا ، ط 1، 1983 ، ص 19.

[2] المرجع السابق،مونتجمري وات (محمد في مكة) ، ص: 120.

[3] المصدر نفسه ،ص 121.

[4] لورا فيشيا فاغليري، (الدفاع عن الإسلام)، تر: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت- لبنان)، ط5، 1981م، ص: 56.

[5] المصدر نفسه،ص 57.

"وإذا افترضنا" ،وقوله: "ومما يدعو للشك"والمعروف أن أشهر من قال بمنهج الشك هو "ديكارت"[1].إن منهج ديكارت في الفلسفة هو الحدس الذي يتناول المبادئ البسيطة ويستنبط من المبادئ قضايا جديدة" [2].

أراد "ديكارت" أن يقيم لنفسه مذهبا في الفلسفة، وأن يجعل لهذا المذهب منهجا لا يقف في البحث عند حقائق هذه الفلسفة فحسب، بل يتجاوزها إلى حقائق العلوم جميعا"[3].يعلق أنور الجندي على مذهب الشك فيقول: "إن مذهب الشك من أخطر المذاهب التي اعتنقها المنهج الغربي...،ويعرف الجرجاني الشك بأنه : التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر، وذلك هو (اللاأدرية) ، وقيل : هو ما استوى فيه الطرفان ، وهذا المذهب ليس من مذاهب الإيجاب والثقة، وهو من عوامل الهدم والتحطيم للشخصية الإنسانية وللحياة، ولا ريب أن (اللاأدرية) تحول دون التقدم والبناء والسعي إلى الكمال ، ظواهر التوقف والتخلف ، ولابد للإنسان أن يختار موقفا وأن يحسم أمره"[4].

وللأسف لقد سيطر الشك الديكارتي على كتابات معظم المستشرقين– وليس وات وحده– في تناولهم للسيرة النبوية، حتى صار سمة غالبة على أبحاثهم فشككوا في كل شيء ، فإن لم يجدوا موضعا للشك أثاروا هم الشكوك.يقول جواد علي "لقد غالى كثير من المستشرقين في كتاباتهم في السيرة النبوية،وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك ، وقد أثاروا الشكوك حتى في اسم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى في وجود النبي صلى الله عليه وسلم"[5].

---

[1] رينيه ديكارت: ولد في مدينة (لاهاي) التابعه لإقليم توران في فرنسا، وكان ذلك في 31 أذار 1596م. تنقل في أروبا وعدة بلدان أخرى وتعرف على عدة فلاسفة منهم: كشاروف، وغاندي... إلا أن أفكارهم لم تلقى استحسانا عنده. ومابين 1612 إلى 1617 اكتشف الهندسة التحليلية، ومن كتب ديكارت المشهورة: (المنهج). ينظر: رينيه ديكارت، (مقال عن المنهج)، تر: محمود محمد الخضري، الهيئة العامة للكتاب،مصر، ط3، 1985م، ص: 78.

[2] المرجع السابق،رينيه ديكارت، (مقال عن المنهج) ، ص: 38.

[3] المصدر نفسه، ص: 48.

[4] أنور الجندي، (أخطاء المنهج الغربي الوافد)، دار الكتاب اللبناني، (بيروت– لبنان)، ط1، 1974م، ص: 24، 25.

[5] جواد علي، (تاريخ العرب في الإسلام– السيرة النبوية–)، دار الحداثة،دم،دط،دت، ص:9 ، 10.

للعلم فإن وات وقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها القس لامانس(LaMance)،فكان وات ينفى كثيرًا من أحداث السيرة النبوية ليس فقط أحداث الفترة المكية كما هو الحال عند لامانس ،بل بعض أحداث الفترة المدنية أيضا .إن وات لم يستطع الفكاك من أفكار غيره، فراح يثير دوامة من الشك في معظم وقائع السيرة النبوية ونحن نذكر بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح- 29].

3- منهج النفي وتقويمه:

يبيّن "عماد الدين خليل" في كتابه *المستشرقون والسيرة *الأخطاء التي وقع فيها مونتجمري وات من خلال استخدامه لمنهج النفي في دراسة السيرة "ومما يختص به منهج وات في دراسة السيرة النبوية (منهج النفي)، فقد نفى كثيرًا من وقائع السيرة النبوية . وترجع خطورة هذا المنهج إلى أنه يقود في النهاية إلى إلغاء مساحات بكاملها من التاريخ. والذي يحمل الاستعداد لنفي الجزئيات قد يصل به الأمر إلى نفى الكليات يدعي مونتجمري وات أنه كان اضطهاد المسلمين خفيفا؛ وكان لا يتعدى الهجوم اللفظي"[1] وهذا الكلام مخالف لما جاء في كتب التاريخ فقد كان كفار قريش تضايق الرسول صلى الله عليه وسلم،وتقوم بحبس المسلمين وتعذبيهم بالضرب والجوع والعطش.

قد وقع وات — بسبب تبنّيه منهج النفي- في مغالطات ومخالفة لبعض الروايات الصحيحة الموجودة في كتب السيرة النبوية ، وآفة هذا النفي المفرط لكثير من الروايات الإسلامية،أدت إلى نتائج تثير الظنون وتطمس الحقائق .

---

[1] المرجع السابق، وليام مونتجمري وات(محمد في مكة)، ص 245،246 بتصرف.

4- منهج التفسير المادي وتقويمه:

اختص منهج وات بكثرة التحليلات المادية لوقائع السيرة النبوية حتى طغت على بحثه ،وسيطرة على فكره،فلا تكاد تمر عليه حادثة أو واقعة إلا فسرها تفسيرا ماديا، وأهمل الجانب الإعجازي للسيرة النبوية. يقول عماد الدين خليل:" على أن إحدى الملامح الأساسية التي تميز التفسير الإسلامي عن سائر التفاسير أنه يفرد للبعد الغيبي – ماضيا وحاضرا ومستقبلا- مساحات واسعة، ويجعله أحد الشروط الأساسية للإيما ، بل أهمّها على الإطلاق ؛ إذ بدونه لا يمكن أن تتحقق أي تجربة إيمانية"[1].

ومن أمثلة ذلك يقول وات عن زواج النّبي صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد رضي الله عنها "إنها حملت إليه خديجة ثروتها ونفوذها اللذين فتحا أمام محمد صلى الله عليه وسلم أبواب السياسة المكية"[2].فسّر وات كل هذه المسائل من وجهة نظر مادية بحتة، دون أن يضع اعتبارا للعامل الدعوي في نشر الإسلام، وقد أجاب عن هذا الأستاذ "ميور" بقوله:" إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتمتع بتلك الثروة ولم يتلذذ بها، بل قضى حياته فقيرا....ويروي أنّه مات ودرعه مرهونة...."[3].

أفرط وات في استخدام التفسير المادي لوقائع السيرة، بداية من أحداث السيرة بما فيه هجرة المسلمين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة، مرورا بزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أمهات المؤمنين (رضوان الله عليهم)، انتهاء بالغزوات، فقد فسر وات كل هذه الوقائع تفسيرا ماديا يغلب عليه الطابع العقلي والاقتصادي.

إن المنهج المادي يلغي جميع الأحداث الغيبية،وإن اعتماد المستشرق وات في منهجه هذا،إنما هو تصورات ومناهج غربية مملوءة بالمغالطات وسوء الظن،بل وتصنع أحداثا كاذبة وأقوال باطلة تفسر السيرة النبوية تفسيرا ماديا خاليا من الأسس الروحية التي جاءت بها.

---

[1] عماد الدين خليل، (التفسير الإسلامي للتاريخ)، دار العلم للملايين، (بيروت- لبنان)، د.ط، 1975م، ص: 132.

[2] المرجع السابق،وليام مونتجمري وات، (محمد في المدينة)، ص 438.

[3] عبد المتعال محمد الجبري، (السيرة النبوية وأوهام المستشرقين)، مكتبة وهبة، 14 شارع الجمهورية عابدين ،القاهرة – مصر،دط،دت، ص80.

5- منهج الإسقاط وتقويمه:

يدّعي وات:أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعتبر نفسه نبيّا أرسله الله سبحانه في الأساس لقريش فقط، ولم تكن هناك إشارة قبل موت أبي طالب إلى أنّه فكّر في مدّ رسالته للعرب كافة."[1]

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء-107]

إن الإسلام دين عالمي ارتضاه الله لجميع خلقه،فجاء شاملا وكاملا،لا يختصّ بزمان دون آخر ولا بأمة دون أخرى،والدّليل على ذلك مايحدث اليوم من الانتشار الواسع للإسلام،وهو باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن إسقاطات واط على الواقع المعاصر جعل ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى غار حراء ليس للتعبد وإنما للهروب من حرارة الشمس.يقول "ربما كان ذلك وسيلة للهروب من حرارة مكة في موسم متعب لمن كانوا لا يستعطون الذهاب إلى الطائف، ويمكن أن يكون للتأثير اليهودي والمسيحي أو بعض التجارب الشخصية أو الحاجة والرغبة في العزلة"[2].لقد أسقط وات الواقع المعاصر على كثير من أحدات السيرة النبوية، مع أن العقل يقتضي على الذي يدرس حدثا تاريخيا في فترة ما من الزمن عليه أن يراعي في دراسته زمن ذاك العصر وبيئة،وأمّا أن يحكم على حدث مضى عليه أربعة عشر قرنا أو يزيد دون مراعاة ما سبق ذكره،فهذا الحكم غير عادل. لقد أثبت لنا هذا المستشرق حقيقة فساد منهجه في دراسته للسيرة،بل عجزه وقصوره التام لفهم السيرة النبوية.

جاء الردّ الصاعق عليه من المستشرق "أرنولد" فيما يخص عالمية الإسلام فيقول:" لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب بل للعالم أجمع نصيب فيها، ولم يكن هناك غير إله واحد كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة"[3].

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجمري وات (محمد في مكة)، ص 274.

[2] المصدر نفسه، ص 108.

[3] المرجع السابق،عماد الدين خليل،مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ،1985، ج134/1.

6- منهج التحريف وتقويمه:

من أمثلة وات في تحريف أحاديث النّبي صلى الله عليه وسلم ذكره لإثبات أن من كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم في الغار هو الله تعالى ولم يكن جبريل (عليه السلام)، وذلك لإثبات تناقض النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن في قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكه الأَبْصَار﴾. (الأنعام:103)

فقد حرّف وات وبدل وأظهر عوار منهجه أمام الجميع، فنقل عن الزهري كما في تاريخ الطبري حديث بدء الوحي: "...قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَنَظَرتُ عن يميني وعن شمالي، وخلفي وقدامي، فلم أر شيئا، فنظرت فوق رأسي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيت منه»"[1].فذكر وات كلمة (عرش) معرفة بالألف واللام؛ تلبيسا على القارئ بأنّه عرش الرحمان كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:05]. وهذا المنهج-التحريف- سمة من سمات المستشرقين،كما يقول أنور الجندي: "إن من أعمال المستشرقين (التزوير)"[2].

7- منهج التناقض وتقويمه:

كثيرا ما كان وات يناقض نفسه دون أن يدري، وهذا خطأ فادح يرتكبه (وات) وهو الذي يدّعى أنه باحث موضوعي. فمن التناقض الذي أظهره لنا في قضية زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها، فيرجع وات سبب زواج النّبي صلى الله عليه وسلم بزينب هو أنه رآها عارية. يقول: "وقد ذهب محمّد صلى الله عليه وسلم فيما بعد حوالي السنة الرابعة للهجرة إلى بيت زيد للتحدث إليه وكان زيد غائبا فشاهد زينب وهي عارية فأحبها كما- يقولون- للتو فمضى وهو يقول لنفسه (سبحان مقلب القلوب) أخبرت زينب زيدا بزيارة محمد رفض الدخول وما قاله فتوجّه زيدا رأسا إلى محمد وعرض عليه أن يطلّق زينب فقال له بأن يحفظ امرأته، ولكن الحياة أصبحت فيما بعد مع زينب لا تطاق فطلقها زيد، وبعد مرور العدة تم زواجها من محمد وقد

---

[1] محمد بن جرير الطبري، (تاريخ الرسل والملوك)، دار الكتب العلمية، (بيروت- لبنان)،،ط1، 1407هـ، ص: 534/1 .

[2] أنور الجندي، (مقدمات العلوم والمناهج)، دار الأنصار، (القاهرة- مصر)، د.ط،دت، ص: 147/5.

نزل الوحي بتبرير هذا الزواج". [1] ويقول أيضا: "وبالرّغم من هذه القصص العاطفية، من البعيد أن يكون محمد قد أُسر بمفاتن زينب الجسدية "[2].

القصة كاملة مذكورة في كتب السير بما يقطع الشك إلى اليقين، ومختصرها أن النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة و تبناه ،تم زوجه ابنة عمته : زينب بنت جحش،... لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يفكر في الزواج بزينب لا قبل زيد و لا بعده،وإلا فأي شيء كان يمنعه من التزوج بها بكرا ،...على أن الزواج زيد بزينب كان بوحي سماوي و أمر إلهي. وكان زيد قد قضى من زينب وطرا ، ولم يعد له بها من حاجة ، ولم يعد يحتمل العيش معها فطلقها فأمر الرسول أن يتزوج بها،ولكن الرسول في نفسه كان يخشى من الكفار الدعاية السيئة،فنزلت الآية الكريمة الجامعة:﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب: 37].و تزوج الرسول تنفيذا لحكم الله" [3].ردّ **عباس محمود العقاد** على اتّهامات المستشرقين وافتراءاتهم قال:" لم يكن جمال زينب خفيا على محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يزوجها مولاه زيدا،لأنّها ابنة عمته يراها من طفولته وتراه،فدعوى أنّها فاجأته برائع جمالها أسطورة مخرفين وقالت: **"بيزانت"** "إنّ الرجل الذي تزوج،وهو في عنفوان الشبيبة (34 سنة) بامرأة تكبره في السن إلى مدى بعيد ،ويبقى وفيّا لها ستا وعشرين سنة لا ينقلب شهوانيا بعد الخمسين"[4].

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجمري وات،(محمد في المدينة)، ص 502-503 .

[2] المصدر نفسه،ص :505.

[3] صلاح عبد الفتاح الخالدي، (القرآن ونقض مطاعن الرهبان)، دار القلم، (دمشق- سوريا)، ط1، 1428هـ/2007م، ص: 669 بتصرف.

[4] محمد عبد العظيم علي ،السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقين،نقد وتحقيق وتصويب :عبد المتعال محمد الجبري ،دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع،الإسكندرية،مصر،ط1،1994ص 144- 145.

يثير وات الشكوك والتناقض في الكلام حول قضية إسلام خالد بن سعيد يقول عنه وات :"إنه اعتنق الإسلام ولأسباب دفينة ولكن إقامته الطويلة في الحبشة تشير إلى أنه كان على خلاف مع محمد صلى الله عليه وسلم في سياسته....ولو أن خالدا اهتم بالنواحي السياسية للرسالة لدفن خلافه محمد صلى الله عليه وسلم وعاد إلى مكة قبل السنة السابقة للهجرة"[1].

يشير "وات" إلى العوامل القبلية والعائلية التي ساعدت بعض أهل مكة على دخول الإسلام كحمزة الذي اعتنق الدين الجديد انتقاما لابن أخيه وحميه له،وكإسلام عمر الذي أراد أن يمسح العار الذي لحق بقبيلته عندما سمع باعتناق أخته وزوجها وأخيه الإسلام...."[2].ثم يعود ويتناقض مع كلامه السابق ويقول أن الإسلام يدعو إلى وحدة البشر على أساس العقيدة لا العنصرية،وبيّن فيه أن الصراع بين حركة تجديد جاهلة تنحدر إلى الشهوات و جمع المال،وبين حركة التجديد الإسلامي هو القائم الآن "[3].

أما فيما يخص الأسباب التي دعت المستضعفين إلى اعتناق الإسلام فإن "وات" يرجعه إلى العوامل الاقتصادية والسياسية، إلا أنه يرى أن عددهم لم يكن كثيرا لأن محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن قط مصلحا اجتماعيا بل كان مؤسس ديانة جديدة"[4].يتكلم وات على المعارضة القرشية والتي قامت باضطهاد المسلمين فيقول عنها :"لا يتعدى الطعن اللفظي بالأشخاص المتنفذين،والضغط الاقتصادي على من دونهم والضرب الجسدي للذين لا أهمية لهم".[5] هذا التناقض والتضارب في الكلام يدلّ على أنّ وات لم يطلع اطّلاعا تاما على شخصية النّبي صلى الله عليه وسلم الحقيقية،والأكثر من ذلك اعتمد في أبحاثه عن السيرة على الروايات الضّعيفة.

---

[1] المرجع السابق،سالم ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية في الدراسات الإسلامية، ص127/2.

[2] المرجع نفسه، ص: 127/2.

[3] عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية و أوهام المستشرقين، مكتبة وهبة،القاهرة،مصر،ط1،دت، ص:47 بتصرف.

[4] المرجع السابق،سالم ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية في الدراسات الإسلامية ، ص: 2/ 128 .

[5] المرجع نفسه ، ص: 2/ 128.

8- منهج اعتماد الضعيف الشاذ وتقويمه:

إن اعتماد الضعيف الشاذ ليس مشكلة وات وحده ،بل هي مشكلة غالبية المستشرقين.ولقد تبنى وات كثيرا من الآراء الضعيفة الشاذة، وفي مقابل ذلك رد كثيرا من الآراء والروايات الصحيحة لمجرد أنها تخالف فكرة لديه. يقول محمود زقزوق :"إنهم لا يترددون في الاعتماد على الأحاديث الضعيفة ، وهم ينقبون في طوايا كتب التاريخ والسير عن أخبار ضعيفة غير ثابتة يدعمون بها آرائهم. ولهم صبر لا ينفد في استكشاف هذه المخبوءات ، واستغلال الضعيف من الدلالات. ومهما يكن من شئ فهم لا يستوعبون دراسة ما بأيديهم من المسائل، وكثيرا ما يغفلون النصوص والأخبار التي تناقض ما يقررون"[1].

إن هذا المنهج العقيم في الاستدلال ليس مأزق وات وحده، بل هو سمة كثير من المستشرقين،إنهم يضعون الفكرة في أذهانهم مسبقا ثم يتلمسون لها الأدلة من هنا وهناك سواء أكانت هذه الأدلة صحيحة أم ضعيفة ، المهم أن تؤيد ما يعتنقونه من أفكار، وفى هذا يقول الدكتور جواد على منتقدًا المستشرق كيتاني: "كان ذا رأي وفكرة ، وضع رأيه وكوَّنه في السيرة قبل الشروع في تدوينها فلما شرع بها ، استعان بكل خبر من الأخبار ظفر به ، ضعيفِها وقويِّها ،وتمسك بها كلها،ولا سيما ما يلائم رأيه ،لم يبال بالخبر الضعيف،بل قواه وسنده، وعدّه حجة، و بنى حكمه عليه ومن يدري؟ فلعله كان يعلم بسلاسل الكذب المشهورة المعروفة عند العلماء ولكنه عف عنها وغض نظره عن أولئك العلماء فيها؛ لأنه صاحب فكرة يريد إثباتها بأية طريقة كانت"[2].

9- المنهج العلماني:

العَلمانية هي فصل الدين عن الدولة بل عن الحياة، فهي ترفض وضع الدين كمرجع رئيسي للحياة السياسية والاجتماعية والاهتمام بالأمور الحياتية الواقعية للإنسان،وهذا المنهج لا ينسجم مع مبادئ ومعتقدات الإسلام، وقد تحدث وات عن إرهاصات النّبي محمد صلى الله عليه وسلم،التي مهدت لبعثته وأعلن رفضه لها ،وهناك طائفة من المفكرين الذين لا يؤمنون بالغيبيات يكادون يجزمون

---

[1] المرجع السابق،محمود حمدي زقزوق، (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري)، ص: 82.

[2] المرجع السابق،جواد علي، (تاريخ العرب في الإسلام- السيرة النبوية-)، ص: 118.

بعدم صحة هذه الروايات لأنها تشير إلى أمور من المنطق أن تتوقع الإشارة إليها بعد أن أصبح نبيّا،وهو ما لا تجد إشارة إليه،ولكنّ من المؤكد أنّ هذه الروايات تعبر عن شيء بالنسبة للمسلمين المؤمنين، وبالتالي فهي حقيقة بالنسبة لهم ومناسبة لأصالة حياة نبيّهم، وربما كانت تعبيرا عمّا كان يمكن أن يراه كل ذي عينين إن كان حاضر وقت حدوثها".[1]

ما يمكن استخلاصه من كلام وات أنه رفض عالمية الرسالة المحمدية حين قال: "وبالتالي فهي حقيقة بالنسبة لهم ومناسبة لأصالة نبيّهم". وكأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم خاص بالعرب دون غيرهم.وممّا لا شك فيه أنّ لكلّ أمر عظيم مقدمات تخلق الظروف وتهيّء الأرضية لاستقبال الحدث،ويكفي هنا الاستشهاد بلقب (الأمين) الذي أطلقه القريشيون على النّبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثه، ويكفي أن نذكر أن قريشا كانت تتوقع ظهور النّبي وهذا ما كان يحدّث به الأحناف"[2]. والأمر لايتوقف عند هذا الحد فالتاريخ يشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم،راسل ملوك وأمراء أعاجم لاعتناق الإسلام،وهذا دليل واضح على عالمية الرسالة.

10- منهج تقديم المراجع الاستشراقية على المصادر الإسلامية وتقويمه:

حاول المستشرق مونتجمري وات كغيره من المستشرقين تقديم مراجع المفكرين الغربيين على حساب المصادر العربية الإسلامية ،ونحن نعرف أن الدارس أو الباحث إذا أراد دراسة موضوع ما؛فإنه يعود إلى تلك المصادر المتعلقة بذلك الموضوع،ولاسيما الأقرب إلى زمن الموضوع (أي المصادر القديمة)؛ وهذا على عكس ما فعله وات الذي اعتمد في كتاباته عن الرسول صلى الله عليه وسلم على مصادر أساتذته وإخوانه من المستشرقين، بل كان يقدم في الكثير من الأحيان آراءهم على آراء علماء الإسلام، الذين يعرفون عن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما يعرفه هؤلاء المستشرقون الذين طغت عليهم جوانب العاطفة والوجدان.إن العقل يقول : إنه ليس من الإنصاف أن يُحكم على إنسان من خلال رأي خصمه فيه، وسأقدم أمثلة تدل على إفراط "مونتجمري " في تقديم أولوية

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجمري وات ،محمد في مكة ، ص: 93.

[2] المرجع السابق،عبد الله محمد الأمين النعيم، دراسات تاريخية لآراء وات بروكلمان، قلهاوزن ، 1997- ص60.

للمصادر الاستشراقية، وإهماله المصادر الإسلامية في قضايا السيرة الكبرى ،كالوحي مثلا. فمثلا ، يذكر وات آية سورة النجم ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾[النجم: 11].وينقل عن المستشرق (ريتشارد بل) في ترجمته للقرآن الكريم في هذه الآية: "ربما أضيفت فيما بعد بتطور آخر في هذه النظرية، بمعنى أنه بينما أدركت العينان العلامة أو الرمز، أدرك القلب الشيء المرموز"[1]. فمن المعروف أن هذه الآية من سورة النجم، قد نزلت بمكة، ولم تنزل في فترة لاحقة (في المدينة) ، كما يشير إلى ذلك (وات، وريتشارد بل).

من المعروف كذلك أن آية:﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: 32] هي التي نزلت بالمدينة،ولا يوجد في التفاسير ما يشير إلى أن [الآية 11 من سورة النجم].وهي قول الله عز وجل: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ قد نزلت في وقت لاحق كما يدعي ذلك وات، وريتشارد بل.كما اعتمد مونتجمري واط في شرح كلمة تحنث على المستشرق 'هير شفيلد'[2]."وربما كان أفضل الآراء هو ما ذكره هير شفيلد أنها مشتقة من الكلمة العبرية تحنوت أو تحنوث، والتي تعني التعبد لله"[3].

كل هذا الأخطاء والمغالطات الظاهرة في منهج وات في دراسة السيرة النبوية،لا تنقص من قيمتها وقيمة صاحبها. ادّعى وات الموضوعية في بداية مقدمة كتابه:(محمد في مكة)،ولكن لانجد لها أثرا في مؤلفه،بل نجد عكس ذلك،لقد استخدم وات أفكار خاطئة ومناهج فاسدة تخدم فكره وعقيدته على وجه الخصوص.

---

[1] المرجع السابق، وليام مونتجمري وات محمد في مكة، ص: 107 بتصرف.

[2] 'هير شفيلد' (1854-1834) H.Hirschfld من آثاره: ديوان حسان بن ثابت(1910) وبحوث جديدة في ترتيب القرآن وتفسيره ينظر: المرجع السابق،يحي مراد،معجم أسماء المستشرقين ، ص714.

[3] المرجع السابق،وليام مونتجمري وات محمد في مكة، ص: 108.

لقد ناور هذا المستشرق وتلاعب بأحداث التاريخ الإسلامي في طرح أفكاره بطريقة ذكية جدا،وللأسف البعض حسبه بأنه مفكر منصف للرسول صلى الله عليه وسلم مدافع عن الإسلام.

عمل هذا المستشرق جاهدا لتشويه سمعة النبي صلى الله عليه وسلم،اعتمد على الكتابات الاستشراقية السابقة،حاول تحريف ماهو موجود في كتب التاريخ،شوه الحقائق،ودس الدسائس،اخترع الأباطيل،واستخدم بعض الاطراء والتنويم،ليمرّر أفكاره ويبث سمومه،كل هذا إنما هو حلقة من حلقات الكيد والحسد الذي أخبرنا الله به في القرآن الكريم.قال تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ٥٢ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ٥٣ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤﴾ [النساء 51- 54].

المبحث الثاني: صورة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة عند مونتجمري وات

السيرة النبوية تجمع أحداث وتفاصيل حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي سيرة شاملة واضحة وهي تختلف عن كل السير،تشع بالنور،وتدعو الناس إلى الخير، وتدعو الناس إلى الفوز بالنعيم،وترسم الطريق إلى النجاة من النار، تبين للمسلمين أحكام دينهم،وتضع معالم واضحة أمام الدعاة والمصلحين،إنها سنة تجسد القيم العليا والمبادئ الرفيعة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم.اتبع الصحابة الأجلاء هديها ففازوا برضوان الله،واقتفى أثرها الصالحون فاستنارت عقولهم بالعلوم والمعرفة،وصلحت القلوبهم، واستقامت أخلاقهم.

إن السبيل الوحيد لفهم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم يعود إلى دراسة السيرة النبوية دراسة شاملة مبنية على قواعد وأسس علمية،وعلى كل باحث أن يجمع وقائع السيرة وأحداثها ويحاول من خلالها فهم الظروف والحياة التي قيلت فيها،وفهم المقاصد التي تحدث عنها القرآن الكريم وبينتها السنة النبوية،والتي تخص الجانب العقدي،والجانب الاجتماعي،والجانب الأخلاقي،والجانب الغيبي،والجانب الإعجازي وغيرها من الجوانب.

لا ريب أن الحق دائما يقف في وجهه أباطيل وافتراءات وتجد أعداء يتربصون به من كل جانب؛ ومن بينها افتراءات المستشرقين خاصة في عصرنا الراهن الذي نلحظ فيه تهافتا وتلاهفا لتشويه صورة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصورة الإسلام والمسلمين.ولا شك أن دراسة إنتاج المستشرقين عن رسولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم يُمثل أهمية كبرى في الحقبة الراهنة، وقد رأينا أثرا سلبيا لهذا الإنتاج في الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الصحف الدانماركية وغيرها؛ ومن هنا يلزمنا أن نتعرف على هذا النتاج عن قرب،وفحصه وتحليله ونقده وتمييز الصواب منه والكاذب،ومحاولة تصويب ما قد يقعون فيه من أخطاء.ويأمل الباحث في أن يكون واحدا من الذين يقومون بهذه المهمة الرفيعة، خاصة أنها تنصب على دراسة إنتاج عَلَم من أهم أعلام مستشرقي المدرسة البريطانية الذين تناولوا سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ألا وهو "مونتجمري وات"، وقد

اعتمدت في هذا الجانب التطبيقي على أهم كتابين له حول الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فالأول: (محمد في مكة)، والثاني: (محمد في المدينة).وتطرقت فيه إلى العناصرالآتية:

1- أُميّة الرسول صلى الله عليه وسلم:

نفى المستشرق "مونتجمري وات" أمّية النّبي صلى الله عليه وسلم وأثبت له القراءة والكتابة.وجعل (وات) قول النبي صلى الله عليه وسلم – عما جاء عن ابن اسحاق– للملك الذي كان يطلب منه القراءة (ما أقرأ) استفهما عن المقروء لا نفيا للقراءة، وقد استدل على فهمه بقوله صلى الله عليه وسلم بعدها (ماذا أقرأ) التي دلت عنده على عدم أميته بدليل استفهامه عن المقروء".[1] ولكن هذه الرواية التي استدل بها المستشرق وات فإنها لا تدل إلى ما ذهب إليه، بل تثبت عكس ذلك وهي أمّية صلى الله عليه وسلم.

يكفينا ما قيل عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن نذكر قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (الأعراف 157). ففي الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ .قول صريح على وجود صفة النّبي المختار صلى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء –عليهم السلام– وقد بشّروا أممهم ببعثته في آخر الزمان، وأمروا من أدركه باتباعه ونصرته. ولم تزل صفاته موجودة في كتب اليهود والنصارى يعرفها علماؤهم وأحبارهم ولكنّ معظمهم أنكر رسالته النبوية.

[1] المرجع السابق، لخضر الشايب، (نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر)، ص 399.

قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾[الصف:06]. فهذه السورة دليل واضح على أن النّبي محمد صلى الله عليه وسلم مذكور في التوراة والإنجيل ،مهما ادّعى اليهود والنصارى عدم ذلك، فإن كلام الله تعالى أحسن حديثا ، وأصدق قيلا.

قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾[الأعراف 158] قال ابن كثير: "أخبرهم أنه رسول الله إليهم، ثم أمرهم باتباعه والإيمان به، (النبي الأمي) أي: الذي وُعدتم به وبشرتم به في الكتب المتقدمة، فإنه منعوت بذلك في كتبهم، ولهذا قال: ﴿ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي يصدق قوله عمله، وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه، و(اتبعوه) أي: أسلكوا طريقه واقتفوا أثره (لعلكم تهتدون) أي: إلى الصراط المستقيم"[1].

2- صفات النبي صلى الله عليه وسلم:

من الصفات الخَلقية الخاطئة التي تكلم فيها وات عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول وات: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ناحل الخدين واسع الفم،حلو الابتسامة شاحب اللون وكان محمد صلى الله عليه وسلم ميالا للكآبة....خاليا من البلاغة وكان كلامه دائما سريعا..."[2]. وهناك أيضا صفات خُلقية نعث بها مونتجمري وات النبي صلى الله عليه وسلم لا تليق بمقامه العالي وهي محض

[1] عماد الدين ابن كثير،(تفسير القرآن العظيم)، تح:سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، (الرياض- المملكة العربية السعودية) ، ط1، 1420هـ/1997م، ص: 491/3.

[2] وليم مونتجمري وات، (محمد في المدينة)تر:شعبان بركات ،منشورات المكتبة العصرية، (صيدا بيروت)،دط،دت،ص 489.

أكاذيب وافتراءات ،فالرسول صلى الله عليه وسلم سيد الخلق اختاره الله وقوّم الله سلوكه وأخلاقه لا ينكرها إلا جاحد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس وجها، أبيض اللون مزهرا، مستدير الوجه، مليحه، واسع الفم، طويل ساقين رجل الشعر يصل إلى شحمة أذنيه،وهذه الصفات الجسيمة تدل على جمال المظهر، وكمال الجسم وقدرته على النهوض بالواجبات العظيمة التي أحيطت به، فلم ير أعداؤه في مظهره ما يعيبونه عليه أو يلقبونه به على سبيل الاقتصاص..."[1].

3 – زواج النبي صلى الله عليه وسلم:

يتّهم " مونتجمري وات" النّبي صلى الله عليه وسلم بإقامة علاقة غير شرعية مع النساء فيقول:" ونعلم من بعض الوثائق أنّ محمدا بالإضافة إلى زيجاته الشرعية واتصالاته بالجواري كانت له علاقة مع نساء أخريات، وذلك حسب النظام الأمي القديم "[2].من خلال هذا القول نجد "وات" قد وقع في أخطاء كثير منها أوّلا لم يصرح لنا ماهي هذه الوثائق التي اعتمد عليها في بحثه؟ وهذا ليس من باب الأمانة العلمية في شيء، وإن اتّهام النّبي صلى الله عليه وسلم بإقامة علاقة مع نساء أخريات يعتبر نوعا من الإسقاط الفاسد لأنّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– بريء من كل فحشاء قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ ﴾.[الأحزاب 50]. وقد اعتبر " مونتجمري وات"أيضا زواج النبي صلى الله عليه وسلم كان لأهداف سياسية وأغراض دنيوية محضة، يقول:" ليس من المبالغة القول بأن جميع زوجات محمد صلى الله عليه وسلم كان لها هدف سياسي"[3]. يرد "لخضر شايب" على افتراءت" وات" فيقول: "ولا شك أن استهجان الفكر عند وات والمجتمع الغربي المعاصر للتعدد ليس إلا تطورا مرضيا في الأفكار والبناء الاجتماعي الذي غلّب فيه أعداء الدين الغربيون الزنا على الزواج. هذا إلى فكرة اكتفاء الرجل بامرأة واحدة ليس إلا خداعا ممجوجا من الغربيين، إذ لا يستطيع ذلك إلا الرجل الذي يمارس التعدد، أو

---

[1] أكرم ضاء العمري (السيرة النبوية الصحيحة) ، مكتبة العلوم، المدينة المنورة ،السعودية،، ط6-1994م، ،ص :1/88-89.

[2] المرجع السابق، وليام مونتجمري وات (محمد في المدينة) ، ص 434.

[3] المصدر نفسه، ص: 504

الذي قنع بزوجة واحدة – هو حال جمهور المتدينين – أو انصرف إلى إشباع رغباته بواسطة الاعتداء على زوجات وبنات الآخرين، وهو حال الغربيين الذين وجدوا ضالتهم، إذ استمتعوا بالنساء دون مقابل نفسي وإنساني ومادي كانت تحصله المرأة بالزواج"[1] ويمضى وات في طريقه لإثبات انتشار الفاحشة في عصر الرسول فيقول: "يبدو أن القرآن أجاز بعض الوقت الاتصالات الموقوتة بنساء متعددات الأزواج وتسهِّل الآية (25) من السورة ترك تعدد الأزواج وتجعل من الممكن الزواج الحقيقي للذين لا يستطيعون الزواج بسبب فقرهم من امرأة ترغب بأن يكون لها زوج واحد"[2].

إنّ وات يشير من خلال كلامه السابق إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء – 25].

من الواضح أن وات قد حمَّل الآية ما لم تحتمل، فالقرآن الكريم لم يبح أبدا الاتصال بامرأة متزوجة؛ لأن هذا الاتصال في الإسلام يسمى (زنا).ومعنى الآية: "ومن لم يكن منكم ذا طوْل أي: سعة وقدرة أن يتزوج الحرائر المؤمنات فله أن ينكح من الإماء المؤمنات اللاتي يملكهن المؤمنون، ويكفي معرفة إيمانهن في الظاهر والله يتولى السرائر. ولا تستنكفوا من نكاحهن فرُبّ أمة خير من حرّة، فالعبرة بفضل الإيمان لا فضل الأحساب والأنساب. وادفعوا لهن مهورهن عن طيب نفس ولا تبخسوهن منه شيئا استهانة بهن؛ لكونهن إماء مملوكات، وخذوهن عفيفات غير مجاهرات بالزنا ولا

[1] المرجع السابق،لخضر الشايب ،(نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر) ، ص: 423.

[2] المرجع السابق،وليام مونتجمري وات (محمد في المدينة) ، ص 436.

مستترات به من أخدانهن (والخدن: هو الصديق للمرأة الذي يزنى بها سرا) فإذا أحصن بالزواج ثم زنين فعليهن نصف ما على الحرائر من عقوبة الزنا،وقد أُبيح نكاح الإماء لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا، وصبركم وتعففكم عن نكاحهن أفضل، لئلا يصير الولد رقيقا"[1]. فالآية لا تشير إلى زعم "وات" لا من قريب ولا من بعيد،وغاية ما يُفهم منها: أن الزواج بالإماء مباح كعلاج مؤقت لمن لا يستطيعون الزواج بالحرة،وإن كان الزواج بالحرة أفضل.وقوله تعالى في وصف هؤلاء الإماء بكونهن (محصنات غير مسافحات) رد وات في ادعائه بأن القرآن أباح الاتصال بنساء متعددات الأزواج، لكن الواضح أن وات لا يعرف أحكام الإماء في الإسلام.

4- الوحي ومعجزات القرآن في فكر" وات":

يظهر "وات" في الوهلة الأولى بمظهر الباحث الموضوعي المحايد على ما يبدو، فيقول: "...كما أنّ ذلك لا يجعلنا نفهم كيف نجح في تأسيس ديانة عالمية أنجبت رجالا قداستهم واضحة للعيان لا يفسّر كل ذلك بصورة مرضية إلاّ إذا افترضنا صدق محمد أيْ أنْ نعتقد بأنّه كان مقتنعا حقا بأنّ القرآن ليس ثمرة خيالية بل إنّ كل ما نزل عليه كان من الله فهو بذلك حق" [2].

ولكن سرعان ما ينزع قناع المكر والخديعة يكتشفها كل من دقّق جيدا في كلامه يقول: "فالقول بأنّ محمدا كان صادقا لا يعني أنّ القرآن وحي حق وأنّه من صنع الله، إذ يمكن أن نعتقد بدون تناقض أنّ محمدا كان مقتنعا بأنّ الوحي ينزل عليه من عند الله، وأنْ نؤمن في نفس الوقت بأنّه كان مخطئا " [3].لقد ادعى وات دعوة باطلة كغيره من المستشرقين من أن النبي صلى الله عليه وسلم حاول الانتحار فيقول: "ففكرة الانتحار يمكن – بشق النفس- عزوها لمحمد... وأكثر من هذا فإن فترة اليأس قد تكون متلائمة مع الروايات التي تحدتنا عن الفترة وعلى المادة التي انقطع فيها الوحي عن الرسول صلى الله عليه وسلم"[4].

---

[1] المرجع السابق،ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ص:260/2، 261..

[2] المرجع السابق،وليام مونتجمري وات (محمد في المدينة) ، ص 495.

[3] المصدر نفسه، ص: 496.

[4] وليام مونتجمرت وات، (محمد في مكة)، نقله إلى العربية الدكتور عبد الرحمان عبد الله الشيخ راجع الكتاب وعلق عليه الدكتور أحمد الشلبي هيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،دط، 1994م ،ص 118.

يحاول وات إقناعنا بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أراد الانتحار بسبب فتور الوحي منه وهذا مستحيل مع أفضل الخلق لأن تعالى يقول: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف 87] ثم جاء قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾[الضحى:4.3.2.1].

نقول إن القرآن الكريم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه كما أوحي إليه من غير أن يزيد فيه حرفا أو ينقص حرفا، وتلقاه عنه الصحابة (رضوان الله عليهم)، وتفانوا في فهمه وحفظه والعلم به ومع أنهم عرب خُلص إلا أنهم لم يحيطوا علما بكل ما في القرآن، فهناك المجمل الذي يحتاج إلى تفصيل، والمبهم الذي يحتاج إلى بيان وتفسير[1].

لقد أخفق وات في جعل النّبي صلى الله عليه وسلم في خلوته إلى غار حراء كان سببه الهروب من الحر والرغبة في العزلة يقول "ربما كان وسيلة للهروب من حرارة مكة في موسم متعب لمن كانوا لا يستعطون الذهاب إلى الطائف، ويمكن أن يكون للتأثير اليهودي والمسيحي أو بعض التجارب الشخصية أو الحاجة والرغبة في العزلة"[2].

كما جعل "وات" من بواعث هذه الخلوة "السعي إلى الوحدة ليلجأ إلى الأمور الإلهية ويؤدي بعض العبادة وربما طلبا للتكفير عن الخطايا "[3].يقول الغزالي في غار حراء كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعبد، ويصقل عقله، ويغذي روحه ويقترب من الحق بهذه ويبتعد عن الباطل ، حتى وصل من الصفاء إلى مرتبة عالية في هذا الغار اتصل محمد صلى الله عليه وسلم بالملأ الأعلى"[4].

ونجد الرد واضحا من مستشرق قبل الحق ودافع عن الدين إنه "إيتين دينيه" يقول عن تلك

---

[1] محمد بن محمد أبو شهبة وعبد الغني عبد الخالق، (دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين)، مكتبة السنة،القاهرة، مصر، ط1، 1989م، ص: 287.

[2] المرجع السابق،وليم مونتجمري وات (محمد في مكة)، ص: 108.

[3] المصدر نفسه ،ص :109.

[4] محمد الغزالي (فقه السيرة)، دار الكتب الحديثة ،القاهرة ،مصر،ط6، 1965، ص :89.

الخلوة التي كان صلى الله عليه وسلم يفعلها يقول إيتين: "... نعم غير أن روحه التي اصطفاها الله كانت تجد متعة أسمى و أروع في الهرب من الانحلال الأخلاقي و الضلال الديني الذين سادا العرب إذ ذاك[1].ويعلق إيتين دينيه عن قضية الخلوة: "حقا إنه ليدهشني أن يرى بعض المستشرقين : أن محمد قد انتهز فرصة الخلوة هذه فروى و رتب عمل المستقبل ،بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك،فوسوس بأن محمد ألف في تلك فترة الخلوة القرآن كله،أحقا لم يلاحظوا أن هذا الكتاب الإلهي خال من أية خطة سابقة على وجود مرسومة على نسق المناهج الإنسانية و إن كل سورة من سورة منفصلة عن غيرها ،و خاصة بحادثة وقعت ،بعد الرسالة طيلة فترة تزيد على عشرين عاما و إنه كان من المستحيل على محمد أن يتوقع ذلك و يتنبأ به ؟" [2] .

لقد تعرض وات إلى السور من القرآن وألقى شبهته فيها مثل آيات سورة النجم قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ ﴾ [النجم-10إلى14]. يقول "وات" عن هذه السورة إنّ التفسير المعتاد لهذه الآيات عند المسلمين أنّ المرئي كان جبريل عليه السلام، ولكن هناك أسباب تدعونا إلى أن نظن أنّ محمد صلى الله عليه وسلم قد فسرها في الأصل على أنّها رؤية لله ذاته، فإنّ جبريل عليه السلام لم يذكر في القرآن إلاّ في المدينة.وتعبير "عبده" في [الآية 10] لا بد أنّه يعني عبد الله كما يجمع المسلمون ولكن ذلك يجعل التركيب اللفظي غير منسجم إلاّ إذا كان الله هو المعني بالأفعال. يقول وات، "من المحتمل أن لا تكون الكلمات (أنت رسول الله) كلاما خارجيا، بل ربما لم تكن حتى كلاما تخيليا، وإنّما كلام ذهني، بمعنى أنّه لم يسمع بأذنيه ولا حتى تخيل نفسه يسمع، وإنّما كانت هذه الكلمات نوعا من الاتّصال الذي أتاه من غير كلمات"[3] .

---

[1] إيتيان دينية سليمان بن ابراهيم (محمد رسول الله)، تر: دكتور عبد الحليم محمود – و دكتور محمد عبد الحليم ،دار المعارف القاهرة، مصر،ط3،د.ت،ص 103.

[2] المرجع نفسه، ص 107.

[3] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في مكة) ، ص: 105.بتصرف.

الأكيد أن وات وبرغم من استشهاده بالكثير من آيات الذكر الحكيم في الكثير من المواضع، استغفل نفسه أو تغافل عنها ليثبت مزاعمه الكاذبة في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ [النجم 1 إلى12].

5- رحلة الدعوة السِّرية:

يقول (مونتجمري وات) عن هذه المرحلة :"...وهناك دلائل قوية في الأحاديث على أنّ هناك تميزا بين الدعوة العلنية والدعوة السرية... وقد أخبرنا ابن إسحاق أنّ الوحي كان يبلّغ إلى محمد صلى الله عليه وسلم على لسان إسرافيل لمدة ثلاث سنين قبل السنين العشر التي كان الوحي يأتيه فيها على لسان جبريل "[1].

ويقول أيضا "وقد استمرت هذه المرحلة ثلاث سنين وفي هذه المرحلة كان قد بدأ يتلقى وحيا من نوع ما، وفي الأحاديث التي ورد فيها ذكر إسرافيل ما يفيد أنّ محمد كان يسمع صوتا ولا يرى جرما ويمكن أن نرجع القسم الأول من سورة العلق وسورة الضحى إلى هذه المرحلة، وقد يكونان (العلق والضحى) أيضا من نوع الوحي ذي الطبيعة الخاصة (الموجهة إلى محمد خاصة). والذي لم يعتبره محمد جزءا من القرآن، وعند نهاية هذه السنين الثلاث كانت الفترة فترة انقطاع الوحي"[2].

يتضح مما سبق:

- أنّ الدّعوة السرية عند مونتجمري وات استمرت ثلاث سنوات، وكان ملك الوحي هو إسرافيل عليه السلام.

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، محمد في مكة ، ص 114.

[2] المصدر نفسه، ص 116.

- دعي وات أن سورة الضحى، والقسم الأول من سورة العلق من أنواع الوحي الخاص الذي نزل في هذه المرحلة، والذي لم يعتبره سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جزءا من القرآن.

لكن ماهو معلوم لدى الجميع أنّ ملك الوحي الذي نزل بالقرآن من عند الله كله من أوله إلى آخره هو الأمين جبريل عليه السلام قال تعالى:﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء-192-195].

وأما دعوى "وات" بأنّ سورة الضحى وبعضا من سورة العلق لم يعتبرها نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن،فلم هي موجودة في مصاحفنا إلى اليوم، يريد وات من خلال كلامه تشويه سمعة النّبي محمد صلى الله عليه وسلم واتّهامه بالتحريف كيف لنبينا أن يحذف السورة التي تعتبر أوّل سورة نزلت من القرآن.حقيقة يحاول "وات" يحاول أن يشككنا في القرآن من أوّله، ونفهم أيضا من كلام وات أنّه يريد اتّهام النّبي محمد صلى الله عليه بزيادة سورة الضحى وحاشا أن يكون نبينا عليه الصلاة والسلام كذلك .

يشكك "وات" بأنّ محمدا صلى الله عليه وسلم لا يميز بين كلامه، والوحي النازل عليه يقول وات: "ومن البداية لا بد أنّ محمدا قد ميّز بشكل واضح بين ما يأتيه وحيا _كما يعتقد_ وبين ما ينتجه عقله الواعي، أمّا كيف كان يميز بينهما، فهذا أمر غير واضح تماما" [1].يقول نذير حمدان "فقد عقد المتعمقون بالعربية من المستشرقين موازنات بين القرآن وبين الحديث النبوي الثابت عنه من حيث الأسلوب والمحتوى واستنتجوا من بعدها أن هناك أسلوبين في البيان ومضمونين في المعاني والمبادئ "[2]. والفرق واضح أيضا بين كلام الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بعدم كتابة السنة حتى لا تختلط عليهم ولا يفرقون بينها وبين القرآن الكريم .

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في مكة) ، ص121.

[2] المرجع السابق،نذير حمدان، (الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين)، ص 36.

7- **قصة الغرانيق:**

سبب هذه القصة عند المستشرقين هو سورة النجم في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم 19-23].يدعي "وات" أنه حدث ذات مرة أن قرأ محمد هذه الآيات الشيطانية باعتبارها جزءا من القرآن الكريم، ونظن أنّ هذه القصة لم يخترعها المسلمون المتأخرون زمنا ولا نظن أن غير المسلمين قد أقحموها في التاريخ الإسلامي "[1].

ويضيف بعدها كتعقيب واستدراك للقول الأول: "إنّه من المؤكد أنّ محمدا قد أعلن بعد ذلك أنّ هذه الآيات الشيطانية ليست من القرآن الكريم وأنّ آيات أخرى قد حلت محلها تحمل مضمونا مختلفا تماما، والروايات الأولى لا تحدد الفترة الزمنية بين محمد وهذه الآيات الشيطانية وإنكاره لها، إنّه من المحتمل أنّ ذلك قد استغرق أسابيع أو حتى شهورا "[2].ويقول أيضا:"وربما نظر محمد إلى اللات والعزّى ومناة كموجودات وإنْ كانت لها قدسية إلاّ أنّها أقل أهمية من الله سبحانه وتعالى على النّحو الذي يعتقد فيه اليهود والمسيحيون بوجود الملائكة ".[3] نفهم من كلام وات المزعوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم ظل يردد (أقصوصة الغرانيق المزعومة) لمدة من الزمن حسب إدّعاء وات،ويعني ذلك أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم نطق بهذه الآيات المزعومة.لكن هذه القصة خرافية وباطلة ،ويعتبر الواقدي أوّل من روج لقصت الغرانيق ثم أخذها عنه ابن سعد والطبري وغيرهم، وخلاصتها أنّ النّبي صلى الله

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في مكة)، ص206.

[2] المصدر نفسه، ص: 207، 208.

[3] المصدر نفسه، ص: 213.

عليه وسلم حينما بلغ قال عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم 19-20]. ألقى الشيطان كلمتين على لسانه (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما،ثم معنى فقرأ السورة كلّها، وسجد. وسجد القوم جميعا.... فرضوا لما تكلم به رسول الله، وقالوا قد عرفنا أنّ الله يحي ويميت ويخلق ويرزق ولكنّ آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ...لم يرو ابن اسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقا ".[1] ثم يتساءل كيف أمكن تمرير هذه الواقعة مع علم روايتها بعصمة الرسل؟ وكيف يمكن أن ينطق النّبي عمّا يتعارض مع دعوته وفي وجود التحذير الإلهي؟ قال عز وجل: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحاقة :44-45]...بالإضافة إلى أن هذه القصة لا سند لها"[2].وسورة النجم لخير دليل في محاربة هذه الأصنام قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم 19-23].

يرى "وات" أن النّبي محمد صلى الله عليه وسلم قد أضاف آيات في القرآن لأهداف مادية اقتصادية فيقول: "أفعل ذلك محمد رغبة منه في الحصول على مؤيدين له في المدينة والطائف والقبائل المحيطة بها ،هل حاول إحداث توازن بين هؤلاء وزعماء قريش الذين يناوؤونه بأنْ يجمع حوله أكبر عدد من المؤيدين في أقل القليل؟ ثم أليس ذكره لهذه الأوثان دليلا على أنّ رؤيته قد اتسعت ؟ أيْ أنّ نظره بدأ يتجه لأبعد من دعوة قريش[3].

---

[1] عبد الله محمد الأمين النعيم، (دراسات تاريخية لآراء وات بروكلمان – مقارنة بالرواية الاسلامية الاستشراق في السيرة النبوية–) المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسلة الرسائل الجامعية 21 ،ط1، 1997،ص 97-98.

2 المرجع نفسه، ص 98.بتصرف.

[3] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في مكة)، ص216.

إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن كذلك بل كانت مهمته أنْ يبّلغ الرسالة ويؤدّي الأمانة، قال تعالى:﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾[فاطر -23].وقال أيضا:﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية :21-22].لقد افترى وات هذه الواقعة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ظلما وزورا، وأما قوله أن نظرته بدأت تتسع لأبعد من دعوة قريش فكلام باطل بدليل من القرآن الذي اعتمد عليه وات في بحته كما يدّعي في مقدمة كتابه " محمد في مكة".

7- هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وبيعته:

يرى "وات" أن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة لم تكن بالقدر الذي تصوره المصادر الإسلامية، فيقول:" إن سلطاته كما يحددها الدستور ليست واسعة ولا بد أنها كانت أضيق في مطلع إقامته بالمدينة، والشيء الوحيد الذي يقرره الدستور صراحة هو أن جميع الخلافات يجب أن تعرض على محمد"[1].كما يعتبر وات أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مجرد زعيم لجماعة المهاجرين، فيقول: "إن محمد كزعيم لجماعة المهاجرين كان مساويا لزعماء مختلف القبائل. ولما كان المهاجرون مذكورين قبلهم قبل غيرهم فلربما كان لمحمد أولية شرفية بين زعماء القبائل"[2].ويتراجع "وات" كعادته قائلا: "فهو ليس سوى شخصيةٍ مهمة بين شخصيات أخرى.وربما كان لعدد من الشخصيات في السنة الأولى التي قضاها محمد في المدينة نفوذ أعظم من نفوذ محمد"[3].

برهن "وات" على ضعف مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة - حسب رأيه- فيقول:"وتدل عدة حوادث وقعت في النصف الأول من الفترة المدنية على ضعف المكانة التي كان يحتلها محمد بعد حديث الإفك الذي تعرض لعفة عائشة، حيث أظهر ابن أُبيٍّ رغبته في نشر النميمة...، وكذلك حين عرضت مشكلة معاقبة قريظة على خيانتها لم يغامر محمد في إصدار أي

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة) ، ص: 348.

[2] المصدر نفسه، ص: 348.

[3] المصدر نفسه، ص: 348.

حكم بنفسه، فلو أنه قرر سفك دماء قريظة لدعا الشرفُ بعضَ حلفاء اليهود – ولو كانوا مسلمين– إلى الثأر لهم؛ ولهذا ترك تقرير العقوبة إلى زعيم القبيلة التي كانت قريظة حليفة لها"[1].ويقول: "ويبدو محمدٌ زعيمَ جماعة من الجماعات العديدة المتضامنة للقيام بعمل مشترك ولا شيء سوى القليلِ يميز النبي عن سائر الزعماء"[2].

كذلك يرى "وات" أن أهل المدينة لم يقبلوا – طواعية– أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم حكما بينهم ،وإنما قبلوا ذلك فيما بعد مُكرهين حينما أمرهم النبي بذلك ، فيقول: "وإذا كان أهل المدينة حين قبلوا محمدً ا نبيًا لهم ، وحينما نظموا مجيئه إلى مدينتهم لم يعترفوا له صراحة بحق في أن يحكم بينهم ، فإنهم لم يعتموا أن قبلوا ذلك بالقوة ، فقد نزل الوحي يأمره بالرجوع إلى الله في كل الخلافات"[3].

يزعم"وات" أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتفق على شيء في بيعة العقبة (بيعة الحرب) ثم خالف هذا الاتفاق بعد ذلك، وأن النبي قد تحدث في هذه البيعة عن الدفاع العسكري فقط ولم يتحدث عن الهجوم العسكري ، ويلاحظ وات أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كانت غزواته الأولى هجومية ، فيقول: "وأغرب ناحية في مكانة محمد خلال إقامته في المدينة هي الناحية العسكرية وبيعة الحرب لا تتحدث إلا عن العمل الدفاعي ولا تتحدث عن عمليات هجومية، وكانت تخرج من المدينة على أمل أن تنصب كمينا لبعض القوافل المكية، وليس أكيدا أن أهل المدينة قاموا بدور في هذه الغارات، ولكن يمكن أن يكونوا اشتركوا فيها"[4].كما يدعي أنه:"لا يوجب دستور المدينة الطاعة،وأن الطاعة كاملة لمحمد في هذا الوقت، والتي تختلف عن أمر من أوامر القرآن لم تكن واجبة صراحة، واستمر الحال كذلك حتى غزوة الحديبية"[5].

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة)، ص: 348/ 349.

[2] المصدر نفسه، ص: 349.

[3] المصدر نفسه، ص: 350.

[4] المصدر نفسه، ص: 351/ 352.

[5] المصدر نفسه، ص: 355.

يحاول "مونتجمري وات" أن يقلل من قدر النبي صلى الله عليه وسلم وهيبته في أعين العالم، ويريد كذلك أن يُقلل ويشكك من قدرته على قيادة المجتمع الإسلامي، وأن يُظهره على أنه أخذ البيعة بالقوة، وأن المسلمين من المدينة لم يبايعوه إلا بعد أن أجبرهم القرآن على ذلك، فحاشا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحاشا القرآن الكريم،وحاشا أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجميع المسلمين أن يكون كذلك،وإنما كلهم كانوا يمتثلون لأمره الله تعالى.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء-58]وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾ [الأنفال- 20] وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال- 46].وقد توعّد القرآن الكريم كل من لا يحتكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالعذاب الشديد فقال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء- 65].

وأما ما ذهب إليه وات من الاستدلال على ضعف مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة بحادثة الإفك، حين افترى هذه الفرية عبد الله بن أُبي بن سلول ،ولم يُقم النبي صلى الله عليه وسلم عليه حد القذف كما أقامه على بعض أهل الإفك، فهذا استدلال باطل."لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن متأكدا من أن ابن أُبي هو مصدر الافتراء وناشره. وأنه عندما ثبت القذف على حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة جُلد جلداً"[1].وفي هذا يقول ابن القيم الجوزية (رحمه الله تعالىٰ): "ولم يُحَدَّ الخبيث عبد لله بن أبي مع أنه رأس أهل الإفك فقيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة

[1] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج، (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، ص: 173/2 بتصرف.

والخبيث ليس أهلا لذلك وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة فيكفيه ذلك عن الحد وقيل : بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه وقيل : الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو ببينة وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد فإنما كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ولم يكن يذكره بين المؤمنين، وقيل: حد القذف حق الآدمي لا يستوفي إلا بمطالبته وإن قيل: إنه حق لله فلا بد من مطالبة المقذوف وعائشة لم تطالب به ابن أُبي، وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مرارا وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الإسلام فإنه كان مطاعا فيهم رئيسا عليهم فلم تؤمن إثارة الفتنة في حده ولعله ترك لهذه الوجوه كلها"[1].

وهنا تظهر واقعية الإسلام وعدله في تطبيق حدوده حتى مع أعدائه، كما يظهر حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تأليف قلوب الأعداء إلى الإسلام، ومعاملتهم بمبدأ العفو والصفح حتى يتسنى لهم معرفة طريق الحق و النور ؛ لأن ذلك يتماشى مع المصلحة العليا للإسلام، فكانت النتيجة أن اعتنقه الكثير ممن كانوا أعدائه بالأمس، ومن استمر منهم على النفاق والشرك والضلال فضحه الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾ [البقرة- 204/ 206].

وأما ما زعمه "وات" حول ضعف مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وتفويض النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، في قتل يهود بني قريظة دون أن يحكم فيهم بنفسه فهذا تفسير خاطئ؛ لأن من سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام الأساسية اتخاذ جميع القرارات، خاصة

[1] محمد بن القيم الجوزية، (زاد الميعاد في هدي خير العباد)، تح: شعيب الأرناؤرط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،مكتبة المنار الإسلامية، (بيروت- لبنان)، (الكويت) ،ط27، 1415هـ /1994م ، ص: 236/3.

المصيرية منها بالتشاور مع أصحابه. ومبدأ الشورى من أهم المبادئ الإسلامية التي جاء بها لتنظيم شؤون الدولة السياسية والاجتماعية ويضاف إلى ذلك قيام الرسول بإناطة مهمة الحكم على بني قريظة التي خانت مواثيقها مع المسلمين ونكثت عهودها معهم بحليفهم وهو سعد بن معاذ يدل على حس سياسي في غاية السمو والرقي، ولا يدل على الضعف والخَوَر. ولو اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم مثل هذه القرارات من تلقاء نفسه لوجد حلفاء بني قريظة عليه، ولآلمتهم هذه الإجراءات القاسية التي اتخذت ضد حلفائهم الطبيعيين، ولكان في النفس منها شيء كثير. ولكن اتخاذ الإجراءات الدالة على حسن السياسة والتصرف، والتي تأخذ بعين الاعتبار الظروف المحيطة بالوقائع المطروحة في إطار زمانها ومكانها يدل على السياسة والذكاء لا على خلافها"[1].

ثم إن الرواية الواردة بهذا الشأن لا تدل على ضعف مكانة النبي صلى الله عليه وسلم. لقد طلبت قبيلة الأوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو عن بني قريظة كما سبق أن عفا عن بني قينقاع، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ (زعيم الأوس) – والتي كانت بني قريظة حليفة لها- حكما عليهم، فحكم فيهم بأن "تُقتل الرجال، وتُسبى الذراري والنساء، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم له: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»"[2] .

يدعي "وات" أن بيعة العقبة لم تشمل حديثا عن أي عمل هجومي بل كانت اتفاقا على الدفاع عن النبي فقط، لكن قد خالف ذلك الاتفاق وقام بالكثير من السرايا والغزوات.

و يزعم أيضا أن المهاجرين فقط هم الذين اشتركوا في الغزوات الأولى دون الأنصار، يريد بذلك أن يدلل على تخاذل –حسب زعمه- الأنصار عن رسول صلى الله عليه وسلم. وأما كتب التاريخ تشهد بعكس ما قاله هذا المستشرق: "...قال العباس بن عُبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن

[1] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج، (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، ج 2/ص:173،174.

[2] الأرقعة: السَّمَوَات، الْوَاحِدَة: رقيع. ينظر: الحديث: عبد المالك ابن هشام بن أيوب الحميري، (السيرة النبوية)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2 ، 1375هـ/1955م، ج 2/ص:239،240.

شئت لنميلَنّ على أهل مِنَى غدا بأسيافنا؟ قال:فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم نُؤْمَر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم». قال فرجعنا إلى مضاجعنا، فنِمنا عليها حتى أصبحنا"[1] .ومن الرواية السابقة يتضح أن بيعة العقبة كانت قائمة على الدفاع والهجوم معا. أما اشتراك المهاجرين دون الأنصار في السرايا الأولى، فسبب ذلك": أنهم موتورون من قِبلها فقد اضطهدهم قومهم ونكَّلوا بهم وساموهم سوء العذاب ثم طردوهم من ديارهم واستولوْا على أموالهم وممتلكاتهم. وهذه الأمور مجتمعة أدت بالمهاجرين إلى الترصُّد للقوافل التجارية القرشية ؛ علّهم بهجومهم عليها يستردون جُزءًا من حقوقهم المسلوبة ، ويثأرون للظلم والاضطهاد الذي حاق بهم، ولكن بعد أن اتسع نطاق العمليات الحربية. وبعد أن فرضت الحروب على المسلمين وأصبح الجهاد ركنا أساسيا، اشترك المهاجرون والأنصار في جميع العمليات العسكرية التي دارت رحاها بين المسلمين وأعدائهم"[2].

نعم ، لقد أراد المسلمون استرداد بعض حقوقهم المسلوبة التي هضمها كفار قريش وقد بين القرآن الكريم مدى الظلم الذي وقع عليهم بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَـٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج-39،40]. ويمكن أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قصد هذه السرايا لردع اليهود المقيمين معه في المدينة؛ لأنهم لما رأوه مستقلا في عبادته ومعاملاته، وأخذ شأنه يسمو ويرتفع ناصبوه العداء وقاتلوه بالسيف والقلم، وقد كان النبي على علم بدواخل نفوسهم فأراد أن يزرع الخوف فى قلوبهم حتى لا يبادروا بالاعتداء عليه"[3]ومما يؤكد ذلك أن اليهود نصبوا العداء للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم فإن ادعاءات "وات" مردودة عليه.

---

[1] المرجع السابق،عبد المالك ابن هشام بن أيوب الحميري، (السيرة النبوية)، ص: 447/1، 448.

[2] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج، (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، ص:ج 176/2.

[3] المرجع نفسه، ص: ج177/2 بتصرف.

المبحث الثالث: صورة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة عند مونتجمري وات

سنحاول في هذا المبحث إبراز بعض أفكار وأراء"مونتجمري وات" حول صورة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولا سيما ما تعلق بسيرته الشريفة في المدينة؛ والتي من خلالها حاول"وات" الترصد لصورة النبي صلى الله عليه وسلم وانتقاء ما يناسبه من أفكار، حتى يتسنى له إظهارها للعالم على أنها مجرد سيرة لشخصية بطلة كانت تروى في القصص والحكايات؛ وهذا شيء بديهي لمنْ لا يعرف قوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب- 40]، وقال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان-1]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[1].

1. الهجرة وتأسيس الدولة في المدينة في فكر وات:

يبدأ مونتجمري وات كلامه عن الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة بنفي السبب الرئيسي (الهجرة إلى المدينة) وهو الفرار من أذى المكيين للمسلمين، ويرى ذلك أن مجرد زعم أو تضخيم للهجرة،ويرى أن: "دوافع النّبي لذلك كانت هي إمكانية ازدهار الحركة في المدينة أما قول عروة بن الزبير أنّهم هاجروا للمدينة هربا من الاضطهاد،فالتركيز على ذلك يعطي انطباعا خاطئا فلم تكن هناك سلسلة جديدة متواصلة من الاضطهاد قبل الهجرة"[2].وهذا زعم خاطئ ،لأن هجرة الرسول وأصحابه لم تكن إلا بعد اضطهاد وظلم من طرف كفار قريش الذي أوقعوه على النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه،ووصل التعذيب والتنكيل إلى حد موت بعض المضطهدين .

---

[1] أبو الحسين مسلم بن الحجاج،صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1991،1، ص: 371/1. رقم الحديث: 523.

[2] المرجع السابق،مونتجمري وات، (محمد في مكة)، ص: 290.

يأتي هذا التفسير من وات للهجرة ضمن سلسلة تفسيراته الماركسية لوقائع السيرة النبوية – بل لأهم حدث في السيرة- وخطته هي تفريغ السيرة من محتواها الديني خاصة العقدي (التوحيد) منها.وقد استبعد وات واقعة أكدتها كل كتب السيرة النبوية الشريفة، بل أكدها القرآن الكريم قبل ذلك، وهي التآمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى محذرا رسولَ لله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال – 30].

يريد (وات) أن ينفي بلا دليل ولا برهان ولا بيان فيقول: لم تكن هناك محاولة تتسم بالتصميم على قتل محمد، وعلى هذا فالاتفاق الذي اتفق عليه زعماء قريش في هذا الاجتماع كان أقل خطورة مما تؤكده المصادر"ويقول: "فالرواية عن الهجرة بشكل عام تتسم بوجود كثير من الزخارف المقحمة"[1].

لقد تعرض النبي صلى الله عليه وسلم لمحاولات عديدة لاغتياله والقضاء على رسالته،خاصة في بداية الدعوة من طرف كفار قريش، وذلك للتخلص من رسالة الإسلام التي هددت دين آبائهم،وكانوا يتهمونه بالكذب تارة أو بالجنون أو بالسحر ويترصدونه في كل حين للوثوب عليه وتصفيته.

إن وات يدعى أنه لم تكن هناك اضطهادات كثيرة قبل الهجرة ،وأن سبب الهجرة لم يكن شدة الإيذاء الواقع على المسلمين،وإنما كان سعيا وراء ازدهار الحركة في المدينة.والحق أن معظم الآيات التي نزلت في آواخر الفترة المكية قبل الهجرة،كانت تحمل للمسلمين نوعا من المواساة التي تخفف عنهم ألم المعاناة والتعذيب الذي كانوا يلاقونه من مشركي وكفار قريش، فنزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل- 41]وقال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت- 56، 57].

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في مكة)، ص: 292.

قال ابن كثير: "هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذين لا يقدرون فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم[1]. وقال الإمام البغوي (رحمه الله تعالى): سبب نزول هذه الآية: في المسلمين الذين بمكة لم يُهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان"[2]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ [النحل- 110]وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت: 2 -3].

كل تلك الآيات نزلت في أواخر الفترة المكية لحث المسلمين على التذرع بالصبر، وتحمُّل الأذى في سبيل الله تعالى، وفيها أيضا أن الهجرة كانت خلاصا لهم من الفتنة، وجزاءا وفاقا لهم على الصبر وتحمل الظلم.يزعم وات أنه لم تكن هناك محاولة جادة من قبل المشركين في دار الندوة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم.

إن وات لا ينفي هذا الاجتماع بالجملة، وإنما ينفي ما دار فيه من تآمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا كان وات لا ينفي هذا الاجتماع، فهل يستطيع أن يخبرنا عن سبب انعقاده؟فمن أراد جوابا لهذا السؤال؟ لا يجده عند وات، بل في القرآن الكريم الذي يؤكد سبب انعقاد هذا الاجتماع ألا وهو كيد ومكر المشركين، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال- 30] .

[1] المرجع السابق،عماد الدين ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ص: 290/6 .

[2] محمد بن عبد الوهاب، (الأصول الثلاثة وأدلتها)، مكتبة الملك فهد، (المملكة العربية السعودية)،ط1، 1430هـ/2009م، ص: 58.

وكذلك الروايات الإسلامية تؤكد ذلك: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: "وَلَمّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شِيعَةٌ وَأَصْحَابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ بِغَيْرِ بَلَدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عَرَفُوا أَنّهُمْ قَدْ نَزَلُوا دَارًا ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَنَعَةً فَحَذِرُوا خروج رَسُولَ الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَيْهِمْ وَعَرَفُوا أَنّهُمْ قَدْ أَجْمَعَ لِحَرْبِهِمْ. فاجتمعوا له في دار الندوة — وهي دَارُ قُصَيّ بْنِ كِلَابٍ الّتِي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها– يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه، فعن عبد الله ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: لما أجمعوا لذلك واتَّعَدُوا أن يدخلوا في دار الندوة لِيَتَشَاوَرُوا فِيهَا فِي أَمْرِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم غدَوْا في اليوم الذي اتَّعدوا له وَكَانَ ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، بَتْلَةٌ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدّارِ فَلَمّا رَأَوْهُ وَاقِفًا عَلَى بَابِهَا ، قالو: مَنْ الشيخ؟ قال شيْخ من أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالّذِي اتّعَدْتُمْ لَهُ فَحَضَرَ مَعَكُم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يُعدمكم مِنْهُ رَأْيًا وَنُصْحًا ، قَالُوا : أَجَلْ فَادْخُلْ فَدَخَلَ معهم وقد اجتمع فيها اشراف قريش. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إنّ هَذَا الرّجُلَ قد كان من أمره ما قد رأيتم فإنا والله ما نأْمَنُه عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا فِيمَنْ قَدْ اتّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا ، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأيا. قال فتشاورُوا. ثم قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا ، ثُمّ تَرَبّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنْ الشّعَرَاءِ الّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ زُهَيْرًا وَالنّابِغَةَ وَمن مضى منهم من هذا الموت حتى يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ فَقَالَ الشّيْخُ النّجْدِيّ: لَا والله ما هذا لكم برأي. ولله لئن حبستموه كَمَا تَقُولون ليخرُجنَّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتم يُكاثروكم به حتى يغلبوكم عَلَى أَمْرِكُمْ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَانْظُرُوا فِي غَيْرِهِ فَتَشَاوَرُوا . ثُمّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ نُخْرِجُه مِنْ بين أظهُرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أخرج عنا فوالله ما نُبالي أين ذهب ولا حَيْثُ وَقَعَ إذَا غَابَ عَنّا وَفَرَغْنَا مِنْهُ فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأ لفَتْنَا كَمَا كَانَتْ . فَقَالَ الشّيْخُ النّجْدِيّ: لا ولله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي بهو اهلَ لو فعلتم ذلك ما أَمِنتم أن يحل على حيّ من الْعَرَبِ ، فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ من قوله وحديثه حتى يُتابعوه عليه ثم يسير بهم إليكم حَتّى يَطَأَكُمْ بِهِمْ فِي بِلَادِكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رَأْيًا غَيْرَ هَذَا قَالَ فَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَالله إنَّ لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بَعْدُ

قَالُوا : وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلّ قَبِيلَةٍ فَتًى شَابّا جَلِيدًا نَسِيبًا وَسِيطًا فِينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعْمدوا إليه فيضربوه بها ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُوهُ فَنَسْتَرِيحَ مِنه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جَمِيعًا ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا،فَرَضُوا مِنّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ . قَالَ فَقَالَ الشّيْخُ النّجْدِيّ: القول ما قال الرجل هذا الرأي الذي لا رأي غيره فَتَفَرّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَه"[1].

هذه النصوص تظهر أن الهدف من هذا الاجتماع كان واحدًا من ثلاثة أمور:

أ- الحبس ، وهذا واضح من قوله تعالى فى الآية السابقة : ليثبتوك ،كما في تفسير ابن كثير : أي ليحبسوك.

ب- القتل ، وهذا واضح من قوله تعالى في الآية : ليقتلوك.

ج- النفي من مكة ، وهذا واضح من قوله تعالى في الآية : ليُخرجوك.

ومعروف أن وات جعل من مصادره في الدراسة سيرة ابن هشام، فكيف تغافل عن هذه الرواية ؟.

2- مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة:

حاول وات أن يثْبت ضعف مكانة النّبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فيقول: "وتدل عدة حوادث في النصف الأول من الفترة المدنية على ضعف المكانة التي يحتلها محمد بعد حديث الإفك الذي تعرض لعفة عائشة رضي الله عنه حيث أظهر ابن أبيّ رغبته في نشر النميمة...،وكذلك حين عرضت مشكلة معاقبة قريظة على خيانتها لم يغامر محمد في إصدار أيْ حكم بنفسه..."[2].لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم شريف النسب حسن الخلق ،كامل الخلقة، اختاره الله ليكون رسولا لعظم شأنه وعلو منزلته ،رحمة مهداة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، عرف بالحكمة وسداد الرأي ،فكيف لا يكون قائدا وعزيزا عند قومه أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا في حضرة رسول الله لعظم شأنه وعلو مرتبته قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾ [الحجرات: 2].

---

[1] المرجع السابق،ابن هشام، (السيرة النبوية)، ص: 482/1 .

[2] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة)، ص: 348-349.

اتّخذ أذى المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم صورا شتى من السبّ العلني والضرر المادي،فعن ابن مسعود رضي الله عنه "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: "ألا تنظرون إلى هذا المرائي أيّكم يقوم إلى جزور آل فلان... فانبعث أشقاهم فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه...."[1].

قد ختم المشركون آذاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،بمحاولة قتله في أواخر المرحلة المكية ممّا كان سببا مباشر للهجرة، يقول النّبي محمد صلى الله عليه وسلم: "لقد أُخفت في الله عز وجل وما يُخاف أحد، ولقد أُوذيت في الله وما يُؤذى أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولا لبلال طعام يأكله ذو عبد إلاّ شيء يواريه إبط بلال "[2].

يرى وات أنّ النّبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يقبلوا به أن يكون حكما بينهم إلاّ مكرهين فيقول: "وإذا كان أهل المدينة حين قبلوا محمدا نبيّا لهم، وحينما نظّموا مجيئه إلى مدينتهم لم يعترفوا له صراحة بحق في أنْ يحكم بينهم، فإنّهم لم يعتموا أن قبلوا ذلك بالقوة، فقد نزل الوحي يأمره بالرجوع إلى الله في كل الخلافات ".[3]

وفي الحقيقة أنّ المسلمين كانوا متبعين للنّبي صلى الله عليه وسلم "كانوا يخضعون ويستسلمون لآراء رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبارها أوامر إلهية لا يجوز معصيتها أو الخروج عنها".[4]والقرآن الذي اعتمده وات كمصدر ينافي ما يقوله عن النّبي محمد صلى الله عليه وسلم، محاولا الحط من شأنه أمام أتباعه والتقليل من هيبته. قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء- 58].

---

[1] أكرم ضياء العربي، السيرة النبوية الصحيحة، ناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة العربية السعودية، ط6 ،1996م، ص 147- 148.

[2] المرجع السابق، ص 148.

[3] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة) ، ص 350.

[4] المرجع السابق،سالم ساسي الحاج (نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية في الدراسات الاسلامية)، ص2/ 172-173. بتصرف.

وقال أيضا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء- 65].

يقول وات "ولا شك أنّ القرآن أبقى على بعض الطقوس التي كانت في الأصل سحرية ولكنّ القرآن لا ينم عن أية إشارة للاعتقاد بفعاليتها، ولقد استمر في الاعتقاد بالسحر، كما أدخلت قصص الطقوس السحرية في النصوص التقليدية المتعلقة بمحمد، وتدور إحدى هذه القصص حول حادثة وقعت في معركة بدر إذ يقال: أنّ رسول الله أخذ حفنا من الحصباء فاستقبل بها قريش ثم قال: شاهت الوجوه ثم نفحهم بها، ويشير إليها القرآن بكلمات ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال لآية 17]"[1].

لقد حوّل واط الحادثة إلى ظاهرة سحرية، وهذا قول مردود عليه والآية لا تعني ذلك إطلاقا بل هي تدبير الله لرسوله وللمؤمنين. لقد نهى القرآن نبينا على السحر نهيا قاطعا قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ [البقرة – 102]

يسعى "وات" جاهد في أنْ يضع نوعا من الشقاق وعدم الوفاق بين محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه "وكان بين المؤمنين أنفسهم منْ لا يقّر بسياسة محمد، غير أنّ المصادر تميل إلى التقليل من شأن الخلافات التي نشأت داخل الأمة، وإيهامنا بأنّ هذه الأمة كانت متّحدة أكثر ممّا هي حقيقة ".[2] فالذي لم يكن يقرّ بزعامة النبي صلى الله عليه وسلم آنذاك، لم يكن يؤمن بالرسالة أصلا.

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة) ، ص 476-477.

[2] المصدر نفسه، ص 274.

3- دستور النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة:

دستور المدينة أو صحيفة المدينة :هو أول دستور مدني في تاريخ البشرية،تمت كتابته أثناء هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ويهدف دستور المدينة إلى تحسين العلاقات بين مختلف الطوائف والجماعات وعلى رأسها المهاجرين و الأنصار والفصائل اليهودية وغيرهم الموجودين بالمدينة ،والبناء التشريعي بسبب قيام الدولة وما تتطلبه من نظم ومعطيات تشريعيّة، مع استمرار البناء العقائدي بطبيعة الحال. "[1] .

لقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا ينظم العلاقات بين المجتمع المدني الذي يضم المسلمين (مهاجرين وأنصار)، واليهود (على اختلاف انتماءاتهم)؛ وثيقة حقوقية مفصلة يستفيد جميع الناس باختلاف انتمائهم الديني وضع ذلك العهد للتعايش السلمي والتسامح والتعاون بين المسلمين والأمم الأخرى جاءت لإقامة العدل وحقن الدماء وتحقيق التكافل الاجتماعي وقد جاء في هذا الدستور: "قال ابن اسحاق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار،وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشَرَطَ لهم واشترط عليهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون ،وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى... وإن البر دون الإثم – لا يكسب كاسب إلا على نفسه وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره وإنه لا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ وَ إِنّه مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعد آمن بالمدينة، إلا من ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ وإن الله جارٌ لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2].يمكن أن نلخص رأي "وات "في هذه الوثيقة أو الدستور كما يسميه البعض في النقاط التالية:

أ- **التشكيك فى صحتها** : يشكك وات في صحة هذه الوثيقة ، فيقول: "احتفظ ابن

---

[1] عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق، بيروت)،ط1، 1426 هـ ، ص: 106 .

[2] المرجع السابق،ابن هشام، السيرة النبوية، ص: 504/1 .

إسحاق بوثيقة قديمة تسمى عادة (دستور المدينة) وهو بعد أن يقدم لها ببضع كلمات لا يذكر شيئا عن الطريقة التي وصلت بها الوثيقة إليه ولا متى وكيف طبّق هذا الدستور؟ أما وضع الوثيقة في مطلع حديثه عن الفترة المدنية فليس له من سبب سوى التسلسلِ المنطقي"[1].

ب- القول بصحتها:

وفى هذا يقول: "ولم يكن بإمكان مُزور في عصر الأمويين أو العباسيين أن يضم غير المسلمين إلى الأمة الإسلامية ، أو يحتفظ ببنود ضد قريش ويجعل لمحمد هذه المكانة المتواضعة ، كما أن أسلوب الوثيقة قديم، وبعض تعابيرها كاستعمال كلمة (المؤمنين) للدلالة على المسلمين يرجع إلى الفترة الأولى المدنية، ولقد جرى مع ذلك نقاش حول تاريخ الوثيقة ، وهل يجب تأريخها قبل معركة بدر أم بعدها؟"[2].

ج- قوله بعدم انسجام بنودها:

وفى ذلك يقول: "هناك أسباب تحْمِلنا على الاعتقاد بأن البنود التي كتبت في أوقات مختلفة قد جمعت فيما بعد. ونجد في هذه البنود فروقا لغوية. وهكذا يشار إلى المؤمنين بضمير الغائب (هم)،وفي بعض الأحيان بالضمير (أنتم)، وفي أحيان أخرى (نحن) ويطلق عليهم في أغلب الأحيان اسم (المؤمنين) ماعدا في موضعين يسمون (بالمسلمين)، وكذلك فإن بعض البنود تكرار لبنود أخرى، وتعالج نفس المسائل مع اختلاف بسيط"[3].

د- عدم اشتراك أكبر قبائل اليهود فى هذه الوثيقة:

يقول مونتجمري وات: "ويبدو طبيعيا أن القبائل الثلاث اليهودية الرئيسية ، يعنى (بنى قينقاع وبنى قريظة ، وبني النضير) لم تُذكر في هذه الوثيقة، وإذا كان الأمر كذلك فإن الوثيقة في شكلها الحالي يمكن أن ترجع للزمن الذي يلي إزالة قريظة. وليس غريبًا أن تحاط قضايا اليهود بكل هذا الاهتمام في الوقت الذي كانوا فيه أقلية في المدينة؟ يمكن أن نفسر ذلك إذا افترضنا أن الوثيقة في

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة) ، ص 337.

[2] المصدر نفسه، ص: 342، 343.

[3] المصدر نفسه، ص: 343، 344.

شكلها النهائي وضعت لتكون عهدًا لليهود الذين بقوا في المدينة وأنها كانت تحتوي على جميع البنود المتعلقة بهم الموجودة في صورة دستور المدينة القديمة"[1].

من الملاحظ أن وات قد بدأ كلامه عن هذه الوثيقة بالتشكيك في صحتها تاريخيا؛معلّلا بأن ابن اسحاق لم يذكر لنا الطريقة التي وصلت بها هذه الوثيقة إليه (يقصد الإسناد).

نعم لم يذكر لنا ابن إسحاق في سيرته إسناد الرواية التي تتحدث عن هذه الوثيقة، "على أن هذا لا يقلل من قيمة هذه الوثيقة التاريخية المهمة ولا يطعن في صحتها؛ وذلك لأن المؤرخين اختلفوا في جنسية يهود يثرب، أهم عرب تهودوا، أم هم إسرائيليون نزحوا إلى الأقاليم العربية. وبني قريظة ،وبنى النضير فرعان من قبيلة جذام العربية كما يرى ذلك اليعقوبي[2].

لقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الوثيقة اليهود إلى:

- وجوب الدفاع المشترك بينهم ،وبين المسلمين من أي عدوان خارجي.
- حرية المعتقد، واحترام آمان المسلمين.

ومن العجيب حقا، أن يتراجع وات فيؤكد صحة هذه الوثيقة مرة أخرى كما في النقطة الثانية وعلى أية حال فقد ذكر هذه الوثيقة بعض المحدثين وأهل السير. فذكرها ابن سيد الناس في (عيون الأثر)، والسُهيلي في (الروض الأنف)، وابن كثير في سيرته، وأحمد في مسنده، والبيهقي في سننه، وابن الأثير في (النهاية)، وهذه الوثيقة موجودة أيضا في كتاب (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة). وهو كتاب اعتنى فيه صاحبه بتوثيق المعاهدات والمحالفات التي جرت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، وذلك بعد دراسة سند الروايات التي جاءت تلك الوثائق من طريقها.ورواها الإمام مسلم في صحيحه عن جابر قال: «كتب النبي صلى الله عليه وسلم عَلَى كُلِّ

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة) ، ص 346.

[2] أحمد إبراهيم الشريف، (مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم)، دار الفكر العربي،القاهرة مصر، ط1،د.ت، ص: 320 بتصرف.

بطْنٍ عُقُولَه ثُمَّ كَتَبَ أَنَّه لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُتَوَالَى مَوْلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ إِذْنه ثُمَّ أُخْبِرْتُ أَنَّه لَعَنَ فِي صَحِيفَتِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ»[1].وهذا الحديث فيه" إشارة واضحة إلى بعض ما تضمنه الكتاب (دستور المدينة) من استعراض بطون الأنصار وإلزام كل بطن بما يلزم البطون الأخرى.

وهذه الرواية تعضد رواية ابن إسحاق وتقويها ، وإن اختلفت ألفاظ بعض البنود،كما أشار أبو داوود في سننه إلى هذه المعاهدة، فيروي أن المسلمين حين قتلوا كعب بن أشرف الذي كان يسُبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم "فزعت اليهود والمشركون فغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: طُرق صاحبنا فقُتل فذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول ودعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يكتب بينه وبينهم كتابا ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة"[2].

وهذه العبارة التي ختم بها الحديث صريحة في أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب بينه وبين عامة المسلمين ، وبين اليهود كتابًا وأخذ عليهم أن ينتبهوا إلى ما فيه ، وهو يتفق مع قول من أورد نص الكتاب مبينا أنه كتاب موادعة ومعاهدة أقر فيه اليهود على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم إن وات يريد أن يوحي أن اليهود لا يمكن أن يخدعوا، وأنها لا تلام على نقضها للعهود التي أبرمتها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنها لم توقع كتابيا معه، ولو وقعت كتابيا لالتزمت بعهدها.لكن أحداث التاريخ تؤكد أنهم" اختاروا النقض على الوفاء ، والخيانة على الالتزام ،والانغلاق على مصالحهم القومية، على الانفتاح على الأهداف العامة الكبيرة"[3].

إن وات يريد من وراء ذلك كله أن يُثبت أنه لم تكن هناك عداوة وخلافات بين النبي صلى الله عليه وسلم واليهود ؛ ومن ثم فإن الحرب التي دارت رحاها بينهم، لم تكن بسبب نقض اليهود للمواثيق

---

[1] أبو الحسين مسلم بن الحجاج،صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،1991،ص: 1146/2 .رقم: 1507.

[2] سنن أبي داود : تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية،بيروت لبنان،دط،دت، 154/3، رقم: 3000 .

[3] المرجع السابق،عماد الدين خليل ، (المستشرقون والسيرة النبوية) ، ص: 27 بنصرف .

كما هو معلوم – وإنما كانت اعتداء بلا مبرر، وهذا ما يخالف الروايات التاريخية التي أفرزتها الغزوات والحروب بين المسلمين واليهود.هذه هي الوثيقة التي أراد وات أن يشكك في صحتها، وقد بينت صحة سندها، وانسجام بنودها، وأنها كتبت في وقت واحد بعد الهجرة، لا كما يدعي وات أنها كتبت بعد إزالة بني قريظة.

4/– الجهاد والغزوات في فكر وات:

يزعم وات: "وشيء آخر ثابت، وهو أنّ محمدا لم يكن يعبأ كثيرا بالقتال في الأشهر الحرم، ولكنّ كان عليه أن يحترم معتقدات قسم كبير أصحابه، وأنْ يتجنب ما ينشأ عن ذلك من صدى يهدّد سلطته كنبيّ "[1].

في حقيقة الأمر أنّ نبينا صلى الله عليه وسلم كان يعظّم الأشهر الحرم،فقد كان قرآنا يتلى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة آية 36].

أ.غزوة بدر:

يدعي وات أن غزوة بدر كانت تحمل مطامع شخصية"ويبدو أنّ محمدا بذل جهده لجمع رجال يخوض بهم معركة بدر...وقد وزّع فيْئا كما يبدو حسب رأي محمد، وهذا ما يؤيد الرأي القائل بأنّها كانت غزوة شخصية نظّمها محمد ودعا الآخرين للاشتراك فيها"[2]. هذا كلام ادعاء باطل وتلفيق للأحداث صدر من طرف وات على النّبي صلى الله عليه وسلم،فاتهمه بتوزّيع غنائم بدر على هواه،ولكن هذا الافتراء ساذج، لأن الله عز وجل هو الذي شرع تقسيم الغنائم.

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة) ، ص 16.

[2] المصدر نفسه، ص 352.

قال تعالىٰ:﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ [الأنفال- 41].

وعندما تعرض "وات" لمعركة بدر أشار إلى بواعثها، وتفصيلاتها، ويذكر أنّ القريشيين عندما أزمعوا السير إلى بدر و تناهى إلى علمهم إنقاذ قافلتهم المهددة كانوا يريدون تخويف الرسول وأنصاره ومنعهم من غزو القوافل مستقبلا كما أنّ المسلمين بدورهم لم يكونوا ينتظرون الدّخول في معركة عند سيرهم، ولو علموا ذلك لامتنعوا عن السير"[1].تذكر كتب التاريخ ومصادر السيرة أن عدد الذين خرجوا من قريش نحو ألف منهم ست مائة درع ،ومعهم مائة فرس ،عليها مائة درع سوى دروع المشاة، وكل هذا الكم الهائل من الجنود لم يريدوا القتال حسب رأي مونتجمري وات .

ويستنتج أيضا أنّ الأنصار لم يتعهدوا بالدفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم إلاّ داخل أراضي المدينة، وأنّ محمدا قبل خوض القتال، اجتمع بهم وطلب إليهم فيما إذا كانوا سيساندونه في هذه الظروف".[2]

عدّد "وات" العوامل التي ساعدت المسلمين على الانتصار في معركة بدر ويرى أنّ أهمها عدم الوحدة بين صفوف القريشيين وانسحاب عدد كبير منهم قبل المعركة، وأنّ الباقين منهم لم يكونوا أنصارا مخلصين لأبي جهل وأن مزارعي المدينة لم يكونوا محاربين متفوقين على تجار مكة، ثمّ إنّ المشركين أو الذين قتلوا منهم كانوا أكبر سنا من غالبية المهاجرين، وربما كانوا يعانون العطش.[3]

استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وفي حرب النفير، يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم خيّر أصحابه بين أن يذهبوا للعير أو إلى محاربة النفير،وأخبرهم بمسير كفار قريش

[1] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج، (نقد الخطاب الاستشراقي)، ص: 181/2.
[2] المرجع نفسه، ص181/2.
[3] المرجع السابق،مونتجري وات(محمد في المدينة) ص 22-25 بتصرف كبير.

فأنزل الله قوله:﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ ﴾ [الأنفال: 07] .

ب.غزوة أحد:

يشكك وات في ثبات النّبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد، وأنّه كان مترددا في الخروج لملاقاة المشركين ،وأنّه خرج ليرفع معنويات المسلمين من جهة وليقاوم الخوف من القريشيين معلقا على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ۝٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٦٦ ﴾ [الأنفال 65-66]، وكان محمد يعلم -بدون شك- أنّ في ذلك مبالغة كما تراه يتردد في الخروج إلى لقاء المكيين ولكنّ ربما كان يعتقد أنّه كان يجب عليه أن يتكلم بهذه الطريقة ليقاوم الخوف من القريشيين، ويُقوي معنويات المسلمين"[1].

يصف "وات" المسلمين بأوصاف لاتليق بحالهم فسقول:"أن انهزام المسلمين ليس عائدا إلى تفوق المكيين العسكري،ولكنه عائدا إلى اجتماع الفوضى وحب السلب عند المسلمين" [2].ومن أوصافه الساذجة على المسلمين:" لو كان من نتيجة هذه المعركة تضعضع روح المسلمين المعنوية واستغراقهم في قلق روحي عميق، لأنّهم أحسوا أنّ الله قد تخلى عنهم خلافا لما حصل في معركة بدر التي كانت آية من عطف الله وعنايته بهم".[3]

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة) ، ص 39.

[2] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج، (نقد الخطاب الاستشراقي) ، 184/2.

[3] المرجع نفسه، ص184/2 .

ج.الجهاد ضد اليهود :

يقول وات عن غزو بني قينقاع "وقد انتهز محمد ثورة الانتصار للتخلص من بعض جوانب الضعف،...كما هاجم في نفس الوقت قبيلة بني قينقاع اليهودية بعد أن أدت خصومه تافهة لموت مسلم، وقد حوصرت القبيلة خلال أسبوعين ثم استسلمت وأبعدت عن المدينة"[1].ويقول: "وكان محمد صلى الله عليه وسلم كثير المسامحة لليهود والنصارى خلافا لما يظن قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت- 46]

ويقول أيضا عن سبب طرد قبيلة بني النضير من المدينة، مبررا ذلك الطرد يتلخص في ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم وطلب منهم المساهمة في دفع دية قتيلين،وبينما كان ينتظر الجواب غادر محمد صلى الله عليه وسلم المكان مسرعا تاركا أصحابه هناك، وعندما لحقوا به في المدينة، أخبرهم أنّ القوم كانوا يتآمرون عليه لقتله وطلب من تلك القبيلة مغادرة المدينة تحت طائلة الموت في مدّة عشرة أيام"[2].

يرد ساسي سالم بقوله: "لننظر إلى أسباب الحقيقة التي قادت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اتخاذ مثل تلك الإجراءات التي لا مناص له من القيام بها والتي تتحدد في بداية معارضتهم للرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن عقد معهم وثيقة الأمان والاطمئنان فأظهروا بداية الرغبة في التعاون معه آملين في أن تتغير الظروف مستقبلا لمصالحهم باعتناق محمد صلى الله عليه وسلم ديانتهم أو قضاء قريش عليه" [3].

ويضيق قائلا ولكن عندما لاحظوا ارتفاع نجمه، وانتشار دعوته، وكثرة أتباعه، وتعدد انتصاراته، ومخالفته لهم في العديد من العبادات والمعاملات أخذوا يتآمرون عليه، ويحيكون الدسائس

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة) ، ص 24.

[2] المصدر نفسه، ص322 .

[3] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج، (نقد الخطاب الاستشراقي) ، ص 191 بتصرف.

ضده ويؤلبون عليه أعداءه وكانوا سببا مباشرا في بروز المنافقين في المدينة، وكان له تأثيره الواضح في الكثير من المنافقين الذين تأثروا بهذه الدعاية الفكرية المنظمة".[1] "وهكذا عندما لج اليهود في الخصام ونبذوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه وناصبوهم العداء، ونقضوا العهود والمواثيق التي أبرمها معهم، اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم في النهاية إلى معاملتهم بالمثل دفاعا عن نفسه وعقيدته وأصحابه وقد تمثل الرد الشرعي العسكري عليهم بعد معركة بدر حينما قطعوا مضمون العهد الذي أبرموه معه".[2] يقول ساسي سالم الحاج " فلو تركنا ذلك كله، وحللنا موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من بني قريظة لوجدناه عبارة عن دفاع شرعي قام به ضد أعدائه الذين حرضوا عليه قريشا والعرب من بني غطفان للقضاء المبرم عليه، ذلك أن السبب الأساسي لغزوة الخندق يمكن في أنّه بعد إجلاء بني النفير من المدينة قام نفر من بني قريظة وبني النضير وقدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم سيكونون معهم في ذلك: ثم ذهبوا إلى غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم سيكونون معهم".[3]

ويضيف: "وهكذا كان بنو قريظة هم السبب في جمع الجموع ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا السبب في حصار المدينة الذي استمر أياما طويلة كانت الدعوة الإسلامية تمرّ في أثنائها بأخطر مراحلها حينما اجتمع عليها أعداؤها يدا واحدة للقضاء عليها، بل إنّ بني قريظة حاولوا الهجوم على المدينة ليلا إبان حصارها وضرب المسلمين من الخلف، ويكونون بذلك قد نقضوا العهد الذي أبرموه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وناصروا أعداءه عليه، وحرضوا خصومه ضده، وهذا الموقف يستحق ردا قاسيا ملائما له، وهذا هو السبب الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحكم عليهم بالإعدام لارتكابهم الخيانة العظمى ضده "[4]. ويقول أيضا "ولو عفا عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم ،وذهبوا إلى خيبر لكثّروا الجموع عليه، ولناصبوه العداوة والقتال عندما تكون

---

[1] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج، (نقد الخطاب الاستشراقي) ، ص 191.

[2] المصدر نفسه ، ص 192.

[3] المصدر نفسه ،ص: 194 .

[4] المصدر نفسه ، ص: 194.

الظروف سانحة "[1] وهذا شاعر فرنسا الكبير (لا مارتين) يقول: "إن حياة محمد صلى الله عليه وسلم، وقوة تأمله، وتفكيره وجهاده ووثبه على خرافات أمته، وجاهلية شعبه وخزعبلات قبيلته، وثباته ثلاثة عشر عاما يدعو دعوته في وسط أعدائه، وتقبله سخرية الساخرين وهزؤ الهازئين، وإن حميته في نشر دينه، وإيمانه بالفوز، ورباطة جأشه، وتطلعه إلى إعلاء كلمة الله، كل ذلك يدل على أنه لم يكن يضمر خداعا"[2].

وقال أيضا: ولقد حاولت المحافظة على الحياد في المسائل اللاهوتية (الدينية) التي يدور حولها النقاش بين المسيحية والإسلام ، فمثلا لتجنب الجزم بما إذا كان القرآن كلام الله أم لا؟قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:1-2]. قال ابن كثير: قال ابن عباس (رضي الله عنهما): (ذلك الكتابُ) أي: هذا الكتاب، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير...ومعنى الكلام: أن هذا الكتاب – وهو القرآن- لا شك فيه أنه نزل من عند الله، كما قال تعالى في السجدة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [السجدة- 1،2] وقال بعضهم: هذا خبر ومعناه النهي، أي: لا ترتابوا فيه"[3].

خلاصة ماتوصلنا إليه من كل أقواله وات السابقة نجدها تصب في هدف واحد،وهو أن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة،لم تكن بالقدر الذي تصوره المصادر الإسلامية، وواضح كل الوضوح أن سبب ذلك راجع إلى أن ناراً كان تكوي قلب البريطاني وات، تشكلت في صورة النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته عند المسلمين من إيمان به وطاعته ووقاره ومحبتة صلى الله عليه وسلم .

5- التشكيك في عالمية الإسلام:

يشكك وات في كون الإسلام دينا عالميا فيقول "...غير قول بعض المصادر الإسلامية وهي

---

[1] المرجع السابق،ساسي سالم الحاج، (نقد الخطاب الاستشراقي) ، م.م.س ، ص194.

[2] محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، (أوضح التفاسير)، المطبعة المصرية ومكتبتها،مصر، ط6،فبراير 1964م، ص: 702 بتصرف.

[3] المرجع السابق،عماد الدين ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ص: ج162/1 .

ليست أقدم المصادر أنّه (يقصد الرسول) نظر إلى الإسلام على أنّه دين عام شامل وأنّه دعا الإمبراطور البيزنطي والفارسي وغيرهما من الملوك إلى الدخول فيه، وهو قول خاطئ، لقد كان الإسلام منذ البداية دينا عاما مضمرا..."[1].ويقول: "لقد كان محمد يعتبر نفسه نبيا أرسله الله سبحانه في الأساس لقريش أو لقريش فقط،ولم تكن هناك إشارة قبل موت أبي طالب إلى أنّه فكّر في مد رسالته للعرب كافة"[2].لقد أخبرنا القرآن منذ بداية نزوله،أنّ الإسلام دين عالمي شامل (للجن والإنس) فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾. [الأنبياء- 107] وغيرها من الآيات كما يقول: لخضر شايب "إنّ مجرد عرض هذه الآيات كاف في أنّ يتبنى أيّ باحث القول بعالمية الإسلام منذ لحظاته الأولى "[3].

يدّعي وات من خلال أقواله أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم ،كان يعتبر في أوّل الأمر مرسلا على أهل مكة ثم بدأ يفكّر في نشر رسالته إلى أن يصبح دينا عالميا، وهذه نظرة خاطئة القائلة بالتدرج في نظام انتشار الدّعوة من الإقليمية إلى العالمية لأشاع النفوذ السياسي للرسول صلى الله عليه وسلم، فإنّ صفة العالمية تقررت والمسلمون مستضعفون بمكة يخافون أنْ يخطفهم الناس "[4].

إن الله خالق الكون مرسل الرسل،رب لجميع البشر وليس للعرب فقط،وقد اقتضت حكمته وعدله أن يكون خاتم الرسل بلسان عربي،والإسلام خاتم الأديان السماوية.لقد أقرّ القرآن على أن محمدًا صلى الله عليه وسلم أرسل للناس جميعًا،فقال :﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾[الأعراف: 158].

---

[1] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في المدينة) ، ص61.

[2] المرجع السابق،وليام مونتجري وات، (محمد في مكة)، ص274.

[3] المرجع السابق،لخضر شايب (نبوة محمد في الفكر الاستشراقي) ، ص521. يتصرف.

[4] المرجع السابق،أكرم ضياء العمري (السيرة النبوية الصحيحة)، ج 1/455-456.

خـــاتـــــمـــــة:

خاتمة:

لقد تباينت الرؤى والمواقف عند المستشرقين نحو نظرتهم للإسلام،وتعددت تصوراتهم نحو الرسول صلى الله عليه وسلم بين الإنصاف والإجحاف تجاه السيرة النبوية،وقد شكّل هذا التباين صراع بين الحق والباطل وتصارع بين الخير و الشر .ومن أصدق من الله قولا حين قال سبحانه:﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠﴾ [البقرة :120]. فلن يرضى عنا الغرب حتى نحابيهم في دينهم،وننصاع إلى توجهاتهم وأهدافهم.

لكن يستثنى من تلك الآية فئة من الناس،بيّنها الله تعالى في القرآن الكريم قال عز وجل:﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٤﴾ [المائدة :82-84].فاليهود أشد عداوة للمسلمين من غيرهم،وهذا مالاحظناه فعلا في كتابات المستشرقين اليهود، أمثال برنارد لويس وغيره،لأن معظمهم تجبروا واستكبروا عن الحقيقة ،ولكن من النصارى من حنّ قلبه للإسلام فآمن به ودافع عن النبي صلى الله عليه وسلم من بين هؤلاء إتيان دينيه.

بعد دراسة مستفيضة وبحث دقيق حاولت خلالها جاهدا أن أبيّن اهتمام المستشرقين بالنبي صلى الله عليه وسلم عامة،والمستشرقين البريطانيين خاصة وعلى رأسهم مونتجمري وات،رغم أن

تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم واضح المعالم لا تشوبه شائبة،فلم تمر عليه في سيرته فترات من الغموض،أو فترات من الاضطراب كما يدعي البعض.وما خضع له النبي صلى الله عليه وسلم من حوادث لا يمكن قياسها بمقياس مادي أو أي مقياس آخر.

اتسمت دراسات معظم المستشرقين على جمع معلومات غير صحيحة وروايات كاذبة،متجاهلين معظم المصادر الأصلية،وكما اعتمدوا في دراستهم للسيرة النبوية على مناهج فاسدة، تعتمد كلها على التمويه والمراوغة .

ليس لخصوم الرسول صلى الله عليه وسلم أي حجج بيّنة أو براهين واضحة للطعن فيه وفي رسالته،بل هي مزاعم وشبهات باطلة تهدف من ورائها للقضاء على سنته،لكننا وجدنا بعض المستشرقين ممن عرفوا الحق ودافعوا عنه، وكانت شهاداتهم المنصفة دليلاً دامغًا وحجة بالغة على عِظَمِ أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله.

وبعد بحث طويل خرجت بمجموعة من الاستنتاجات والنتائج تتعلق بدراسة الاستشراق لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتبيّن مايلي:

- إن الحركة الاستشراقية في أول عهدها حاولت في معظمها سرقة التراث العربي الإسلامي،وسعت جاهدة إلى تحطيم الحضارة الإسلامية بكل الوسائل المتاحة.
- إن الاهتمام بالرسول صلى الله عليه وسلم من لدن المفكرين الغربيين، كان دون المستوى الذي يليق بمقامه صلى الله عليه وسلم.
- لا ينبغي لنا أن نجحد الجهود الكبيرة للمستشرقين من خلال مساهماتهم في تحقيق عدد مهم من كتب التراث الإسلامي ونشرها بلغاتهم.
- لا يمكن إنكار اعترافات بعض المستشرقين،برسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم.
- لقد أخضع معظم المستشرقين السيرة النبوية،لمناهج غربية جافة لا تليق بخصوصية الإسلام.

- ما لاحظناه أن كثيرا من المستشرقين يتجاهلون حقائق تاريخية حول السيرة النبوية،ويعتمدون على روايات شاذة وضعيفة.
- رغم ادعاء مونتجمري وات بأنه ملتزم بالنزاهة العلمية،إلا أنه أخطأ في حق النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من الأمور،والتي تطرقنا إليها سابقا بالتفصيل.
- إن كتابات المستشرقين المعتدلين لعبت دورا هاما في الرد على هؤلاء المتعصبين منهم،وأيضا في تحسين صورة الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم عند الغرب .

وبعد كل هذا خلصت إلى نتائج وتوصيات للتصدي لمن يريد أن يعبث بحضارتنا،وتوصلت إلى مايلي:

- لابد على كل دارس لعلم الاستشراق أن يكون على دراية تامة بدينه،وأن يعرف أساليب المستشرقين التي تعتمد على التمويه والمكر والخديعة تجاه الإسلام.
- لابد من توفر ترجمة صحيحة لكتب المستشرقين،ووجود علماء مسلمين مختصين لإخراج شُبه المستشرقين والرد عليها.
- علينا جميعا بناء مشروع ضخم به مؤسسات موحدة تحت مسمى – علم الاستغراب- تعمل على تنقية تراثنا من شبهات المستشرقين.
- إنشاء مراكز علمية مختصة تسعى لإعادة إحياء حضارتنا بثوب جديد .
- إقامة الندوات والمؤتمرات لتسليط الضوء على صورة النبي صلى الله عليه وسلم الحسنة،وترسيخ ذلك في نفوس الناس.

وختاما نقول أمامنا-نحن المسلمين- مهمات كثيرة تنتظرنا،وتحديات صعبة تواجهنا،في ظل الممارسات الخطيرة التي مازالت تشوه صورة الإسلام،ومازالت لحد الآن أصوات تقدح وتطعن في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم،فمطلوب منا أن نفكر في مواجهة تلك الموجات العاتية،والتصدي لها بكل الوسائل الممكنة.

مـــلـــحـــق:

ملحق:

المستشرق ويليام مونتجمري وات: ولد في كريس فايف في 14 مارس 1909م، والده القسيس أندرو وات درس في كل من أكاديمية لارخ 1914- 1919 و في كلية جورج واتسون بإدنبرة و جامعة إدنبرة 1972_1930 و كلية باليول بأكسفورد 1930-1933م و جامعة جينا بألمانيا 1933م وبجامعة أكسفورد و جامعة أدنبرة في الفترة من 1938م إلى 1939م و من 1940 إلى 1943م على التوالي، عمل راعيا لعدة كنائس في لندن و إدنبرة وهو متخصص في الإسلام لدى القس الإنجليكاني في القدس، و بعد تقاعده عاد إلى العمل في المناصب الدينية،إذ عمل رئيسا لقسم اللغة العربية و الدراسات الإسلامية بجامعة إدنبرة في الفترة 1947-1979م، نال درجة الأستاذية عام 1964، دعي للعمل أستاذا زائرا في كل من الجامعات الآتية: جامعة تورنتو 1963و 1978 وكلية فرنسا في باريس عام 1970م و جامعة جورجتاون بواشنطن عام 1978-1979م"[1] آثاره: عوامل انتشار الإسلام (الفصول الإسلامية 1955) و محمد من مكة (لندن 1958)و الإسلام والجماعة الموحدة و هو دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام (1961) والجدل الديني (عالم الإسلام 1961)،وتاريخ إسبانيا الإسلامية بمعاونة كاكيا (جامعة إدنبرا 1965، و قد ترجم إلى الفرنسية و الإسبانية و الروسية) و من هو العربي ؟ ويشرف على كتاب بعنوان: الإسلام"[2].

1/ رائد محمد عبدالوهاب أبورية، (السيرة النبوية فى فكر، مونتجمرى وات ، وكارين أرمسترونج- دراسة تحليلية تقويمية-)، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر الشريف، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، (مصر)، د.ت،ص8.

2/ نجيب العقيقي، المستشرقون- الجزء الثاني- ، دار المعارف، القاهرة،مصر، ط5، 2006، ص132.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)**

أولا: قائمة المصادر والمراجع:

1. الحسين مسلم بن الحجاج،صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،1991.

2. الفضل العسقلاني الشافعي، (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه

3 الفضل عمر بن مسعود بن عمرالحدوشي، كيف تفهم عقيدتك بدون معلم ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط2،دت.

4.السيد محمد الشاهد،رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم، دار المنتخب العرب، بيروت،ط1، 1414هـ/1994م.

5.أحمد إبراهيم الشريف، (مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم)، دار الفكر العربي،القاهرة مصر، ط1،د.ت.

6.أحمد سمايلوفتش،(فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر)،دار الفكرالعربي،مدينة نصر،القاهرة، د.ط،1998.

7.أحمد شاكر،(عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير)،سورة آل عمران،دار الوفاء،المنصورة،ط2، 2005.

8.أحمد عبد الحميد غراب، (رؤية إسلامية للاستشراق)، المنتدى الإسلامي، (بيرنجهام)، ط2، 1411هـ.

9.إدوارد سعيد، (الاستشراق)، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث، (بيروت- لبنان)، ط6، 2003م.

10.آرثر .ج. آربري، (المستشرقون البريطانيون)،تعريب محمد الدسوقي النويهي،وليم كولينز لندن، د.ط،1946 .

11.أرنولد توينبي مختصر دراسة للتاريخ تر: فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،مصر،ط1،2011م.

12.أسامة بن منقذ، (الاعتبار)،تح:عبد الكريم الأشتر،المكتب الإسلامي،بيروت-لبنان، ط2، 2003.

13.أكرم ضياء العمري ، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية،الجامعة الإسلامية كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، ط1، د.ت .

14.أكرم ضاء العمري (السيرة النبوية الصحيحة) ، مكتبة العلوم، المدينة المنورة ،السعودية،، ط6- 1994م.

15.أنور الجندي، (أخطاء المنهج الغربي الوافد)، دار الكتاب اللبناني، (بيروت- لبنان)، ط1، 1974م.

16.أنور الجندي، (مقدمات العلوم والمناهج)، دار الأنصار، (القاهرة- مصر)، د.ط،دت.

17.أنور الجندي، الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية ،مطبعة الرسالة، القاهرة ،مصر، د.ط،1962م .

18.ايتيان دينية سليمان بن ابراهيم (محمد رسول الله)، تر: دكتور عبد الحليم محمود – ودكتور محمد عبد الحليم ،دار المعارف القاهرة، مصر ،ط3،د.ت.

19.توماس كارليل ،الأبطال، تر محمد السباعي ، دار الكاتب العربي ،بيروت،لبنان، دط،دت.

20.توماس كارليل، محمد المثل الأعلى ،تع محمد السباعي، مكتبة النافذة، دار طيبة للطباعة الجيزة،مصر، ط1، 2008.

21.جميل حمداوي الاستشراق والاستمزاغ والاستعراب والاستغراب، منشورات حمداوي الثقافية،تطوان- المغرب ،ط1 ،2019.

22.جواد علي، (تاريخ العرب في الإسلام- السيرة النبوية-)، دار الحداثة،دم،دط،دت.

23.جولد زيهر، (العقيدة والشريعة في الإسلام)،تر محمد يوسف موسى وآخرون،دار الكتب الحديثة،مصر،ط2،دت.

24.حكم النبي محمد،الأديب تولستوي ،دراسة وتعليق محمود النجيري مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط1، 2008.

25.خير الدين الزركلي ،الأعلام ،دار العلم للملايين، بيروت- لبنان ،ط15 ،2006.

26.روجيه جارودي، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة،دراسة محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة،مصر،ط1،دت.

27.رودي بارت، (الدراسات العربية والإسلامبة في الجامعات الألمانية- المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). تر: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، (القاهرة- مصر) ،د.ط، 2011.

28.رينيه ديكارت، (مقال عن المنهج)، تر: محمود محمد الخضري، الهيئة العامة للكتاب،مصر، ط3، 1985م.

29.زقزوق محمود حمدي، (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري)، دار المعارف، (مصر)، ط1، 1981م .

30. زكريا هاشم ، المستشرقون والإسلام، لجنة التعريف بالإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.م، العدد 20،سنة1965م .

31.ساسي سالم الحاج، (الظاهرة الاستشراقية)،دار المداد الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1،2002م.

32.سالم حميش، (الاستشراق في أفق انسداده) ، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، (الرباط- المغرب)، ط1، 1991م.

33.سعدون الساموك ،الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاسلامية ،دار المناهج ،عمان، الأردن،ط1، 2010م

34.سعدون محمود الساموك، الوجيز في علم الإستشراق ،دار المناهج، عمان الأردن، ط1، 2003م.

35.سلامة موسى ،برنارد شو ، مؤسسة هنداوي، للتلعيم والثقافة، القاهرة ،مصر، ط1، 2014م.

36.سنن أبي داود : تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية،بيروت لبنان،دط،دت، 154/3.

37.صلاح عبد الفتاح الخالدي، (القرآن ونقض مطاعن الرهبان)، دار القلم، (دمشق- سوريا)، ط1، 1428هـ/2007م.

38.عبد الرحمان حسن الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير – اللاستشراق – الاستعمار)، دار القلم، دمشق، ط8 ،2000م .

39.عبد الرحمن بدوي، (موسوعة المستشرقين)،دار العلم للملايين،بيروت-لبنان،ط3،1993م.

40.عبد الرحمٰن عميرة، (الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق)، دار الجيل،(بيروت- لبنان)، د.ط، دت.

41.عبد العزيز الدولاتلي وآخرون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، إدارة الثقافة، (تونس)،دط، 1985م.

42.عبد القهار داود عبد الله العاني ، الاستشراق والدراسات الإسلامية ، دار الفرقان ،عمان – الأردن،ط1،2001م.

43.عبد الله خضر حمد،القرآن الكريم وشبهات المستشرقين،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان، دط،1971.

44.عبد الله محمد الأمين النعيم، (دراسات تاريخية لآراء وات بروكلمان - مقارنة بالرواية الاسلامية الاستشراق في السيرة النبوية-) المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسلة الرسائل الجامعية 21 ،ط1، 1997.

45.عبد المالك ابن هشام بن أيوب الحميري، (السيرة النبوية)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،ط2، 1375هـ/1955م.

46. عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية و أوهام المستشرقين،مكتبة وهبة،القاهرة،مصر،ط1،دت

47.عفاف صبره ، المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دار النهضة العربية ، جامعة الأزهر،مصر،د ط ،1985م .

48.علي بن إبراهيم النملة ، نقد الفكر الاستشراقي ،مكتبة الملك فهد، الرياض – المملكة العربية السعودية،ط1،2010 م .

49.عماد الدين ابن كثير،(تفسير القرآن العظيم)، تح:سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، (الرياض- المملكة العربية السعودية) ، ط1، 1420هـ/1997م.

50عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق، بيروت)،ط1، 1426 هـ.

51.عماد الدين خليل، (التفسير الإسلامي للتاريخ)، دار العلم للملايين، (بيروت- لبنان)، د.ط، 1975م.

52.عمر بن مساعد الشريوفي، موقف المستشرق مونتجمري واط من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم)،بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود ، (المملكة العربية السعودية)، 1416/1415.

53.عبد الرحمان جمال بن محمد بن محمود أنس المقربين وأزهار الياسمين في التعريف بالنبي الأمين دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ط، 1971.هـ.

54.فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني ، مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، د.ط ، 1433هـ.

55.قاسم السامرائي، (الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية)، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ط1، 1983م.

56.كارل بروكلمان، (تاريخ الشعوب الإسلامية)، تر: نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار الملايين، (بيروت- لبنان) ، ط5، 1973م.

57.لخضر شايب، (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر)، مكتبة العبيكان،دم،دط،دت.

58.لورا فيشيافا غليري ، دفاع عن الإسلام ، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط5، 1981 .

59.مارسيل بوازار، (إنسانية الإسلام)، تر: عفيف دمشقية، دار الآداب، (بيروت- لبنان)، ط1، 1980م.

60.مازن صلاح مطبقاني ، الاستشراق و الاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،السعودية، ط1416،1هـ .

61.ماسنيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ،ط1، 1984م.

62.محمد ابن منظور، (لسان العرب)، دار صادر، (بيروت- لبنان) ، ط3، 1414هـ .

63.محمد أبو ليلة محمد بين الحقيقة والافتراء دار النشر للجامعات ،القاهرة مصر،د.ط، 1999م.

محمد البهي،الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،مكتبة وهبة،القاهرة ،ط4،د.ت.

64.محمد الرازي، (مختار الصحاح)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية –الدار النموذجية- (بيروت- لبنان)، ط5، 1420هـ، 1999م.

65.محمد الصالح الصديق، محمد صلى الله عليه وسلم في نظر المفكرين الغربيين، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية ،بن عكنون-الجزائر،ط1، 2005.

66.محمد الغزالي (فقه السيرة)، دار الكتب الحديثة ،القاهرة مصر،ط6،1965.

67.محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين،نهضة مصر،الإسكندرية_مصر، ط07 ،2005م .

68.محمد بن القيم الجوزية، (زاد الميعاد في هدي خير العباد)، تح: شعيب الأرناؤرط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة،مكتبة المنار الإسلامية، (بيروت- لبنان)، (الكويت) ،ط27، 1415هـ /1994م .

69.محمد بن جرير الطبري، (تاريخ الرسل والملوك)، دار الكتب العلمية، (بيروت- لبنان)،،ط1، 1407هـ.

70.محمد بن صالح أبي الفتح شمس الدين الدجاني، جواهر القلائد. تحقيق حسام الدين كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة القدس- فلسطين- ط1، 2004م.

71.محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)، تح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة- مصر)، ط7، 1377هـ/1957م.

72.محمد بن عبد الوهاب، (الأصول الثلاثة وأدلتها)، مكتبة الملك فهد، (المملكة العربية السعودية)،ط1، 1430هـ/2009م.

73.محمد بن محمد أبو شهبة وعبد الغني عبد الخالق، (دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين)، مكتبة السنة،القاهرة، مصر، ط1، 1989م.

74.محمد جميل بيهم، فلسفة تاريخ محمد صلى الله عليه و سلم ، الدار الجامعية للطباعة و النشر بيروت ،دط،1923.

75.محمد حسين ، هيكل حياة محمد مؤسسة هنداوي،القاهرة –مصر،د.ط،2014م.

76.محمد خليفة حسن أحمد، (آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية)، الناشر :عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة،مصر، ط1، 1997م.

77.محمد عبد العظيم علي ،السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقين،نقد وتحقيق وتصويب :عبد المتعال محمد الجبري ،دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع،الإسكندرية،مصر،ط1994،1.

78.محمد فاروق النبهان، (الاستشراق، مفهومه، مدارسه، آثاره)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، (الرباط- المملكة المغربية)، ط1،1433هـ/2012م.

79. محمد فتح الله الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها،الكتاب الإسلامي، طرابلس – ليبيا، ط 1، 1983م .

80.محمد محمد حسين . (الإسلام والحضارة الغربية)، دار الفرقان،دم،دط،دت.

81.محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، (أوضح التفاسير)، المطبعة المصرية ومكتبتها،مصر، ط6،فبراير 1964م.

82.محمد ناصر الدين الألباني، (صحيح الجامع الصغير وزياداته)، المكتب الإسلامي، 2010.

83.محمود حمدي زقزوق، (الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري) ، دار المعارف، (القاهرة- مصر)،دط،دت.

84.محمود شاكر، (رسالة في طريق ثقافتنا)، مكتبة الأسرة، مصر ، د.ط، 1997.

85.محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي و نقده، دار الدعوة ، الإسكندرية –مصر، ط 1، 1996م.

86.مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (اصحيح مسلم- لمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- لبنان)، ،دط،دت.

87.مصطفى السباعي، (الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي،بيروت لبنان، ط2 ، 1399هـ/1979م.

88.مصطفى السباعي، (الاستشراق والمستشرقين مالهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي، (دمشق- سوريا)،ط2، 1399هـ/1979م.

89.موريس بوكاي،(التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، تر: حسن خالد، المكتب الإسلامي، (بيروت- لبنان)، ، ط3، 1990م.

90.محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

91.نجيب العقيقي، المستشرقون،دار المعارف، مصر، ط3، 1964.

92.نذير حمدان ، الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين،مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ، د.م،ط1، د.ت.

93.نذير حمدان، (مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون)،مكتبة الصديق، (الطائف-المملكة العربية السعودية)،ط1، 1408هـ/1988م.

94.نور الدين أبو لحية – قلوب مع محمد – دار الأنوار للنشر والتوزيع ،بيروت،لبنان ،ط2، 2015 م.

95.نور الدين أبو لحية، قلوب مع محمد، حقائق و رقائق، دار الأنوار للنشر و التوزيع،بيروت،لبنان،ط2، 1436هـ-2015م.

96.وليام مونتجمرت واط، (محمد في مكة)، نقله إلى العربية الدكتور عبد الرحمان عبد الله الشيخ راجع الكتاب وعلق عليه الدكتور أحمد الشلبي، هيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،دط، 1994م.

97.وليد بن بلهيش العمري السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف،المدينة المنورة،السعودية ،دط،دت.

98.وليم مونتجمري واط، (محمد في المدينة)تر:شعبان بركات ،منشورات المكتبة العصرية، (صيدا بيروت)،دط،دت.

99.يحي مراد، معجم أ سماء المستشرقين،دد،دط، دت.

100.يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ،ليبيا، ط2، 2001م.

ثانيا :الأطروحات الجامعية:

1.أمل بنت عواض عبيد الثبيتي، (السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين –دراسة نقدية مقارنة، ماجستير)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (مكة- المملكة العربية السعودية)، 1424هـ.

2.رائد محمد عبدالوهاب أبورية، (السيرة النبوية فى فكر، مونتجمرى وات ، وكارين أرمسترونج- دراسة تحليلية تقويمية-)، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر الشريف، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، (مصر)، د.ت.

3.زلافي إبراهيم، (المقاربة الاستشراقية للقرآن الكريم – مع قراءة في كتاب جاك بيرك)، رسالة دكتوراه، جامعة بلقايد أبي بكر، (تلمسان- الجزائر)، 2014/2013م.

4.عبد الوهاب بن دحان، (النص القرآني في الخطاب الاستشراقي الفرنسي الحديث) رسالة دكتوراه،جامعة أبو بكر بلقايد،تلمسان،2011/2010 م.

5.عمر بن مساعد الشريوفي، موقف المستشرق مونتجمري واط من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم)،بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود ، (المملكة العربية السعودية)، 1416/1415هـ.

6.ميم نسرين لطيفة جهود المستشرقين في نشر التراث العربي ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الاستشراقية ،جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2015/2014م.

ثالثا:المجلات والدوريات

1.أحمد أبوزيد الاستشراق النسائي قصة حضارة في عيون عربية منصفة – المنظمة الاسلامية للتربية و العلوم الثقافية –ايسيسكو – الرباط،دع، المملكة المغربية ،2017م.

2.أليكسي جورا فسكي ، الإسلام والمسيحية ، عالم المعرفة،سلسلة شهرية يعيدها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني،العدد:215.

3.آمنة محمد علي،مقال بعنوان أوربا والإسلام،مركز الدراسات الاستراتجية والدولية،جامعة بغداد، د.ع،دت.

4.السيد محمد الشاهد، (الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين)،مجلة الاجتهاد،دار الااجتهاد،بيروت،لبنان،عدد: 22،1994م

5.جابر قميحة آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، رابطة العالم الإسلامي، (مكة- السعودية)،العدد:116، 1412هـ/1991م.

6.زكريا إبراهيم الزميلي، (منهج المستشرقين التأويلي في تفسير النص القرآني)، مؤتمر: (الإسلام والتحديات المعاصرة)، – كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية،2-2007/4/3م.

7.زكريا هاشم،المستشرقون والإسلام،لجنة التعريف بالإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.م،الكتاب العشرون،سنة1965م. .

8.شاكر عالم شوق، (أخطر تحدي للإسلام)، مجلة دراسات الجامعة العالمية الإسلامية، (بنغلادش)، المجلد : 3.

9.عبد الوهاب حمودة،رسالة الإسلام، مجلة إسلامية عالمية تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة، السنة العاشرة ،1958م،العدد39.

10.عبد الصمد شيخ عنوان المقال الانحراف المنهجي عند المستشرقين في كتابة السيرة النبوية، الجامعة الإسلامية العالمية ،إسلام أباد،دع،دت.

11.عبير بنت عبد الله القصيمي تقرير بعنوان علاقة الاستشراق بالاستعمار الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية ،1433هـ/1434هـ.

12.عزيه طه، (من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد)، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، رمضان،جامعة الكويت،دع،1989/1409م.

13.فاطمة زبار عنيزان وأ.د.خديجة زبار عنيزان . جامعة بغداد ، دراسة تحليلية لبعض آراء المستشرقين عن السيرة النبوية المطهرة،مجلة العميد،العدد الخاص السنة الثانية ،2013.

14.قاسم جواد الجيزاني، (موقف المستشرقين من السيرة النبوية – تطابق المظهر واختلاف المضمون، مجلة العميد، الجامعة المستنصرية ، العدد: 2، 1434هـ/2013م.

15.قحطان حمدي محمد، أدوار المستشرقين في تشويه معالم السنة النبوية ، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية، جامعة تكريت،المجلد الثالث،العدد العاشر،دت.

16.لخضر بن بو زيد الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية – العتبة العباسية بلد النشر : العراق ، العدد الخامس عشر، صيف 2018م.

17.محمد موسى،تنزيل مقاصد الشرع وتعميق محبة الرسول صلى الله عليه و سلم ،المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية ،مركز البحوث والدراسات الاستشراقية،الخرطوم –السودان ،الكتاب الخامس، 2013.

18.محسن راشد طريم، (الجوانب المظلمة في كتابات المستشرقين البريطانيين في السيرة النبوية)، جامعة ذي قار كلية التربية، قسم التاريخ، العدد 2، المجلد 4، أيلول 2008.

19.مشتاق بشير الغزالي ، أزمتنا مع الإستشراق ، ،مجلة مركز دراسات الكوفة،جامعة الكوفة ، العدد الثامن، 2008.

20.ميشال جحا، (الدراسات العربية و الإسلامية في أوربا)، مراجعة يحي حمود الصادر عن مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، بيروت– لبنان ،العدد 31 مارس 1983.

رابعا:المكتبة الإلكترونية:

1.إبراهيم أحمد، سر انتشار الإسلام،من موقع شبكة الألوكة:
. https://www.alukah.net/culture/0/64727

2.أنور محمود الزناتي،عنوان المقال مستشرقون منصفون، شبكة الألوكة الثقافية:
.https://www.alukah.net/web/anwar-zanaty/12075

3.أنور محمود زناتي، مدارس الاستشراق، المدرسة البريطانية ،شبكة الألوكة. انظر الموقع:
.https://www.alukah.net/web/anwar-zanaty/12057/48814

4 ..ألفونس_دو_لامارتين ،من موقع ويكيبيديا:https://ar.wikipedia.org/wiki

5.حامد شكري العاني، أقوال الغربيين المنصفين بأهمية عودة الإسلام ،شبكة الألوكة ، انظر الموقع:
./https://www.alukah.net/sharia/0/76797

6.صالح حمد حسن الأشرف، (الاستشراق، مفهومه وآثاره)، شبكة الألوكة:
. file:///C:/Users/pc/Downloads/esteshraq%20(5).pdf

7.عبد العظيم ديب،المنهج عند المستشرقين، تحميل من مكتب المهتدين الإسلاميين لمقارنة الإيمان. http.kotob.has.it.

8.مارسيل بوازار ، كلمة حق سطرها التاريخ ،موقع قناة حلب اليوم على اليوتيوب من موقع: https://www.youtube.com/watch?v=4Y1yIRrwynY

9.محمد السقا عيد ،عظمة النبي في عيون المنصفين و العقلاء الغربيين،من موقع شبكة الألوكة: https://www.alukah.net/library/0/60532.

10.مطبقاتي مازن، (الاستشراق)،من موقع:https://islamhouse.com/ar/books/343849/

12.روجيه جارودي،من موقع ويكيبيديا:httpM//ar.wikipedia.org/wiki.

13.موريس بوكاي – القرآن والعلم الحديث متوافقان بشكل مذهل،موقع قناة العراق الآن على اليوتيوب من موقع:https://www.youtube.com/watch?v=bI35RNM3OkA .

14.نعيمة عبد الفتاح ناصف ،أشهر المدافعين عن الإسلام في الغرب، من موقع الألوكة: https://www.alukah.net/sharia/0/996 .

15.يحي مراد، (ردود على شبهات المستشرقين،)، من موقع:

https://www.alarabimag.com/books/18629 -ردود-على-شبهات-المستشرقين.html .

فهرس الآيات القرآنية:

فهرس الآيات القرآنية:

السورة	رقمها	الآية	ترتيبها في البحث
البقرة	2	/185/146/120/109/102/2/1 204/217	184/154/163/98/221/122/193/203
آل عمران	3	/144/19/112/110	146/144/106/91
النساء	4	/65/183/58/166/163/51/25 54	220/193/192/183/147/92/173
المائدة	5	67/83/46/48/84/82	76/118/165/207/206/221
الأنعام	6	103/125	214/97
الأعراف	7	203/158/157	97/148/171/170/204
الأنفال	8	66/65/41/17/30/46/20	200/199/193/189/188/183/183
التوبة	9	/129/128/36	101/150/198
يونس	10	15/37	97/97
يوسف	12	87	175
الحجر	15	9	144/109
النحل	16	103/110/41/64/44/103	207/189/188/76/59
الإسراء	17	73	152
الكهف	18	58	95
طه	20	05	214
الأنبياء	21	107	204/203/21
الحج	22	40/39	186
الفرقان	25	5/4/1	187/148/58

الشعراء	26	195/192	178
العنكبوت	29	48/46/3/2/57/56	48/46/189/189
السجدة	32	02/01	203
الأحزاب	33	50/40/37	172/187/215
سبأ	34	28	19
فاطر	35	23	181
فصلت	41	06	168
الفتح	48	29	211
الحجرات	49	13/2	13/191
النجم	53	20/32/23/19/12/1/14/10/21	219/180/158/180/179/177/176/152
الحديد	57	27	107
الصف	61	9/8/7/6	146/85
الجمعة	62	02	165
القلم	68	04	75
الحاقة	69	45/44	180
الإنسان	76	28	97
البروج	85	/22/21	98
الغاشية	88	22/21	181
الضحى	93	4/3/2/1	175

فهرس الموضوعات:

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

مدخل:الإسلام في الفكر المسيحي الغربي..... 06

الفصل الأول: ماهية الاستشراق والمستشرقين

المبحث الأول: تعريف الاستشراق والمستشرقين 23

المبحث الثاني: نشأة الاستشراق (مدارس، ومناهج..... 36

المبحث الثالث: أهداف الاستشراق وسائله وآثاره 54

الفصل الثاني: نظرة المستشرقين الغربيين إلى السيرة النبوية

المبحث الأول:المستشرقون والسُّنة النّبوية..... 74

المبحث الثاني: المستشرقون الغربيون الحاقدون على نبي الإسلام محمد صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم. 90

المبحث الثالث: المستشرقون الغربيون المتعاطفون مع النَّبي صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم 109

الفصل الثالث :صورة النبي صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم من خلال كتابات المستشرقين البريطانين

المبحث الأول: المدرسة البريطانية 126

المبحث الثاني:المستشرقون البريطانيون الحاقدون على النبي صلى الله عليه وسلم 141

المبحث الثالث: المستشرقون البريطانيون المتعاطفون مع النبي صلى الله عليه وسلم 155

الفصل الرابع: نظرة المستشرق مونتجمري وات إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول : مناهج مونتجمري وات في دراسته للسيرة النبوية وتقويمها 168

المبحث الثاني: صورة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة عند مونتجمري وات..... 184

المبحث الثالث: صورة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة عند مونتجمري وات 202

الخاتمة 220

ملحق 223

قائمة المصادر والمراجع 224

فهرس الآيات القرآنية 237

فهرس الموضوعات 239

ملخص:

لطالما كان محمد صلى الله عليه وسلم ،حسن الخَلق والخُلق،صادقا أمينا،نبيا مرسلا رحمة للعالمين،أدى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح الأمة،وهذا ما جعله محط الأنظار واستهداف من طرف كثير من الباحثين،ويظهر ذلك جليا في تعامل المستشرقين مع سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)،فنراهم قد انقسموا حيال تلك الدراسات التي قاموا بها إلى فئتين مختلفتين،كل منهما ترى في شخص النبي(صلى الله عليه وسلم) خلاف ما تراه الأخرى،ففئة قد أظهرت حقدها و أفرغت جام غضبها في وصفها إياه،وفئة قد أذعنت للحقيقة،فاتسمت دراساتهم للسيرة النبوية بكثير من الموضوعية والاعتدال،وإن كل الفضل يعود إلى علمائنا الذين كشفوا نوايا هؤلاء المستشرقين وأظهروهم على حقيقتهم بالحجة والمنطق والبرهان،وخاصة المستشرقين البريطانيين.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق دوافعه وآثاره/نظرة المستشرقين إلى السيرة النبوية/موقف المستشرقين البريطانيين من الرسالة المحمدية .

Résumé:

Mohammed « Que la paix et la bénédiction de Dieu soient sur lui » était bien fait de sa personne et a toujours été de bonne moralité, honnête et vertueux, prophète envoyé par miséricorde pour les univers. Il a accomplit la mission confiée par Dieu et a transmis le message et prodigué ses conseils à la Oumma (la communauté des musulmans), et c'est ce qui a fait de lui le point de mire et la cible de nombreux chercheurs, cela apparaît clairement dans l'approche des orientalistes à l'égard de la biographie du prophète Mohammed « Que la paix et la bénédiction de Dieu soient sur lui ». A partir des études faites, on constate que lesdits orientalistes s'étaient divisés en deux groupes distincts, chacun d'eux voit en la personne du Prophète « Que la paix et la bénédiction de Dieu soient sur lui » l'opposé de ce que voit l'autre groupe, le premier a montré sa haine et a déversé toute sa hargne en le décrivant, et le second groupe s'est résigné à accepter la vérité, et c'est ainsi que leurs études de la biographie du Prophète se sont caractérisées par l'objectivité et la modération. Tout le mérite en cela revient à nos savants qui ont su révéler les véritables desseins de ces orientalistes et leurs vrais visages par des arguments, de la logique et des preuves, notamment en ce qui concerne les orientalistes britanniques.

Mots clefs:L'orientalisme,ses motifs et ses effets/ La perception des orientalistes envers la biographie prophétique/ La position des orientalistes britannique vis-à-vis le message de Mohamed.

Summary:

Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, has always been a good mannered person, honest and trustworthy. He was a prophet who was sent as a mercy to the worlds. He did his duty and gave advise to the nation. Therefore, his personality and biography was under the focus of many researchers as it was very clear in the orientalists 'dealings with the biography of the Prophet Muhammad (God bless him and grant him peace). As a result, the orientalists have been divided into two different categories in relation to those studies that they carried out. Each one of them sees in the person of the Prophet (may God bless him and grant him peace) unlike what the other sees. So, one group has shown its hatred and emptied its anger in describing him, and a group saw the truth. Thus, the latter's studies of the Prophet's biography were characterized by a lot of objectivity and moderation. Above all, the favor goes to our scholars who revealed the intentions of these orientalists and showed them their truth with argument, logic and proof, especially the British Orientalists.

Key words:Orientalism reasons and effects/ Orientalists opinion on the Prophet's biography/ British Orientalists attitude towards the prophet's message.